بَابُ الكِتَابْ

بقلم ا. د. ڤكتور الكِكْ

الشيخ أمين الجميّل ظاهرة مميَّزة في تاريخ الحكم اللبناني. يحمل في وعيه ولا وعيه إرثَ الذين تقدَّموه في تحمُّل مسؤولياته. لم يتنكَّر لهذا الإرث ولم يتنكّب عن فهم الظروف التي أحاطت بعهود الحكم في حياة لبنان المديدة. بل انه يشعر بوطأة ذلك الإرث حين يتكلّم أو يعمل، وهو الذي لا يصدر في هذين المجالين إلّا عن تفكيرٍ هادئ ذي بُعْدَين أساسيَّين: الشمول والعمق.

إلّا أنَّ نهج الرئيس الشابّ – بالاضافة الى ذلك – يشكّل بداية جديدة في الإرث التليد. هذه البداية لم تقترن بتسلّمه مقاليد رئاسة الجمهورية اللبنانية، بل سبقت هذه المرحلة الحاسمة. لقد مارس «الحكم» في مفهومه العصريّ المبرمَج، قبل ذلك، مضطرًّا، في منطقة المتن الشمالي، يوم جزّأت الحروب في لبنان منذ العام ١٩٧٥ المناطق اللبنانية وقطّعت أوصال الوطن الشهيد. خلال تلك الفترة الحالكة جعل من المنطقة التي يمثّلها في البرلمان اللبناني نموذجًا لجمهورية المستقبل التي ما فتئ يجهد في تحقيقها منذ سنتين. حَوّل «المتن» الى واحة أمن. أنشأ فيه المؤسَّسات الديمقراطية

الطليعية في مختلف مجالات الحياة. أعطى دفعًا جديدًا للمؤسسات المحلّية القائمة. أقام مؤسسات علمية تعنى بالسياسة والانماء في إطار «مؤسسات الانماء للبنان» وأبرزها «بيت المستقبل». رفض واقع الحرب المرير الذي يحطّم الهِمَم ويزرع الدمار، فحفزه طموحه الى تحقيق ما يعجز عنه الكبار في أيّام السلم.

في اعتقادي انّ ذلك ما كان ليكون لولا التوازن المتناغم بين ممَارسته العملية لشؤون السياسة بمعناها القيادي واتجاهاته النظرية في التخطيط المستقبليّ. جمع بين الرؤيا والرؤية، بين التنظير والتطبيق، بين الخيال الديناميكيّ والواقع الحركيّ، بكلمة: بين بيار الجميّل وموريس الجميّل.

هكذا غدا نسيج وَحْده في مفهومٍ متكامل للحكم، لا يعدو كونه صورة للحياة.

لذلك ينطلق الرئيس أمين الجميّل في أقواله وأعماله من ثابت أول ليس كمثله شيء: الله خالق السموات والأرض. ثم من ركنين لا ثالث لهما في هذا الكون: الأرض والانسان. لا إنسان بدون أرض، ولا أرض بدون انسان حرّ. إنهمَا صنوان: الملكيّة والحريّة. لحمتهما: الكرامة. كان همّ أمين الجميّل خلال الحرب التي انتهكت الملكية والحريّة والكرامة ان يؤمّن لأبناء منطقته مضمون هذا الثالوث. وها هو يحاول، منذ انتخابه رئيسًا لكلّ لبنان، ان ينقذ لبنان واللبنانيين على أُسسه.

إيديولوجية أمين الجميّل ذات رؤيا بعيدة المدى، لكنها تنطلق من الواقع وتصبّ فيه. انها بسيطة ومركّبة في آن.

* * *

في سبيل هذا الفهم كانت محاولة الدكتور جورج شرف: «لبنان الوطن والدولة في تفكير الرئيس أمين الجميّل». وقد تكون أول محاولة علميّة تبغي الشمول والدقّة في فهم أُطر التفكير التي يتحرّك الرئيس خلالها. ثم في فهم ديناميّة هذا التفكير. وليس في الأمر تنظير أو تعقيد، أو دعاوة. بل هو نهج علمي يعتمد أساليب البحث الحديث لينفذ من ذلك إلى غاية محدَّدة: كيف يفكّر الرئيس؟ ما أبعاد تفكيره؟ ما مفهومه للوطن والدولة؟ واستطرادًا: كيف ستكون دولة لبنان المستقبل؟

لا يهمّنا إن حال دون تحقيق هذه الدولة حتى الآن عوامل خارجية اقليمية ودولية. حركة هذا الكتاب مثل حركة النهر الجاري. وجهته البحر، لا توقفه سدود، ولا يغيّر طبيعته تغيير مجراه.

لقد نحا الدكتور شرف في دراسته منحًى موضوعيًّا، بعيدًا عن عاطفة منحازة، أو هوىً شارد. تناول خطب الرئيس الجميّل كالجرّاح يبضع ويقطع ويخيط. والكيمَاويّ يحلّل ويركّب. حتى اذا استنفد التفاصيل أو كاد حاول استخراج نظرية سياسية يقوم عليها نهج الرئيس الجميّل.

أما هدف الكتاب فانه ، ببساطة ، محاولة فهم لشخصية رجل فوّض اليه اللبنانيون قيادتهم ووضعوا مصيرهم بين يديه. فحقّ لهم ان يفهموه على حقيقته ، مقيَّدًا بأقواله وملتزمًا بأعمَاله ، كما رسم صورته ببراعة صاحب هذا الكتاب.

هل يمكن استخلاص نظرية سياسية معينة من التجربة السياسية للرئيس امين الجميّل في الحكم؟ وهل تخضع الممَارسة اليومية لسلطة القرار والتنفيذ إلى منطق مترابط وهدفية محددة؟ وهل مواقف الرئيس أمين الجميّل ، المعبَّر عنها في خطبه وتصريحاته ، هي وليدة الحاجة العابرة ونتيجة الظرف الراهن ، أم انها التعبير عن تفكير سياسي يشكّل حلقة الاتصال بين مواقف وقرارات متشعبة ومتنوعة ، يوحّدها جميعها في وحدة الهدف؟

الجواب عن هذه التساؤلات يطرح مشكلة منهجية تتصل بازدواجية في النظرة إلى واقع الأمور: فرجل الحكم ، الغارق في خضمّ التفاصيل اليومية والقرارات الملحّة ، لا يمكن أن يكون المنظِّر السياسي القابع في عليائه والجاهد لبناء إطار سياسي منطقي متكامل ومترابط العناصر؛ من ناحية ثانية ، ان ممَارسة الحكم تصبح اعتباطية ومزاجية وانفعالية ، اذا لم تقم على حدٍّ أدنى من الترابط النظري والبعد الايديولوجي .

السياسة هي مزيج من الممكن والمرتجى ، من الحاضر والمستقبل . فالحاكم هو رجل القرار في الحاضر ، لكنه يخطّط لخلق الظروف والمعطيات لتحقيق رؤياه المستقبلية . فاذا اقتصر الحكم على ان يكون قرارًا فقط ، يصبح الحاكم ، والوطن معه ، يعيشان في حاضر مستمر يتكرر ولا يتطور ؛ واذا كان الحاكم صاحب رؤية

وحسب ، صار حكمه كجمهورية أفلاطون ، التي لم يرَ أحد حتى الآن نماذجَ عملية لها .

والمشكلة تكمن في تحديد هذا الحدّ الأدنى النظري المطلوب وحصر الرؤية ضمن امكانية الحدوث ، لا إطلاقها في المدى اللا نهائي للخيال والحلم . ان السياسة هي بناء المستقبل على أسس الحاضر وفي الحاضر ، بمعنى ان يمتدَّ الحاضر طبيعيًّا وعضويًّا في المستقبل . من هنا تبرز ضرورة التكامل والتفاعل بين النظرية والعمل ، لكي تكون النظرية ممكنة التحقيق ولكي يكون العمل السياسي عقلانيًّا منظمًا وهادفًا . والتوازن المثالي المطلوب بينهمَا في الممَارسة اليومية للسلطة ليس عملية حسابية ، بل هو علاقة نسبية ترتبط بالواقع والأحداث ، فيصبح تحديد هذا التوازن بالتالي منوطًا بحكمة رجل الدولة وقدرته على استيعاب الواقع ووضعه في مجرى المستقبل ، وعلى تليين جمود النظرية لسكبها في مجرى الواقع .

ان الحديث عن أمين الجميّل رجل الدولة والحكم ، من خلال هذا المنظار ، يجب أن يأخذ في الاعتبار الملاحظات التالية : ان أمين الجميّل لم يدخل السياسة من باب الفلسفة والتنظير ، بل من خلال الممَارسة السياسية اليومية الملتزمة ، فشكّل هذا الالتزام الخلفية الايديولوجية – والنظرية إلى حدٍّ ما – التي جعلت من عمله السياسي نضالاً هادفًا نحو غائية محدَّدة . على ان البُعد المستقبلي ، وإرادة التطوّر والقدرة على الإبداع في شخصية امين الجميّل سمحت له ، عبر تعميق التجربة السياسية اليومية ، بتطوير الالتزام الحزبي الى التزام بالانسان المطلق ، ضمن نظرة متكاملة تستوعب ، في وحدة التفكير وهدفية العمل ، الانسان والمجتمع والوطن والدولة .

ان امين الجميّل في الحكم لا يعني وصول رمز ثورة معيّنة إلى السلطة . فالثورة رفض في المطلق لنظام قائم وعمل لنسفه في جذوره ، لاقامة بناء جديد مغاير تمَامًا مكانه . وأمين الجميّل المناضل حمل السلاح للدفاع عن القِيَم والمفاهيم التي آمن بها

منذ دخوله العمل السياسي ، في وجه العاملين على تقويضها ونسفها ، وهي الايمان بكيان وطني محدَّد يقوم على تراث تاريخي وحضاري ، وبنظام سياسي يرى فيه المؤالفة الفضلى بين الانسان والمجتمع والدولة ، في إطار الحرية والديمقراطية .

في الوقت نفسه ، ليس أمين الجميّل ، في الحكم ، الاستمرارية التي ينتفي فيها الطموح وتزهر فيها الرتابة . امين الجميّل هو التطوير في التغيير ، والتغيير من ضمن الاستمرارية ، والاستمرارية من خلال الشرعية القائمة على التاريخ وإرادة الشعب . امين الجميّل في الحكم هو نمط جديد وعقلية تحديثية وأسلوب متحرك يقوم على ديناميكية السلطة والقرار ، وعلى الجرأة والوضوح والإقدام ، وهي صفات افتقدها الحكم اللبناني في عهود اللاموقف واللاقرار والمسايرة والمراوحة .

لقد بدأ أمين الجميّل حياته مناضلاً حزبيًّا ، حتى وصل إلى رئاسة الدولة . والمسافة بين المحطتين هي نفسها تلك المسافة بين امين الجميّل النصير للرفاق ، وامين الجميّل نصير الانسان والمواطن . والسؤال الذي يطرح نفسه علينا ، في هذه الدراسة ، هو توضيح القناعات الأساسية التي تسيّر تفكير الرئيس الجميّل وعمله ، هذه القناعات التي تدخل في إطار الحدّ الأدنى النظري المطلوب ، في الممارسة السياسية . على ان هذه القناعات لم تتكوّن مع وصول أمين الجميّل إلى سدّة الرئاسة ، بل هي رافقته منذ بداية نضاله السياسي ، وكانت تتعمق وتأخذ بعدها الوطني والانساني بقدر ما كانت تجربته السياسية تترسخ وتغتني ، فكان التفاعل بين القناعة والتجربة متبادلاً ، وكذلك الاثراء . من هنا ، يجب فهم قناعات الرئيس الجميّل انطلاقًا من تواصل الماضي والحاضر والمستقبل في تفكيره وعمله ونظرته إلى الوطن والدولة : الماضي كتاريخ يحوي تراثًا وحضارة وتقاليد مجموعات تعايشت وتفاعلت في الحرية والاحترام المتبادل ؛ الحاضر كتقهقر وضياع وانقسام ، ولكن أيضًا كإرادة إنقاذ كامنة في أعماق الوجدان اللبناني ؛ والمستقبل كرؤيا خلاص وإرادة بناء وتطوير .

فكيف ينظر الرئيس أمين الجميّل إلى تحدّيات الحاضر ، وكيف يتصور ولوجَ المستقبل؟ وأي وطن هذا الذي يجهد لإنقاذه ولوضعه على خط الإبداع من جديد؟ وأية دولة تلك التي تتخطّى هذا الواقع المرير وتخطط للمستقبل المشرق؟

من المأساة ... إلى الأمل

الوعي الايجابي للمأساة

ينطلق الرئيس أمين الجميّل ، في معالجته مشكلةَ الوطن والدولة ، من منهجية التفاعل بين الواقع والمرتجى ، من تكاملية الاستمرار والتطوّر ، من جدلية الحاضر والمستقبل : «علينا الانطلاق من واقعنا لكي نستطيع تحقيق أحلامنا»[1] . انها رحلة التخلّص من قسوة الواقع للإطلالة على عظمة الحلم ، تلك التي يدعو أمين الجميّل اللبنانيين إليها .

فالرئيس بدأ عهده وسط مأساة الوطن والدولة . «فالوطن في حال من العناء والعياء ، وحدته حقيقة في الضمائر وواقعه تمزّق على الأرض»[2] . أما الدولة فهي «معطّلة المؤسسات ، تتنازعها مصالح الدول والدويلات»[3] . وبالتالي ، يصبح الخروج من المأساة يتطلب ، بشكل أساسي ، الاستيعاب العميق لها ، في واقعها وأبعادها ومسبباتها ، لكي يتم تخطّيها ، لا عن طريق الهروب منها إلى الأمام أو تجاهلها ، بل في فعل إرادة وبناء للمستقبل . انه قرار الخروج من دوامة الدم

[1] رسالة الى اللبنانيين في عيد الاستقلال ، ٨٢/١١/٢١ .
[2] خطاب في جلسة القسَم الدستوري ، ٨٢/٩/٢٣ .
[3] المرجع السابق .

والدمار والخراب إلى فجر السلام والبناء والمحبة. «لقد جئت إلى هنا لاؤكّد لكم ان لبنان... سينتصر على الصعاب ويتخطّى كل العقبات، وان بلادنا سوف تولد من جديد... سوف نسترجع الأرض ونبني الدار من جديد، وسوف نبني الوطن الذي يستحقه شعبنا اللبناني العظيم»[٤]. والخروج من المأساة ليس قفزة في المجهول، انما هو «الرهان على المستقبل الأفضل لكل اللبنانيين في العنفوان والمجد، في الفرح والسعادة»[٥]، انه رؤية رجل الدولة الواعي والمدرك والمريد: «ان رؤيتي إلى المستقبل واضحة»[٦]، انه العقد بين الشعب والمستقبل: «اليوم يُبرم عقدنا مع المستقبل: ان تكون الدولة الشرعية، دولتكم، هي الدولة ولا دولة سواها...»[٧].

ان وعي أمين الجميّل للمأساة ليس مأساويًّا، بل هو وعي الواثق بنفسه، والمؤمن بغده والمراهن على إرادة شعبه. وهذا الوعي هو الشرط المسبق للتغلّب على المأساة. فالخروج من المأساة ليس حالة سلبية تعني انهاء وضع شاذّ للعودة إلى رتابة الاستمرار الذي يؤدي، من جديد، إلى التمزّق والمأساة، إنمَا هو فعل ايجابي هادف إلى تحقيق «الأحلام»، أي الوصول إلى الحالة الفضلى التي يبتغيها الحاكم والشعب.

لقد بدأ أمين الجميّل عهده الرئاسي والوطن والدولة يعانيان مأساة مستمرة منذ ثمَاني سنوات، ضربت مثلث الركائز الذي يقوم عليه مجتمعنا السياسي والوطني: الأرض والشعب والمؤسسات:

فالأرض محتلّة ممزقة تتجاذبها أطماع الطامعين: «بيروت العاصمة المشطورة بين غرب وشرق...، الجبل قلق من تفكّك الأواصر بين قُراه...، أما الشمال فأصابته العاصفة...، فباعدت بين جزء غالٍ من الوطن وسائر أجزائه...، والبقاع تحوّل

---

[٤] لقاء الجالية اللبنانية في هيوستن، ٨٣/٧/٢٣.

[٥] خطاب في جلسة القسَم الدستوري، ٨٢/٩/٢٣.

[٦] خطاب أمام الأمم المتحدة، ٨٢/١٠/١٨.

[٧] خطاب في جلسة القسَم الدستوري، ٨٢/٩/٢٣.

إلى ميدان تتصارع فيه القوى الخارجية... أما الجنوب، ففي تطلّع دائم إلى الوطن والدولة».

والشعب «تقوم الحواجز بين ابنائه»، والدولة «معطلة المؤسسات منهوبة الموارد، مغتصبَة المرافق...»[٨]، والنتيجة انعكست على جميع المستويات: «فاذا بالصرح الديمقراطي الذي كان يشكله لبنان يهتزّ...»[٩]، واذا المأساة «تترك آثارها البالغة في الانسان والأرض والمؤسسات... ان مجتمعنا تضرَّر ودولتنا تصدّعت، وحلّت شرور كثيرة في المناطق والعيال...»[١٠]، واذا الوجود الوطني الحر والمستقل في خطر: «ان أعلامًا عديدة ترتفع في أرضنا وتعلو على علمنا... وان قوىً مختلفة تُنازع وطننا حقَّه وشرعيته...»[١١].

وكما كان للرئيس الشجاعة لسبر أغوار المأساة، فان له الجرأة والقدرة على تحديد أسباب الداء الذي أوصل لبنان إلى النزع الأخير: «ان نزاعات المصالح بين الآخرين، والصراعات بين دول المنطقة، والتناقضات الايديولوجية في العالم العربي، والوجود الفلسطيني المسلّح وغير المنضبط، والاجتياحات والتدخلات الاسرائيلية المتمَادية... ان كل ذلك تضافر، منذ العام ١٩٧٥، على خلق حال من الحرب الدائمة في لبنان»[١٢]. وعندما يعلو صوت الرئيس بهذا الوضوح، يبطل وجود لبنان المغلوب على أمره، المستنزَف، المستضعف، المتهم زورًا وتجنّيًا، الخائف من إغضاب الآخرين ولو على حساب عافيته ووجوده، ليرتفع صوت لبنان صاحب الحق، الواثق بذاته، المصمّم على الخروج من مأساته، لبنان المستمدّ «من الحق قوة ومن القوة حقًّا»، يدافع عن نفسه بقوة حقه، يتهم الآخرين في تصرفاتهم وسلوكهم ومواقفهم وسوء نيتهم تجاهه: «نحن ندفع الثمن عن

---

[٨] المرجع السابق.
[٩] خطاب أمام الأمم المتحدة، ٨٢/١٠/١٨.
[١٠] رسالة الى اللبنانيين في عيد الاستقلال، ٨٢/١١/٢١.
[١١] المرجع السابق.
[١٢] خطاب أمام الأمم المتحدة، ٨٢/١٠/١٨.

الغير. لقد كنّا نتساءل عن نتيجة التساهل العربي لما كان يحصل في لبنان. كنّا نتساءل عن الفوضى المتأتية عن العمل الفلسطيني غير المنضبط في الجنوب وغير الجنوب. كنّا نتساءل عن سبب تحويل لبنان إلى ساحة حرب بين الأنظمة العربية...»[١٣]. ويستمرّ الرئيس في كشف الأوراق التي توضح المسؤوليات والمخططات المتربصة بمصير لبنان والعابثة بسلامته، ليقابلها بإرادة الخلاص العنيدة: «على الأرض اللبنانية ثمانية عشر جيشًا أجنبيًّا. من المسؤول عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان؟ من المسؤول عن طرح القضية في الأمم المتحدة؟ من المسؤول عن استقدام المارينز؟ لكن عندما يسعى لبنان إلى استعادة حريّته ومحو آثار التخاذل والتجاهل العربي لأبسط قواعد الاخوّة والتضامن العربي...، كيف يمكننا أن نقول له لا؟ كيف يمكن أن نجرّمه ونعاقبه، وهو يسعى إلى إعادة الحرية والاستقلال إلى هذه الأرض؟، ولبنان لم يتنكر يومًا لواجباته العربية، لكن العرب لم يبادلوه ولو بمبادرة واحدة تضمد جروحه...»[١٤].

مسؤولية الخلاص وإرادة الإقدام

ان عمق الاستيعاب للمأساة لا يوازيه إلّا حجم مسؤولية الخلاص وصلابة إرادة الإقدام: «ان همًّا واحدًا يتملّكني الآن، هو وقف دور العنف والنزف على أرض لبنان. يجب أن تنتهي كل حروب الآخرين في لبنان وعلى حساب لبنان. يجب ضمان أمن الوطن وسلامة المواطن...». فأمين الجميّل لا يمكن أن يكون «رئيس رؤساء» في «دولة الدويلات» أو رمز وحدة في شعب تمزّقه تعددية الولاءات والتطلعات والمصالح، أو قائد وطن في طور الاحتضار، أو مؤتمنًا على مجموعة طوائف، رجالاتها وإراداتها مرهونون ومرتهنون لدى الأنظمة والدول، أو مسؤولاً عن وحدة أرض تعبث بها جيوش الآخرين. ان امين الجميّل يعمل ليكون قائدًا

---

[١٣] لقاء مع الوفد الإعلامي الخليجي، أيار ٨٣.

[١٤] المرجع السابق.

لحركة التحرير والتوحيد ، لوطن يأبى «الانسلاخ والارتهان» ، ورئيسًا لدولة تستمدّ قرارها من اطلاقية وحدة سيادتها وسلطتها ، وزعيمًا لشعب عائد إلى ذاته ووطنه ، بعد أن شدّه الحنين إلى قِيَم هذا الوطن ومُثله وحضارته ، فترك الإشراك في الولاء ليعطي «الأولوية للبنان وللولاء المطلق»[١٥] ، وموحدًا لشعب «موحِّد بربّه وموحِّد بوطنه» ، ولأرض تستمدّ قدسيتها من تقديس المؤمنين بها ، وطهارتها من عرق الأبطال ودماء الشهداء التي غسلت تربتها .

ان تطلّع أمين الجميّل هذا ، في اتّساعه وطموحه وسموّه ، يرتكز إلى قاعدتين أساسيتين :

- «ان الرجال في لبنان اليوم واعون للتحدّي التاريخي الذي يواجههم ...»[١٦] .
- «نتطلّع إلى الغد بإيمان وأمل وعزم : إيمان بلبنان وديمومته ... أمل بمستقبل مشرق ... ، وعزم على ترسيخ الإيمان وتحقيق الأمل ...»[١٧] .

مغامرة الإنقاذ ومنهجية المستقبل

فالخروج من المأساة ليس إذًا رغبة حاكم رومنطيقي النزعة ، أو رجاء مستعبد أو أمل سجين ؛ انه قرار شعب يريد العودة إلى أصالته ، فكان التوحيد رائده ، وشعب يريد استعادة وطنه ، فكان التحرير رائده . وعلى هذا الأساس ، أطلق أمين الجميّل «مغامرة الانقاذ»[١٨] ، وهي في أساسها مغامرة تحدٍّ ورهان : تحدي الذات لكل مواطن ، تحدي الوحدة والحرية والحق والشرعية للشعب في وجوده ، تحدي الأصالة للمؤامرة ، ورفع لتحدي التاريخ ، الذي لا يرحم المتخاذلين والمقصّرين واللاّهين عن الأوطان : «ان لبنان الـ ١٠٤٥٢ كلم٢ يأبى

[١٥] خطاب في جلسة القسَم الدستوري ، ٨٢/٩/٢٣ .
[١٦] خطاب أمام الأمم المتحدة ، ٨٢/١٠/١٨ .
[١٧] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٣/١/٦ .
[١٨] خطاب في جلسة القسَم الدستوري ، ٨٢/٩/٢٣ .

الانسلاخ كما يرفض الارتهان ، ويصرّ على أن يرجع إلى نفسه ويستعيد ذاته»[١٩] . وهي الرهان الرابح على المستقبل القائم على إرادة الشعب الهادفة إلى إنقاذ لبنان : «ان لبنان لن يكون وطنًا مستضعَفًا يقوم بأعمَال السخرة لخدمة مآرب الآخرين ... وحسبي أن أتسلّح مستقويًا بإرادة الشعب الواحد الموحّد لأفيَ بالوعد ، وأخوضَ معكم عظيم الرهان في مغامرة الانقاذ ومغامرة التحرير ، من بيروت الكبرى إلى لبنان الكبير»[٢٠] .

وعندما يتكلّم أمين الجميّل على «مغامرة الانقاذ» ، فليس يرتسم في تفكيره فقط انقاذ وحدة الأرض من الأطمَاع ووحدة الشعب من التشرذم ووحدة المؤسسات من الضياع. ان انقاذ الحاضر هو إنقاذ لوطن له تراث تاريخي حضاري ، يمتدّ عبر آلاف السنين ويترك بصمَاته على مجرى تاريخ الشرق : «رأينا من الجيوش في تاريخنا ما لم يرَه شعب من الشعوب ، وزالت الجيوش ودولها ، وبقي لبنان»[٢١] ؛ وإنقاذ لطاقات الشعب اللبناني الإبداعية والخلاّقة والفاعلة : «أعطونا السلام وخذوا منّا ما يدهش العالم»[٢٢] ؛ وانقاذ لهذه المنطقة من الشرق الأوسط من ويلات ما يتهددها في حال امتدت النار اللبنانية الى هشيمها : «لقد أضحى لبنان مفتاحًا للحرب في المنطقة ، كما هو مفتاح للسلام... فان لم ينتصر لبنان على واقعه ، وقعت بيئته في الفوضى والضياع ، وان مسّته التجزئة ، تجزأ معه كل وجود سياسي موحَّد في المنطقة كلها»[٢٣] ؛ وإنقاذ لدور يتفرد به لبنان تاريخًا وحاضرًا ، دور تعايش الأجناس والأديان في الإطار السياسي الواحد ، الذي يعبّر عنه لبنان أفضل تعبير: «ان حرص لبنان على تثبيت استقلاله يحمل بُعدًا حضاريًّا خاصًّا»[٢٤] ؛ وإنقاذ الانسانية من تجربة مميتة قد تنعكس كارثة على التعاون الانساني مستقبلاً : «ألم تُثبت التجربة اللبنانية ، على شقائها ، أية مأساة انسانية وأية أخطار

---

[١٩] المرجع السابق.

[٢٠] خطاب في احتفال تخريج الضباط ، ٨٣/٥/٦.

[٢١] لقاء الجالية اللبنانية في واشنطن ، ٨٣/٧/٢٣.

[٢٢] خطاب أمام الأمم المتحدة ، ٨٢/١٠/١٨.

[٢٣] خطاب أمام قمة دول عدم الانحياز، ٨٣/٣/٩.

[٢٤] كلمة في مناسبة يوم العلَم ، ٨٢/١١/١٨.

للسلام في العالم يمكن أن تتولد نتيجة الاعتداء على الحقوق»[٢٥].

فبقدر ما تهدّد المأساة اللبنانية المحيط ، يجعل الانقاذ من لبنان عنصر انماء في الشرق وعنصر استقرار لمستقبله : «فان في لبنان الموحّد المعافى ، الحرّ والمستقر ، اطمئنانًا لاشقّائه وسلامًا لمجتمعاتهم وضمانًا لقضاياهم»[٢٦]. وبقدر ما جعلت المأساة من الوحدة والحرية والاستقلال سرابًا للبنانيين ، يكون الانقاذ صحوة وتخطيطًا لمستقبل أفضل.

وهذا المستقبل ليس استمرارًا رتيبًا في الزمن ، مستمدًّا من استمرارية الحياة ذاتها ، وليس فعل إرادات دول وزعماء ؛ وهو لا يقوم على توازن قوى بين متخاصمين ، وإلّا أصبح حاضرًا مستمرًّا يستهلك هذه القوى في صراع البقاء. المستقبل لا يمكن أن يكون ردة فعل عاطفية أو غريزية. انه في الأساس والانطلاق فعل إرادة وفعل نضال : إرادة واعية مدركة مسؤولة وهادفة ، يعبّر عنها إصرار شعب على الحرية والكرامة على أرضه وفي إطار دولته ، وفعل نضال بين قوى متعددة تستهلك طاقاتها في عملية بناء مشترك يعبر عن طموحات ومصالح جميع فئات الشعب اللبناني : «بفخر وأمل كبيرين جئت لأعلن أمام مجلسكم... عزم اللبنانيين ، جميع اللبنانيين ، على العيش معًا ، انمَا وحدهم ، في لبنان مستقل ، واحد موحّد إلى الأبد ، لا يتجزأ...»[٢٧]. ان لبنان المستقبل ومستقبل لبنان يرتبطان بالماضي والحاضر من خلال عنصرين أساسيين :

١. تراث تاريخي طويل غني بالبطولات ، برّر ويبرّر حق لبنان بالحياة ، وهو حق اكتسبه الأجداد بالعرق والدم والموت.

٢. معاناة الحاضر بكل مآسيها التي أيقظت جميع اللبنانيين بكل فئاتهم على جسامة النتائج المترتبة على اضمحلال لبنان ، فارتدّوا جميعًا وتلاقوا على ضرورة

---

[٢٥] خطاب أمام مجلس الأمن الدولي ، ٨٢/١٠/١٨.

[٢٦] كلمة في احتفال جمعية المقاصد ، ٨٣/٥/٢٩.

[٢٧] خطاب أمام مجلس الأمن الدولي ، ٨٢/١٠/١٨.

استمراره. وهذه المأساة وضعت أمام اللبنانيين حقيقتين: الأولى، ان إمكان زوال لبنان هو خطر جدي يتهدد الوطن؛ والثانية، ان هذا الخطر ينتج أساسًا عن تراخي اللحمة في ما بينهم وتناسيهم جوهر وجود لبنان في قِيَمه المثلى في الحرية والاستقلال والكرامة، وتضحيتهم بهذه الحقيقة الكبرى لتغليب مصالحهم وايديولوجياتهم على حساب الوطن. ان هذه المحنة – المأساة تشكّل الخط الأحمر بين الوجود واللاّوجود، ليس للبنان الوطن فحسب، بل بالنسبة إلى كل مجموعة من مجموعاته الحضارية وكل فرد من أفراده المتعلقين بحرية الوجود وكرامة العيش. فلبنان الوطن هو السياج الذي يحمي هاتين الحرية والكرامة ويحفظهما. فإذا انهار هذا الوطن – السياج، فكل ما في داخله – الأرض والشعب والمؤسسات – يصبح مشاعًا مستباحًا للطامعين والعابثين.

ان اللبنانيين هم المسؤولون الأُوَل عن الوصول إلى هذا المأزق، وهم وحدهم القادرون على الخروج منه. وبداية الخروج من المأزق هي في عودة اللبنانيين إلى لبنان؛ بمعنى آخر، أن تقوم كل مجموعة من مجموعاته بفحص ضمير تقوّم فيه ما يمثّله لبنان بالنسبة إلى وجودها الحرّ، وما قد يترتب من نتائج وخيمة على زواله. ان جردة حسابات كهذه وحدها قادرة على أن ترسّخ من جديد في أعماق كل مجموعة وكل فرد القناعة المطلقة بضرورة استمرار لبنان والدفاع عن وجوده: «علينا أن نستحق لبنان لنستعيده، علينا أن نرجع إليه لنسترجعه...»[٢٨]. والعودة إلى لبنان هي عودة عن مطامع الهيمنة وايديولوجيات الاستئثار وعقلية الحصص وحسابات الخسارة والربح، وهي أمور وضعت بين اللبنانيين حواجز وفتحت للغريب باب التدخّل وحوّلت الوطن إلى شركة محاصّة تدار بعقلية مركنتيلية مكيافيلية، محرّكها وغايتها الربح.

ان مغامرة الانقاذ واجب على كل لبناني مخلص، وإلّا حلّت لعنة التاريخ

[٢٨] خطاب في جلسة القسَم الدستوري، ٨٢/٩/٢٣.

على اللبنانيين. فهم اشتهروا كشعب مغامر سبرَ أغوار المجهول ، والخطر أن يشهّر بهم التاريخ كشعب غامر بوطنه. ومن غير المنطقي أن ينتظر اللبنانيون المنقذ من خارج ، لأن هكذا منقذ سيعمل على انقاذ مصالحه وخططه وطموحاته : «ويبقى الاعتماد على النفس هو رائدنا الأبرز ، لأن أي بديل لا يقوم مقام الأصيل في مجالات الحق الوطني...»[٢٩].

ان عملية الانقاذ ترتبط بشرط مسبق هو اقتناع المنقذ بضرورة انقاذ ما يودّ إنقاذه. من هنا ، يبدأ انقاذ لبنان باقتناع اللبنانيين بضرورة انقاذه وبقائه وطنًا ملجأً لهم جميعًا. فأي وطن هو ذلك الذي يدعو أمين الجميّل اللبنانيين إلى إنقاذه؟

[٢٩] خطاب في احتفال تخريج الضبّاط ، ٨٣/٥/٦.

وَطنُ التاريخ وَالحضَارة ...
وَطنُ الإنسَان وَالمستقبل

لبنان ، الوطن المميَّز

ينطلق امين الجميّل في رؤيته للبنان من كونه «وطن الانسان ، وطن الفكر والفرح ، وطن العقل والكرامة والحرية» . الفكر والعقل ، الكرامة ، الحرية ، أقانيم ثلاثة هي في جوهر وجود الانسان ، كل انسان ، في أي مكان وأي زمان. فإذا كان العقل يعطي الوجود الانساني بُعدَه التطوري المنفتح والخلاّق ، ويكوّن جسر الاتصال بين الانسان والآخرين ، فان الحرية والكرامة تعطيان هذا الوجود البُعد الوجداني المرتبط بكيان الشخص الانساني الذي هو حقيقة وقيمة في ذاته ، يتصل بالآخرين بدون أن يفقد هذه الذاتية وهذا التمايز اللذين همَا فوق كل سلطة وكل جمَاعة وكل عقيدة وكل ايديولوجية ...

هذا الارتباط بالانسان أعطى لبنان فرادة وجوده في محيط لا يفهم الانسان ، كيانًا وحقوقًا وواجبات ، إلّا في إطار دين أو عقيدة أو ثقافة أو ايديولوجية محدّدة ، ممّا يجعل كل وجود انساني خارج هذا الإطار وجودًا منحرفًا

ومستهجَنًا يجب إزالته ويُحلَّل اضطهاده وسلبُ حريته وكرامته. ان التزام لبنان قضية الانسان جعل منه ملجأً المضطهدين والمقهورين «وملتقى الأديان والأجناس وبلد الأقليات»، ومجال تفاعل للأفكار والثقافات والايديولوجيات.

ان هذه الفرادة للوطن اللبناني ليست دورًا مفترضًا أو شخصية وهمية للبنان، في تفكير الرئيس الجميّل، بل هي واقع ثابت ترسَّخ عبر الزمان التاريخي، وفق معادلتين أساسيتين: تمَايزٌ ديني وعقائدي وايديولوجي عن المحيط، انطلاقًا من تنوّع الجمَاعات القاطنة فيه، وتفاعلٌ وجداني بين الانسان والأرض التي تحمي وجوده وحريته وكرامته. وهاتان المعادلتان كانتا في أساس قيام هجرات متعددة الاتجاهات والتكوين نحو لبنان، الذي كان لها بمثابة الأرض – الملجأ فرعى معتقداتها وتقاليدها وحمَاها وصان حرياتها، فشكلت في إطاره أقلياتٍ متمَايزة عن المحيط وعن بعضها بعضًا، من حيث الدين والثقافة. وبالتالي، ان فهم لبنان ببنيته الاجتمَاعية الحالية وتعدّديته وأصول تركيبته الحضارية، يجب أن ينطلق من هذا الواقع الديني الثقافي، ذي البعد التاريخي، للتكون السكاني للبنان: «ان لبنان قد صاغ كيانه وخلق شخصيته نتيجة التقاء العديد من الشعوب والأديان والأجناس والثقافات على أرضه»[٣٠]. ان هذا اللبنان المتميز والمتمَايز يقوم، في نظر أمين الجميّل، على ركائز أربع أساسية:

١. لبنان «بلد الأقليات، وهو مجتمع تعددي»، لأنه «ملتقى رحب للأجناس والأديان والحضارات والثقافات»[٣١]. على ان هذه التركيبة لم تكن ذات عناصر متنافرة متصارعة، انّمَا شكّلت مصدر غنى وتفاعل للبنانيين وللإنسانية، لأن الوطن الصغير كان «مصدر عطاء في كل المجالات. فهو منذ فجر التاريخ يدفع بأبنائه ليغنوا عالمًا متعدد الثقافات، ولينشروا مبدأ التعاون بين البشر»[٣٢].

---

٣٠ كلمة أمام نادي الصحافة في واشنطن، ٨٣/٧/٢١.
٣١ لقاء الجالية اللبنانية في هيوستن، ٨٣/٧/٢٣.
٣٢ كلمة أمام السلك الديبلوماسي، ٨٣/١/٦.

٢. لبنان وطن التاريخ ، يتجذّر في الزمان ، «بلد له تاريخ حافل طويل ، يمتدّ إلى آلاف السنين»[٣٣] . ومن هنا ، فشرعية لبنان ليست مستمدة من قرار دولي أو قوة خارجية ، بل هي تأخذ عبر الزمن بُعدين أساسيين :

أ) بعد تاريخي مستمر منذ «عصور طويلة» ، تميّز بالمقاومة ورغبة التحرّر والثورة بوجه شهوة السيطرة والظلم والإخضاع ، في سبيل الابقاء على الذات المتمَايزة تجاه خطر دمجها أو تذويبها . «نحن دفعنا ثمن إيماننا بمفاهيم الحرية والديمقراطية وتقديسنا هذه المفاهيم» .

ب) بُعد سياسي جغرافي ترسّخ ، عبر الزمان ، نظامًا سياسيًّا قام على احترام الحرية والمساواة والمشورة بين مجموعات متفاعلة ، يشكّل نظامنا الحالي الامتداد الطبيعي له .

٣. ولبنان وطن ذو حضارة هي وليدة التاريخ وربيبة الانسان المنفتح والمتفاعل : «نحن شعب ذو حضارة انسانية عظيمة ... حضارة اعتمدت أساسًا على المحبّة والسلام ، ولم تكن يومًا مفروضة على أحد بقوة السلاح»[٣٤] . وهذه الحضارة ليست شوفينية قومية ، أو عنصرية متعالية ، منغلقة على ذاتها ، بل هي حضارة انسانية كونية ، دائمة التجدّد والغنى والاغناء : «فقد حمل اللبنانيون منذ فجر التاريخ حضارة أغنوا بها العالم ، وحملوا إلى لبنان حضارات العالم ليغنوا حضارته ، فيستمر هو في إغناء الحضارات تلو الحضارات»[٣٥] . فهذا الوجود التاريخي الحضاري يقوم إذًا على مبدإ التبادلية في تآلف حضاري يأخذ من الحضارات المتعددة فيؤلف بينها ، ليخلق حسًّا حضاريًّا جديدًا يشكّل تجربة وإرثًا انسانيًّا فريدًا من نوعه ولا غنى عنه ، فتتبلور «ثقافة انسانية واحدة تتكامل من خلال حوار بين الخصوصيات الثقافية عند الشعوب»[٣٦] . وفي الوقت نفسه ، تؤسس هذه التجربة

---

[٣٣] كلمة أمام نادي الصحافة في واشنطن ، ٨٣/٧/٢١ .

[٣٤] المرجع السابق .

[٣٥] المرجع السابق .

[٣٦] كلمة في مناسبة يوم العلم ، ٨٢/١١/١٨ .

كياناً وطنيًّا قابلاً للحياة. فالرئيس الجميّل يعتقد ان هذه التعددية الحضارية في البنية المجتمعية ليست بالضرورة تعددية سياسية كيانية، لأن مبدأ وجودها يقوم في تفاعلها الضروري. ومن هنا، فهو يعتقد أن «هذا التمَازج الحضاري بتلاقيه ومعانيه، هو مادة أقوى للتلاحم والتعاضد، يعمّق المفهوم الوطني المطلق، ليسمو الوطن قويًّا بكل فئاته وطوائفه ومناطقه، ولكل فئاته ومناطقه والطوائف»[٣٧]، فيصبح الوطن بالتالي مصدر عطاء وإغناء لمجموعاته من خلال وظيفته الحضارية التأليفية، ومصدر غنى للإنسانية من خلال تعددية تركيبته الحضارية. والحديث اليوم عن مجموعات حضارية متمَايزة يجب ألّا يُنظر إليه كبدعة تقسيمية ابتدعها تفكير ونهج سياسي طامح للانفصال والعزلة، بل يجب قبولها كناتج للتكوين الديمغرافي والتطوّر التاريخي للبنان، كما يجب العمل على إغناء هذه التجربة الناتجة عنها، التي هي «الحضارة السياسية توحّد شعبًا، وتصهر وطنًا، ليشكّل نموذجًا مستقبليًّا للعالمين، ينطلق من الشرق ويفخر به الغرب»[٣٨]. والذين يرون في مقولة التعددية الحضارية انحرافًا سياسيًّا أو قوميًّا، انمَا هم ينظرون إلى لبنان نظرية آحادية البُعد، منطلقها ايديولوجية شمولية مغلقة تتناقض مع مفهوم الانسان القيمة الذاتية، وتجهل أو تتجاهل طبيعة الوجود التاريخي للبنان، وجوهر تركيبته الاجتمَاعية. ولهذا، فان الإطلالة التاريخية المنفتحة، غير المقيدة دينيًّا أو إيديولوجيًّا، تبدو ضرورية لاستيعاب المعنى التاريخي للوجود اللبناني بشموليته الكونية وتنوّعيته الدينية – الحضارية. «فلبنان ليس ملتقى الشرق والغرب فحسب، لكنه أيضًا ملتقى العديد من الأديان والأجناس»، بالإضافة إلى انه «صلة وصل بين الشرق نفسه»[٣٩].

٤. وانطلاقًا من هذا التواصل التاريخي في مفهوم لبنان الحضاري، يطرح الرئيس الجميّل دورًا جديدًا للبنان المعافى، يعبّر فيه عن ذاته ويخدم محيطه[٤٠].

---

[٣٧] كلمة في احتفال جمعية المقاصد، ٨٣/٥/٢٩.
[٣٨] المرجع السابق.
[٣٩] لقاء الجالية اللبنانية في هيوستن، ٨٣/٧/٢٣.
[٤٠] كلمة امام السلك الديبلوماسي، ٨٣/١/٦.

وطبيعي أن لا تقتصر هذه التآلفية الحضارية على المجموعات داخل الوطن ، بل تتعداها إلى المدى الانساني الأرحب . فهذه المجموعات الداخلية المتنوعة والمتمايزة تنتمي في جوهرها وأصولها إلى تيارات كونية دينية ، ثقافية وفلسفية ، تستمدّ منها خصائصها . وبالتالي يصبح لبنان الوطن نموذجًا انسانيًّا مصغَّرًا تتلاقى فيه هذه التيارات وتصبح تجربة «التمازج الحضاري» تجربة انسانية مصغَّرة ، تعبر إلى المدى الانساني الأوسع عبر هذه المجموعات – النماذج داخل الوطن اللبناني . هذا هو جوهر الدور المميّز الذي أدركه أمين الجميّل للبنان عبر التاريخ ، دور الحوار الايجابي بين عناصره الانسانية ، وملتقى للحضارات والأديان : «وهكذا غدت رسالة لبنان داخل الوطن وخارجه المناداة إلى اتحاد البشر شعوبًا وأممًا ودولاً ، وإلى تآلف الأديان مذاهب وعقائد ورؤى»[٤١] . هذا هو الدور الذي يدعو الرئيس الجميّل اللبنانيين الى استعادته : «نريد أن يعود لبنان رائد نهضة جديدة في هذه المنطقة»[٤٢] ، كما انه يدعو العرب لإنقاذه من الأخطار المحدقة به ، «كي يستأنف دوره الخلاّق عبر حضاراته الموحّدة»[٤٣] . فينتج عن ذلك عودة لبنان إلى ريادته الحضارية ليكمل مسار هذه التجربة ، «فتنبع من المعنى الروحي للمسيحية والاسلام حضارة جديدة هي الحضارة السياسية ...»[٤٤] ، التي تقوم على تعايش وتعاون وتفاعل مجموعات دينية ثقافية متنوعة ، في إطار وحدة سياسية تعبّر عن تآلف هذه المجموعات في وحدة العمل لبلوغ حالة أسمى ، وتحترم في هذه المجموعات خصوصياتها ونمط تفكيرها ؛ وقيام إطار سياسي يربط المجموعات عضويًّا ببعضها من دون تذويبها ، ويحترم حرية وجود كل منها من دون أن تنعكس هذه الحرية على وجود المجموعات الأخرى أو المجتمع السياسي ككل .

---

[٤١] المرجع السابق .

[٤٢] كلمة في مناسبة يوم العلم ، ٨٢/١١/١٨ .

[٤٣] كلمة في احتفال جمعية المقاصد ، ٨٣/٥/٢٩ .

[٤٤] المرجع السابق .

أُسس الوجود الوطني الموحَّد

ان الرئيس امين الجميّل يدرك عمق المأزق الذي وصلت إليه الأزمة والانقسامات بين اللبنانيين ، لجهة الانعكاسات على دور لبنان ، ولجهة أولى على وجود لبنان بالذات ، كحاجة انسانية تستأهل الدفاع عنها . لذلك يصرّ الرئيس على أن «أول ما يحتاج إليه الوطن وحدة ابنائه ووقوفهم سدًّا منيعًا في وجه كل ما يتهدّدهم من أخطار»[٤٥] . وبدون هذه الوحدة ينتفي وجود لبنان . وفي هذا الإطار ، يعيد الرئيس تذكير اللبنانيين ببعض الأُسس البديهية لوجودهم الوطني :

١. «الأرض أرضنا ، ولا ذرَّة تراب يستبيحها غريب عنوة . والشعب شعبنا فوق أرضه كل أرضه ، وحده لا شريك له بالحرام...»[٤٦] .

٢. «ان شعبنا ووطننا ومصيرنا واحد . وان اختلفت أو توزعت فيه الأدوار والسياسات والمناطق والمذاهب»[٤٧] .

٣. «لن نفرّط بذرّة من تراب أرضنا المقدسة ، ولن نفرط بحق من حقوق شعبنا العظيم»[٤٨] .

٤. «اننا لن نخضع ولن نتخلّى عن وحدة لبنان واستقلال قراره...»[٤٩] .

تشكل هذه المبادئ القواسمَ المشتركة الأساسية للوجود الوطني الواحد ، بغضّ النظر عن الفوارق والخصوصيات والخلافات بين المجموعات . فالأرض والاستقلال والسيادة والكرامة هي الجوامع التي التقى عليها اللبنانيون منذ زمن بعيد ، وهي التي تشكّل اليوم العناصر التوحيدية بينهم . فالحرية ليست ايديولوجية دين أو فئة ، بل ضرورة حياتية لكل انسان ؛ والاستقلال ليس امتيازًا للبعض ، بل جوهر وجود كل فرد ، وهو ليس استقلال المجموعات بعضها عن بعض ، انما

---

[٤٥] خطاب في جلسة القسَم الدستوري ، ٨٢/٩/٢٣ .

[٤٦] كلمة في احتفال جمعية المقاصد ، ٨٣/٥/٢٩ .

[٤٧] كلمة في مأدبة الإفطار ، ٨٣/٦/١٩ .

[٤٨] لقاء الجالية اللبنانية في واشنطن ، ٨٣/٧/٢٣ .

[٤٩] رسالة الى اللبنانيين في عيد الاستقلال ، ٨٢/١١/٢١ .

اتحادها في وجه الطامعين والغاصبين ؛ والأرض ليست مساحة ايديولوجية أو دينية ، بل معطى وجداني لكل فرد خضّبها بعرقه وبدمه دفاعًا عن حرية وجوده ومعتقده ونمط عيشه .

ويبدو الرئيس واثقًا من تجذُّر هذه الجوامع في الوجدان الجمَاعي لكل اللبنانيين ، لأنه يعلن ، بكل ثقة ووضوح ، «ان الشعب صمّم على أن يبقى ويعيش ، وصمّم على أن يحافظ على لبنانيته ويحفظ وطنه حرًّا ديمقراطيًّا مستقلاً كامل السيادة»[٥٠] . وقد حمل الرئيس هذا الإصرار إلى المنابر الدولية[٥١] ، مؤكّدًا ان الحرب دمّرت الكثير من لبنان «باستثناء عزيمة الشعب اللبناني وتصميمه على الحياة»[٥٢] . ولذلك فهو يعلن في الأمم المتحدة «ان لكل دولة الحق في صون سيادتها ، وسنصون سيادتنا . ولكل دولة الحق في أن يكون لها جيشها القوي للدفاع عن استقلالها ، وسيكون لنا هذا الجيش وسندافع عن استقلالنا»[٥٣] .

إن الإرادة المشتركة في الحياة المشتركة التي يعبّر عنها الرئيس بقوله : «ان هؤلاء الرجال الأحرار ، الشرفاء ، أرادوا بقيادة الدولة ويريدون لبنان وطنًا لا أوطانًا ، دولة لا دويلات»[٥٤] ، تحتوي ضمنًا على شعور دفين عند كل اللبنانيين بلُحمة غير منظورة توحّدهم ، برغم الخلافات والانقسامات ، في وطن الحرية حيث يجد فيه كلٌّ منهم جزءًا من ذاته وتعبيرًا عن كيانه الفردي[٥٥] . وقد يكون حرص الفئات اللبنانية جميعًا على استمرار الشرعية وكل مؤسسات الدولة هو ذلك الرابط الخفي الذي يعبّر ضمنًا عن إرادة جميع اللبنانيين في بقاء روابط تشدُّهم بعضهم إلى بعض . وما الإصرار عند كل الطوائف على الممَارسات الدستورية ، ومنها انتخاب رئيس للجمهورية بحسب الأصول الدستورية المعروفة ، إلا دليل واضح على إرادة الاستمرار المشترك والحياة المشتركة ، في إطار الدولة اللبنانية . وقد

---

[٥٠] لقاء الجالية اللبنانية في ديترويت ، ٨٣/٧/٢٤ .
[٥١] خطاب أمام قمة دول عدم الانحياز ، ٨٣/٣/٩ .
[٥٢] كلمة أمام نادي الصحافة في واشنطن ، ٨٣/٧/٢١ .
[٥٣] خطاب أمام الأمم المتحدة ، ٨٢/١٠/١٨ .
[٥٤] كلمة في مأدبة الإفطار ، ٨٣/٦/١٩ .
[٥٥] لقاء مع الوفد الإعلامي الخليجي ، أيار ٨٣ .

يكون هذا الشعور وراء قول الرئيس بأن «اعتمَادنا الكامل هو على أنفسنا وعلى تصميمنا على البقاء ، معتمدين في ذلك على ثقة اللبنانيين بأنفسهم وتمسّكهم بمصيرهم الواحد»[٥٦] . وهذه الثقة مستمدة من كون «الشعب اللبناني ما تعوّد البكاء يومًا ، لكنه مستمرّ في تعزيز قدراته الوطنية ... من أجل أن تبقى الأرض اللبنانية موئلاً للكرامة والحرية وملجأً لكل مضطهد»[٥٧] .

اللبنانيون وإرادة الحياة المشتركة

انطلاقًا من هذه الثقة وهذا الوعي ، يدعو الرئيس اللبنانيين إلى انقاذ الوطن ، لأنه «أي واجب يتقدم اليوم على واجب انقاذ الوطن ممّا يعانيه ويتخبط فيه؟ انها مسؤولية كل مواطن ، أيًّا كان وأين كان ، ليستحق مواطنيته ويستأهل لبنانيته»[٥٨] . والانقاذ يرتبط بالبناء الذي هو واجب كل مواطن : «فليسأل كل مواطن نفسه ماذا أستطيع أن أقدم للبنان حتى تعود كل ترابة من ترابات كوكبًا يضيء بالعزة والكرامة»[٥٩] . وبديهي أن يكون جواب الرئيس بسيطًا : فالجهود يجب أن تصبّ في «تحرير لبنان» «بتحرير النفوس من أي ازدواجية أو احتواء ، لأن شعبًا يواجه احتمالات في مستوى المصير لا يمكن أن يكون أسير التناقضات أو أسير الولاءات الخارجية»[٦٠] . ان تحرير الأرض والنفوس هو عودة إلى الجذور. فالأرض كانت رمز حرية الانسان اللبناني عبر العصور ، واحتلالها شوّه هذه الحرية ، فوجب تحريرها . وهذا يفرض على اللبنانيين تحرير نفوسهم من الارتهان إلّا للبنان ، لكي يبنوا وطنًا «يقاس المرء فيه بمَا يحمل في قلبه من محبة للبنان ، وحيث كل فرد فيه

---

[٥٦] لقاء الجالية اللبنانية في واشنطن ، ٨٣/٧/٢٣ .
[٥٧] لقاء مع الوفد الإعلامي الخليجي ، أيار ٨٣ .
[٥٨] خطاب في احتفال تخريج الضباط ، ٨٣/٥/٦ .
[٥٩] كلمة في مناسبة يوم العلم ، ٨٢/١١/١٨ .
[٦٠] خطاب في مناسبة عيد الجيش ، ٨٣/٨/١ .

ينال شرف الانتمَاء إليه ، ليس بصدفة المولد ، بل بفضل ما يقدمه لوطنه من خدمات»[٦١] .

إن شرعية وجود لبنان اليوم مرتبطة ارتباطًا مصيريًّا بإرادة المجموعات اللبنانية مجتمعة . فإما أن تلتقي الفئات جميعًا على تجديد الايمان بلبنان التاريخ والحضارة ، وإما أن يتنكر اللبنانيون لهذا اللبنان فيفقد مبرر وجوده ويصبح في مهب التفكك والزوال .

«اللبنانية»

ان الواقع الذي يعيشه الوطن اليوم ، يضع وجوده موضع تساؤل ، لأن انفراط عقد التلاحم والتعاون بين اللبنانيين يهدد بالقضاء على التركيبة المجتمعية المتنوعة للبنان ، والقضاء على هذه التركيبة يُفقد لبنان امكان القيام بدوره الحضاري الخلاّق . ويمكن إدراك المعنى العميق لنظرة الرئيس هذه من خلال دعوته إلى «خلق أهداف ثقافية جديدة» ، تؤدي إلى اضفاء «الطابع اللبناني على كل تعبير أو إنتاج أو إنجاز»[٦٢] ، ومن خلال دعوته إلى اتخاذ كل الخطوات «لخلق حسّ وطني جديد ووضع قيم وطنية وصياغة شخصية وطنية لبنانية الجوهر ولبنانية الروح ، لبنانية في منهج حياتها ونمط تفكيرها»[٦٣] . وكأني بهذه الدعوة تحمل ، ضمناً ، طلبًا إلى اللبنانيين للخروج من خصوصياتهم إلى انفتاح طابعه المميز «اللبنانية» ، وهي ذات بُعد مستقبلي مزدوج :

١. «فاللبنانية» اليوم ليست نعتًا منبثقًا من اسم لبنان ، أو نعتًا يتبع الجنسية ، وليست وقفًا على التطلّع المسيحي أو الاسلامي . «اللبنانية» اليوم صيغة فريدة يجب أن يلتقي فيها الاسلام والمسيحية في كيان سياسي واحد ، حيث

---

[٦١] لقاء الجالية اللبنانية في ديترويت ، ٨٣/٧/٢٤ .

[٦٢] كلمة في مناسبة يوم العلم ، ٨٢/١١/١٨ .

[٦٣] لقاء الجالية اللبنانية في ديترويت ، ٨٣/٧/٢٤ .

يتفاعلان في اطار من المساواة والتعاون ، وبدون غبن أو ظلم أو هيمنة . و«اللبنانية» اليوم هي التحدي المطروح على المسيحية والاسلام من خلال امكاناتهما ، كأديان سمَاوية موحّدة ، على إطلالة سياسية موحّدة في إطار كيان نموذجي يبرهن للعالم ان علاقات الأديان يمكن أن تكون في إطار من التفاعل وليس في الصراع المطلق .

«اللبنانية» اليوم هي تجربة فريدة لجعل لبنان مختبرًا للإنسانية . والتجربة اللبنانية اليوم على مفترق طرق حضاري حاسم : فإما أن تنجح فتعطي الانسانية أملاً جديدًا في إمكان التعايش والحوار والتفاعل بين الحضارات ، من خلال «اتحاد البشر شعوبًا وأممًا ودولاً ، وتآلف الأديان...»[٦٤] ، وإما أن تفشل فتكون بذلك صفعة قوية للانسانية ، تبرهن لها ان علاقة الحضارات والأديان هي بالضرورة علاقة تصادمية ، فيرتدّ الاسلام والشرق إلى الانغلاق ، وتندفع المسيحية في إعادة قراءة نقدية مشكّكة لمفاهيم الانفتاح والحوار.

ان لبنان ليس حاجة عسكرية أو اقتصادية أو استراتيجية لدولة أو مجموعة دول . انه ، أساسًا ، حاجة للانسانية جمعاء ، من واجبها ومصلحتها أن تحافظ عليه ، إذا ما خرجت من شوفينيتها . وهذا هو التحدي المطروح اليوم على الدول والشعوب ، بالنسبة إلى مأساة لبنان ، والمطروح أيضًا على المسلم اللبناني والمسيحي اللبناني . فالدور المرسوم للبنان مفصَّل على مقاس المجتمع اللبناني . وهنا تكمن مسؤولية المسلم اللبناني في اعطاء المفاهيم الاسلامية أبعادًا انسانية جديدة ، تخرجها من شموليتها وانغلاقها الايديولوجي إلى أُفق التفاعل في الحرية والمساواة . ان المسلم اللبناني ، اليوم ، أمام دور تاريخي لم يتهيأ لأي مسلم آخر ، وهو دور تترتّب عليه مسؤولية مثلثة الأبعاد : اسلاميًّا ، إخراج الاسلام من المأزق الحضاري الذي هو فيه ؛ لبنانيًّا ، انقاذ الصيغة اللبنانية وانجاح الدور اللبناني ؛ انسانيًّا ، الانفتاح على المسيحية ، في إطار الاعتراف المتبادل وحق التمَايز والمساواة .

---

[٦٤] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٣/١/٦ .

قد يكون إنقاذ لبنان اليوم من المأزق الدموي الذي هو فيه ضرورة ملحّة. لكن لبنان المرتجى هو لبنان التجربة الحضارية. ولن يتمّ إنقاذ هذه الصيغة عن طريق النظرة المصلحية الضيقة عند الدول والشعوب. فالانقاذ ينطلق من قناعة انسانية شاملة بأن وجود لبنان هو مصلحة انسانية مشتركة يجب التضافر لإحيائها.

من هنا، ان الاتفاق على مفهوم للبنان متميز وعدم صبغه بصبغة قومية ضيّقة الأبعاد، يبدو لنا إنصافًا للتاريخ ولحقيقة لبنان. ولذا يبدو لنا الصراع حول الصبغة القومية للبنانية في غير محلّه، لأن أيّ نعت قومي للبنان ضمن التصنيفات الشائعة، فيه إفقار لهذا اللبنان «ذو القومية الكونية»، إذا صح القول، قومية تستوعب اتجاهات انسانية، دينية، ثقافية، فلسفية، مجتمعية، تآلفت وترسخت عبر التاريخ الطويل، فأصبحت جزءًا منه، وأصبح لبنان اليوم امتدادًا لها.

٢. ان حديث الرئيس الجميّل عن «لبنان مفتاح الحرب والسلام في المنطقة»[٦٥] له بُعد مهم. فالشرق الأوسط هو منطقة الأديان قبل أي شيء: المسيحية واليهودية والاسلام. والصراع في الشرق الأوسط، في بُعده الأساسي، «صراع آلهة». وبالتالي، فبداية الحل في «مصالحة الآلهة مع بعضها». ان تمهيد السبيل لمصالحة مسيحية – اسلامية في لبنان قد يكون التمهيد والنموذج «لمصالحة بين الآلهة» على مستوى الشرق، فتتعايش الأديان، وتتقارب الشعوب في وئام وسلام.

والاسئلة التي تطرح نفسها: كيف يتمّ التحرير؟ كيف تعود الوحدة؟ كيف تُنقَذ الصيغة ويُستعاد الدور؟ كيف الخروج من شعارات التحرير والوحدة إلى معركة التحرير والوحدة؟ كيف الخروج من متاهات الارتهان إلى طريق استقلالية القرار؟ كيف يطلّ لبنان من جديد على العالم؟

انها عملية الانقاذ تطرح نفسها من جديد علينا، لتحرير الانسان من الخوف والإرهاب والضغط والإكراه ليعود إلى ذاته وحرية معتقده وتفكيره؛

---

[٦٥] خطاب أمام قمة دول عدم الانحياز، ٨٣/٣/٩.

تحريره من أعباء الحاضر لينطلق في بناء المستقبل ؛ تحريره من أعباء الوجود المادية لينطلق في طريق الخلق والإبداع ؛ تحريره من غرائزه وأنانياته وأحقاده لتنطلق قواه وطاقاته إلى ملاقاة قوى مواطنيه وطاقاتهم في عملية بناء الوطن من جديد. «على ان مغامرة الإنقاذ ، وان كان للشأن العسكري حيالها دوره البارز ، إلا أنها تتناول شتّى المرافق والمجالات والقطاعات ، من أمنية واقتصادية واجتمَاعية وتربوية واصلاحية على اختلافها»[٦٦]. وهنا يكمن الدور الفاعل والحاسم للدولة ، كمؤسسات ووظائف لايصال «مغامرة الانقاذ» إلى الغايات المرجوّة.

[٦٦] خطاب في احتفال تخريج الضباط . ٨٣/٥/٦.

السياسة والحكم، بين الثابت والمتغيّر

تميّزت السنة الثانية من عهد الرئيس أمين الجميّل بتحولات سياسية بارزة، على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد الخارجي. ففي الداخل، استعَرت حرب الجبل وارتبطت وقائعها وأحداثها بأقسى عمليات التنكيل والتهجير في تاريخنا المعاصر، وتبعتها حرب بيروت والضاحية بعنفها وتدميريتها. وعلى الصعيد الخارجي تميّزت الأوضاع السياسية بانكفاء اسرائيلي سياسي وعسكري على الساحة اللبنانية، ترافق مع الانتعاش التدريجي للدور السوري.

المفارقة الأولى التي تلفت النظر في هذه التطورات المثيرة هي لعبة الكرّ والفرّ الاقليمية والدولية التي مورست وتمَارَس على الأرض اللبنانية، والتي تشكّل أبرز مظاهرها لعبة الرقّاص السورية – الاسرائيلية. فمع الهجوم الاسرائيلي على لبنان، وما ارتبط به من تعاظُم الدور الاميركي – الاوروبي الغربي، الذي عبّر عنه نزول القوة المتعددة الجنسيات في بيروت، وصل الانكفاء السوري، السياسي والعسكري، الى ذروته على الساحة اللبنانية؛ وتسارعت الأحداث وعمد الاسرائيليون الى الانكفاء من الجبل اللبناني نحو الجنوب، والقوة المتعددة الى الانسحاب من بيروت، ممّا سمح للسوريين باستعادة زمام المبادرة كاملةً في الشؤون

اللبنانية وعلى جميع الصُّعد. ولعل توقيع اتفاق ١٧ أيار والغاءه في ما بعد ، وقيام حكومة الاتحاد الوطني في لبنان برعاية سوريا ، هما المؤشران الحاسمان والمعبّران عن عمق التحوّلات الاقليمية والدولية تجاه الوضع اللبناني.

والمفارقة الثانية الملفتة للنظر هي التحول في موازين القوى بين الطوائف في الداخل ، والذي ترافق مع التحوّل في التعاطي الاقليمي والدولي مع الازمة اللبنانية الداخلية. فمع الدخول الاسرائيلي الى لبنان ، تعرّض هذا الميزان لتبدُّل جذري تكرست معه الأولوية السياسية لأحد أفرقاء الصراع الداخلي. وبدا الترابط بين التغيّرات الاقليمية وحرب الجبل والضاحية وكأنه يستهدف اعادة التوازن الى ميزان القوى الداخلي ، من خلال إحياء مبدإ لا غالب ولا مغلوب ، تمهيدًا لتعويم معادلة التسوية السابقة بين الطوائف.

وقد كان للدور السوري الأثر البالغ في إحداث تغيُّر كبير في الوضع العسكري على الأرض بين الأفرقاء ، ساهم في ما بعد بتحويل المعارضة العسكرية الى جزء من السلطة السياسية الحاكمة.

تجاه جسامة هذه الأحداث والتحولات ، يجدر بنا التساؤل : هل غيّرت الأحداث من التوجّهات الأساسية في تفكير الرئيس الجميّل؟ وهل الطرح السياسي النظري الذي أتى به الرئيس الجميّل كان وليد الظروف ، ام وليد قناعات تتخطى الظرف الراهن الى رؤية شمولية تستوعب الحدث في وحدة الزمن؟ هذه التطورات وهذه التساؤلات تطرح علينا قضية منهجية ذات اهمية قصوى ، يختصرها السؤال حول العلاقة ما بين الاحداث والوقائع السياسية اليومية والتفكير السياسي للحاكم ، وعن مدى ونسبة وأهمية التأثير المتبادل بين الاثنين. فالحاكم لا يمكنه تجاهُل التطورات الحاصلة على الأرض ، والا فانه ينسلخ عن واقعه وتنتفي قدرته على التأثير في هذا الواقع لدفعه في مجرى معيّن. واذا ارتبط الحاكم كليًّا بوقائع الأحداث ، فالخطر يكمن في تحوّل العمل السياسي الى عشوائية القرارات وانعدام الرابط والخبط

الأعمى ، ممّا ينتج منه استحالة كل امكان لبناء مستقبلي مبرمج . وتصبح القضية أكثر تعقيدًا عندما تهزّ الأحداث الواقع السياسي بعنف ودموية ، كما حدث في لبنان خلال السنة المنصرمة .

فهل حدوث تحوّلات جذرية في مجرى الوقائع السياسية يفترض تغييرًا مماثلاً في التفكير السياسي للحاكم ، يجد تبريرًا له في هذه التحولات ؟ وبالتالي ، هل تنتفي فاعلية الإطار النظري الذي يوجّه عمل الحاكم ، في حال اصطدامه بالواقع السياسي ؟ وهل يكون هذا الإطار الناتجَ السلبي التبريري التنظيمي المتأخر لأحداث تسبقه ، ام يفترض ان يكون الجامع المنهجي لعناصر الأحداث السياسية المتنافرة والمتضاربة والرابط السببي للحدث في اطار الزمن الماضي والحالي والآتي ؟ أليست غائية النظرية احتواء التواصلية من خلال ثوابت التاريخ ، بعيدًا عن ظرفية الحدث وعناصر المزاجية الواردة فيه ؟ وانطلاقًا من ذلك ، هل يكون تفكير الحاكم مجموعة مواقف تبريرية ، تقيّد جهوده وتربط مسلكه بذبذبات الحدث الواقع ، فيصبح بالتالي رهينة الاحداث ينفعل بها وتفعل به ؟ أم ان تفكير الحاكم هو خلاصة قناعات تستمدُّ مصداقيتها من التاريخ والتراث والمجتمع والواقع اليومي المتفاعل ، وتفرض على هذا الحاكم مواجهةَ مجاري الظروف ، في محاولة لتحويلها الى الاقنية التي يرغب ، من خلال رؤية شمولية تقفز فوق الحاضر الى المستقبل ؟ وهل قرارات الحاكم هي وليدة الحاجة اليومية الطارئة وحسب ، ام ان هذه القرارات المتفرقة والمتنوّعة والمتشابكة يجب ان تصبّ في وحدة النظر الى الحاضر والمستقبل ؟ وخلاصة القول ، هل الحدَث ، بصداميته السياسية أو عنفه العسكري ، هو الحقيقة في السياسة ، ام من الممكن أن يشكل خطأً فادحًا إذا ما تحدى منطق التاريخ والمجتمع ؟

لسنا هنا في صدد إعطاء الأجوبة الحاسمة عن مجموعة هذه التساؤلات ، لكننا نكتفي بإبداء بعض الملاحظات :

- ان الحكم يقوم على ديناميكية التفاعل بين الواقع والمرتجى. لكنَّ هذا التفاعل، اذا لم يقم على حدٍّ أدنى من القناعات النظرية، يتحول إلى ديناميكية في الفراغ.

- لا يجوز ولا يمكن أن يكون العمل السياسي، خصوصًا على المستوى الوطني، رهينة المزاجية والعصبية والغرائزية والانفعالية، والا انحسر المستقبل حاضرًا مستمرًّا، يستهلك الطاقات في استمرارية الوجود الرتيب، ويبقي جميع القوى في حال تأهّب ومواجهة دائمة عند نقطة الانطلاق.

- ان الوطن ليس في استمرارية الحاكم، بل في استمرارية القِيَم والمُثل والتراث والحضارة والثقافة والتطلعات التي رسَّخت وجود هذا الوطن في التاريخ، وتسمح له بمدٍّ جذوره في الزمن الآتي. وغاية الحكم ليست الحفاظ على الحاكم، بل الحفاظ على مجموعة هذه القِيَم التي تعطي الوطن شرعيّة وهوية، وتعطي الحكم شرعية وفاعلية.

- ان وجود وطن وشعب ودولة هو وليد التجربة والتاريخ، اي من خلال الاستمرارية في الزمان، التي تقوم على تكرار وقائع ومواقف وتطلعات تتحول في المدى الزمني الى ثوابت ومميزات تحرّك الشعب والدولة. والاهتداء بهذه الحقيقة هو المقياس الأول لكل عمل سياسي ذي بُعد وطني.

لقد بدت الأحداث التي عايشها لبنان منذ ايلول ١٩٨٣ وكأنها تستهدف حكم الرئيس الجميّل، اي كأنها تُناقِض التوجّهات السياسية التي نادى بها منذ اعتلائه سدة الرئاسة. فهل هذا يعني فقدان الفكر السياسي للرئيس الجميّل قيمتَه، على المستويَيْن النظري والعملي؟ ان التطرق الى هذا الموضوع يفرض علينا الانطلاق من تمييز أساسي في السياسة، بين الثابت الذي يعانق التاريخ والأسس الجوهرية

للوجود المجتمعي ، والمتغيّر الذي يترافق مع الظرف والحدَث ولا يتعدّى تأثيره المسببات الآنية التي أفرزته . وعلى الصعيد العملي ، يفترض هذا التمييز ان نفرّق ، في المسلكية السياسية للحاكم ، بين المرتكزات والأهداف من جهة والأسلوب أو منهج الحكم من جهة ثانية .

فالمرتكزات تشكّل البنية التحتية التي توجّه تفكير الحاكم في نظرته الى الانسان والوطن والمجتمع والدولة ، بحيث يتلاقى الماضي والحاضر والمستقبل ، في تفكيره ، على قاعدة وحدة ايديولوجية متكاملة الأبعاد تساهم في تحديد الأهداف . وهذه المرتكزات لا تكون نتيجة سفسطة او رياضة فكرية ، بل هي تنبثق طبيعيًّا من التراكم التاريخي والتركيبة الاجتماعية ومحصّلات التطور المرتبطة بهما ، ممّا يرسخ هذه المرتكزات في الزمان والمكان ، ومن نتاج التيارات الفلسفية الانسانية التي تفرز في الفكر السياسي قناعات أخذت مع الزمن صفة البديهيات .

أما الأهداف فتشكل الرابط ما بين تعدُّدية الوقائع السياسية اليومية ووحدة التطلع المستقبلي . فرسم الهدف هو الشرط الأول في كل حكم منهجي . والهدف المرسوم لا يخلق من فراغ ، بل هو التجسيد الطبيعي والناتج المنطقي الذي يتبلور حسيًّا من خلال المرتكزات الأساسية للتفكير السياسي للحاكم . وابتعاد الهدف عن مرتكزه يجعل منه صرحًا بدون قاعدة ، وباقترابه من المرتكز تزداد مصداقيته وشرعيته . وهذا الهدف يتحكّم بالأسلوب والسلوك اليومي للحاكم ، من حيث انه يشكّل محور الاستقطاب في تفكيره المباشر وتحرّكه على الأرض .

والأسلوب يكون وسيلة أو مجموعة وسائل متعددة الجوانب والأدوات والأشكال ، تصبُّ في خانة تحقيق الهدف المرسوم . وهذه الوسائل ، في ديناميكيتها وتنوعها وتعددها ، ترتبط بوقائع الأحداث السياسية ، وتتكيف مع الافرازات المتلاحقة – المتناسقة حينًا والمتضاربة حينًا آخر – الناتجة عن علاقات القوى السياسية والاجتماعية بعضها ببعض .

على ان علاقة الاحداث والافرازات بالأسلوب ليست علاقة ميكانيكية بين سبب ونتيجة ، بل هي نوع من التفاعل الجدلي التراكمي الذي يجب ان يؤدي في النهاية الى احتواء الأحداث والافرازات وتحويل مجاريها في اتجاه تحقيق الأهداف المرسومة. وعملية الاحتواء والتحويل هذه هي المقياس الأساسي لتقويم شرعية الاسلوب وفاعليته في العمل السياسي.

ان مثلث المرتكزات والأهداف والأساليب هو عملية تكاملية ، تصبُّ في وحدة الفكر والعمل عند الحاكم. فالعمل هو قرار يأخذه الحاكم في كل وقت وحول كل موضوع. والقرار قد يكون لتحقيق غاية مباشرة ومحدودة ، ولكن مجموعة القرارات يجب أن تحقق الأهداف الكبرى المحدَّدة ، لأن انفصال القرار عن الأهداف يجعل من الحكم عملية دوران حول الذات في دائرة مفرغة. والهدف هو فكرة في الحاضر يريد الحاكم تحويلها حقيقة ملموسة في المستقبل. وارتباط الأهداف بالمرتكزات يجعل منها إمكانًا تاريخيًّا قابلاً للتحقيق ، بانتظار ان يحوّل العمل هذا الامكان الى واقع.

وفي اعتقادنا ان امين الجميّل الحاكم لا يحيد عن هذا الإطار. فهو ليس رجل العمل وحسب ، وليس رجل الفكر المجرَّد وحسب. ان شخصيته السياسية مزيج من شخصية المناضل الحزبي الملتزم والانسان المواطن وصاحب الرؤية السياسية الواعدة. وخصوصية تجربة امين الجميّل السياسية هي في الاغناء المتبادل بين التجربة السياسية والايديولوجية الحزبية ، وقد تحولت التجربة ، مع الزمن ، الى أساس ثابت في العمل السياسي ، وتطوَّرت الايديولوجية الحزبية الى قناعة وطنية.

فاذا انطلقنا من الأساس الايديولوجي الحزبي والنزعة الانسانية الشمولية في تفكير الرئيس الجميّل السياسي ، يمكننا ان نستخرج مرتكَزين أساسيين متكاملين ومتلازمين :

– الأول وهو الانسان كقيمة مطلقة في ذاته ، يتسامى على الوطن والمجتمع

والدولة والحزب والطائفة ، انسان الحرية ، حرية الفكر والرأي والمعتقد ، انسان المساواة الذي يتخطى خصوصيات الدين والعرق واللغة ، انسان الخلق والابداع والعبقرية ، المتمرد أبدًا على ذاته ، انسان العلم والتطور...

- لبنان الوطن الذي يجسّد ، عبر تاريخه ، نموذجًا حيًّا ورمزًا وحصنًا لحرية الانسان وكرامته ، والذي يجسد ، عبر تركيبته السكّانية المتعددة ، النموذَج الفريد لتفاعل الأديان والحضارات والثقافات ، لبنان صاحب رسالة التوحيد الانسانية والمختبر الحيّ لالتقاء وتعايش المتميزين من بعضهم ، تحت ظلال الحرية والمساواة.

فأمين الجميّل يعلم ان لبنان بقي وتميّز لأن فيه شعبًا عشق الحرية أكثر من الحياة فافتدى الحرية بالحياة. وقد اختبر في ممارسته السياسية ان لبنان لا يستمر الا بالحرية ، والتفاعل الحضاري بين مكوِّناته ، فترسخت في تفكيره صورة لبنان وطن الانسان. ومن الطبيعي ان يشكّل لبنان الوطن السيد الحرّ المستقلّ ، لبنان المتعدد الطوائف والحضارات ، لبنان المتفاعل مع محيطه ومع الانسانية ، لبنان الديمقراطية والحرية والمساواة... المحرِّك والدافع لعمل سياسي مستمرّ بدأه أمين الجميّل مناضلاً في حزب ، ثم مقاومًا في متراس ، وأخيرًا محاميًا عن وطن وقضية في سدّة الرئاسة. والمراجعة السريعة لمجمل تفكيره تكشف لنا خاصتين أساسيتين :

١. ارتباط هذا التفكير بقناعات عميقة هي وليدة التاريخ اللبناني وربيبة المعاناة الشخصية وحصيلة رؤية علمية طموحة للمستقبل اللبناني. من هنا ، يجد هذا التفكير استمرارية في ثبات المرتكزات التي يقوم عليها ، وفاعلية في تطرُّقه المباشر لمعضلات الانسان والوطن ، وشرعيته الوطنية في استجابته لطموحات اللبنانيين جميعًا وتطلعاتهم الى الحرية والاستقلال.

٢. البُعد الوطني الشمولي وتعالي هذا الفكر عن الأشخاص والأحزاب والطوائف ، وتخطّيه للظروف والنزاعات. ومن هنا عدم ارتباطه بميزان

القوى أو بتحالفات بين المتصارعين وبالتغيّرات الطارئة عليها ، ورفضه لمنطق العزل وإصراره على ان البناء الوطني مسؤولية جماعية ، يجب أن تستوعب كل السواعد والقوى والطاقات .

من هنا يجب النظر الى حكم الرئيس الجميّل ، من خلال خدمته للأهداف الكبرى في التحرير والسيادة والاستقلال والبناء المستقبلي . فتقويم الثابت من خلال المتغيّر فيه خطأ منهجي ، ورفض الهدف بسبب الاعتراض على الاسلوب فيه قصور عن استيعاب الأبعاد الوطنية الشمولية في العمل السياسي . فليس من اسلوب ناجح في ذاته أو فاشل في ذاته ؛ بل ان مقياس النجاح والفشل هو مدى مساهمة هذا الاسلوب في تحقيق الهدف . والعمل السياسي ليس غاية في ذاته ، بل هو في خدمة غايات شمولية تتخطى جزئياته وظرفيته . ومنهجية الرئيس الجميّل واضحة في هذا المجال . فهو ليس اسير طريقة في العمل أو رهينة معطيات ظرفية ، بل ان له من ديناميكية الشخصية ووضوح الرؤيا ما يسمح له باستيعاب العناصر المتنافرة والمتضاربة في خط الالتزام المطلق بقضية الوطن والشعب والأرض ، بحيث يصبح هذا الالتزام المحور المركزي الذي يفرز الوسائل الموصلة الى الهدف من تلك التي يثبت عقمها ، والذي يحدد بالتالي المسار المناسب والتوجّه الضروري في العمل السياسي للحاكم . «وفي سبيل وحدة أرضنا والشعب وترسيخ مقومات وجودنا وضمان استمرارية الوطن قويًّا حرًّا منيع الأركان ، نتخطى أي اعتبار وأي وسيلة وأي توجُّه أو خيار... وعندما يكون الخيار بين اتفاق ووطن فلا بدَّ من ان نختار الوطن»[1] . والمراجعة المتمعنة لمجموعة مواقف الرئيس السياسية في السنة الثانية من عهده تعطي الدليل الواضح على استقطاب مفهومي الانسان – المواطن ولبنان الوطن لكل تفكير أمين الجميّل الرئيس وجهوده ، كما استقطبت في السابق جهود امين الجميّل المناضل ورجل السياسة ، وعلى مصداقية وثبات وشمولية الطرح السياسي الذي قال به منذ اعتلائه سدة الرئاسة .

---

[1] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان . ٨٤/٣/١٢ .

مِنْ شراكة الدَّم والدّموع
إلى المشاركة في مَسْؤوليّة المستقبل

١. المؤامرة المنتصرة والوطن المغلوب

يعي الرئيس الجميّل أبعاد المحنة التي يتخبط فيها لبنان ، ويدرك أنها ، في شموليتها وعمقها ، لا تستهدف فئة أو طائفة او منطقة او حزبًا أو زعيمًا ، بل وجود الوطن بالذات أرضًا وشعبًا وكيانًا ومؤسساتٍ ، اي انها تهدف في نهاية الأمر الى القضاء على الطوائف والأحزاب جميعًا ، سواء عن طريق التذويب أو التصفية أو التبَعية أو العَزْل : «ان وطننا يُحتَضر... إنه يطالبنا بأن ننفض عن وجهه غبار الموت والدمار... لقد طال ليل لبنان ، وتواصلت فيه المحنة والمؤامرة ؛ تنقلت بين كل المناطق ، ضربت سائر الطوائف ، اصابت مختلف العائلات والتيارات... تساوينا في الجور والقهر والتهجير والفقر ، فعسى ان نتساوى مستقبلاً في العدل والأمن والراحة واليسر»[٢] . ان القضاء على وطن الطوائف المتعايشة ، المستمدَّة وجودها من وجوده وحريتها من حريته واستمراريتها من استمراريته ، هو التمهيد لتغليب منطق

[٢] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف ، ٨٣/١٠/٣١ .

التفتيت على منطق التوحيد ، ولرهن حرية الوطن واستقلاله في حسابات المصالح الاقليمية والدولة ، ولتحويل وطن الطوائف المتعددة من رهان حضاري انساني مستقبلي رائد الى رهينة بيد المصالح المتضاربة والأطماع المتربّصة : «ان الحالة المتشنجة ... استكمال لأبعاد المؤامرة التي استهدفت لبنان لتنطلق منه الى بعض دول المنطقة ...»[٣] .

وهذا العبث المتمادي بالأرض والانسان والمؤسسات جعلنا «كلنا مغلوبون ، والغالب الوحيد هو المؤامرة المحنة ...»[٤] ، التي اورثت مآسي وكوارث : «... أتشخّص اللبنانيين جميعًا بيننا ومعنا وألمح الدموع في عيون الثكالى وأمهات المفقودين ، وأرى الثكالى واليتامى والمعذبين والمهجّرين والخائفين على الحياة والمصير يتطلعون الينا على أمل ان نحمل بشائر الخلاص ...»[٥] ، وحوّلت الاستقلال من عيد الحرية والفرح الى مناسبة «تشدّنا الى ألوف المفجوعين ... الى ألوف اللاجئين في أرضهم ، والى ألوف المهجّرين بلا مأوى ، والى ألوف المحتاجين والمتألمين والخائفين ...»[٦] . والنتيجة يستخلصها الرئيس الجميّل حين يقول : «حسبي أن احصر النتائج كلها والافرازات كلها والمضاعفات ، بالموضوع الواحد الأم ، وهو احتلال الأرض ، وانحسار ظل الدولة وقواها الأمنية ، فعاث من عاث في الأرض فسادًا ، وفي الناس إفسادًا»[٧] . وكأني بجميع اللبنانيين يستذكرون ، حين يسمعون كلام الرئيس أو يقرأونه ، صورة الدولة الممزقة المؤسسات ، وصور المناطق المارونية والدرزية والكاثوليكية والسنّية ... المهدّمة ، ومنظر الأمهات المفجوعات الخاشعات والمصليات في الكنائس والجوامع يبتهلن الى رب السماء لعودة مخطوف أو ظهور مفقود ...

---

[٣] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون . ٨٤/٢/٥ .

[٤] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف . ٨٣/١٠/٣١ .

[٥] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان . ٨٤/٣/١٢ .

[٦] رسالة الى اللبنانيين في عيد الاستقلال ، ٨٣/١١/٢١ .

[٧] المرجع السابق .

٢. المغلوبون وإرادة الانتصار

كل تلك المآسي والكوارث تدافعت في الوطن من أجل «الرغبة الاقليمية المتنافسة حول اقامة توازنات استراتيجية على أرضنا... والصراع الدولي الكبير الذي يتجاذبنا ضمن لعبة المصالح والنفوذ»[٨]. لكن الرئيس الجميّل لا يعفي اللبنانيين من مسؤولية ما حصل ويحصل لهم: «كلنا شركاء في ما حصل لنا... ليس فينا من تقتصر عليه وحده الاخطاء والخطايا... ولا فينا من يحتكر وحده الحق والحقيقة...»[٩]. شركاء بعلمنا أو بدون علمنا، عن سابق تصور وتصميم او مرغمين، سواء طمعًا بسلطة ونفوذ أو مجاراةً للأحداث والقوى الطامعة. هذا الاتهام هو الصدمة الضرورية للعودة الى الذات، الى فحص الضمير في محاولة اخيرة لاستباق الكارثة المدمِّرة والابتعاد عن اوهام التسلط وأحلام الهيمنة ورغبة القهر والفرض. انها دعوة للعودة، قبل فوات الأوان، عن هذا الاصرار على الانتحار. فزوال الوطن سيأخذ بطياته الطوائف والاحزاب، وقطف ثمرة من شجرة لا يكون بقطع الشجرة من جذورها. انها دعوة للتخلي عن إلقاء التهم والمسؤوليات على الغير، ولكي يعي اللبنانيون مسؤوليتهم الجمَاعية في الدمار الحاصل، كشرط لا بدّ منه ليعوا مسؤوليتهم في استعادة الاستقلال وبدء الإعمَار. فبقاء الوطن أو زواله رهن بإرادتنا وبتحوُّلنا من أدوات تناحر تنخر جسم الوطن الى اداة مواجهة تردّ عن صدره ضربات الموت؛ وبقاء الطوائف شرطه الأساسي بقاء الوطن، لأن جذع الشجرة الراسخ في الأرض هو الذي يغذي الاغصان التي لا حياة لها بدونه: «اعرف وتعرفون ان الاستقلال لا يتحقق على يد فئة من دون الاخرى، او فريق من دون فريق او جماعة واحدة، او حكم في معزل عن الشعب. انه الانجاز الاستحقاق الذي يجسد ارادة جامعة صلبة لأي امة من الأمم»[١٠].

---

[٨] المرجع السابق.

[٩] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف، ٨٣/١٠/٣١.

[١٠] رسالة الى اللبنانيين في عيد الاستقلال، ٨٣/١١/٢١.

هذا الانجاز الاستحقاق هو موعد التغلب على الموت والاستخفاف بالقِيَم والحياة والتزلف على أعتاب حكّام ودول ؛ انه موعد الخلاص للبنانيين ، لان «التضحيات التي بذلها شعبنا العظيم لن تذهب بدون تحقيق اهدافه ومبادئه وطموحاته ...»[11] . ومن هنا إصرار الرئيس على الانقاذ وثقته بالمستقبل : «اننا ، شعبًا وقيادات ومسؤولين ، مصممون على المضيّ بعناد في مسيرة إنقاذ هذا الوطن ...»[12] . هذا الإصرار وهذه الثقة ليسا أمنية ، بل يستندان الى وقائع وثوابت تتجسد عند اللبنانيين عبر الرغبة المشتركة في الحياة المشتركة في وطن يسوده السلام وتظلّله الحرية ، وعبر تصميم على المواجهة وعزم على الانقاذ ، انطلاقًا من «صمود هذا الشعب العظيم في وجه المحن والحمم ، متمردًا بعناد على المأساة ، صابرًا بعزم على الضيم ...»[13] ، المستمرّ منذ «تسع سنوات من الحرب المجنونة ... تلقّاها اللبنانيون بصدورهم وصمودهم دونما استسلام او انهزام»[14] . ويجد هذا الأمل المشرق أساسَه في المرتكزات التالية :

١. «صحيح ان لبنان أُصيب في امواله وعياله وفي بشره وحجره ، لكن الروح فيه ظلت امنع من الاصابة وأبقى من الموت»[15] .

٢. «ان لبنان ، الذي صارع الأهوال والفواجع منذ تسع سنين ، لم يستمرّ صامدًا منيعًا ، نابضًا بالحياة ، لو لم تكن مقوّمات وجوده عميقة الجذور ، ثابتة الأركان ، وطيدة الكيان ...»[16] .

٣. «وعي اللبنانيين ويقظة الحس الوطني والتعالي فوق الاعتبارات وفردية الذات ...»[17] .

٤. «ان اللبنانيين جميعًا يشدُّهم توقٌ ملحّ الى الخلاص والانقاذ ، ولن يحول حائل دون وفاقهم الوطني ، اذا ما رُفعت الأيدي الدخيلة عن شؤونهم الداخلية ...»[18] .

---

[11] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان ، ٨٤/٣/١٢ .
[12] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦ .
[13] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ، ٨٤/٢/٥ .
[14] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان ، ٨٤/٣/١٢ .
[15] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف ، ٨٣/١٠/٣١ .
[16] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦ .
[17] رسالة إلى اللبنانيين في عيد الاستقلال ، ٨٣/١١/٢١ .
[18] كلمة امام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦ .

٥. «ان اللبنانيين ، عندما يفسح أمامهم مجال الالتقاء ، يظهر جليًّا أمام أعين كل الناس انهم متفقون وليس ما يفرّق بينهم الا المداخلات الخارجية والمعطلات المصطنعة»[١٩] .

انها المسؤولية الكبرى ، يدعو الرئيس الجميّل اللبنانيين الى تحمّلها تجاه ذواتهم وتجاه محيطهم ، انها اللحظة المفترق في تاريخ وطننا ، انها الفرصة المتاحة امام الشعب لإنقاذ ذاته ، لأن الوطن العائد يعود الى ابنائه وليس الى حكّامه ، والدولة العائدة تعود لخدمة الشعب لا لذاتها... ان تحرير لبنان وانقاذه هو أيضًا «تحرير لأي شقيق وصديق من همومنا والأعباء...»[٢٠] . فالرئيس الجميّل يعي انه «اذا ظل لبنان يحترق ، فلن يقتصر الحريق عليه او ينحصر فيه... واذا لم يُطفأ الآن وقبل فوات الأوان الحريق اللبناني ، فالله وحده يعلم ما سيبلغ من مدى ويرتّب من مخاطر في المنطقة والعالم»[٢١] . وانطلاقًا من هنا تبرز أهمية اطفاء الحريق اللبناني وضرورة اعادة الاستقرار الى هذا الوطن ، لأن في ذلك خدمة للمنطقة ، لأنه «ثبت جليًّا ان مناخ لبنان المستقر يرتدّ على مختلف المصالح العربية والدولية بالهدوء والاستقرار ، مثلمَا ينعكس جوّه المضطرب على شتى المصالح اضطرابًا وسلبية»[٢٢] .

٣. لبنان للبنانيين ، فهل يكون اللبنانيون للبنان؟

ان دور اللبنانيين في عملية الانقاذ هو دور محوري وحاسم . فالشعب اللبناني هو في تفكير الرئيس رهان الوحدة والتوحيد الرابح ، وأداة وغاية تحرير ، والسياج الذي يحمي الوطن في وجه المؤامرة ، والخط الأخير الفاصل بين الوجود واللاوجود ، ونقطة الانطلاق الثابتة والمتجددة لدولة المؤسسات المتطورة المطلوب اعادة بنائها . ففي وحدة القهر والألم والعذاب والخراب واليأس تنتفي الحواجز وتزول

---

[١٩] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ، ٨٤/٢/٥ .
[٢٠] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦ .
[٢١] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف ، ٨٣/١٠/٣١ .
[٢٢] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان ، ٨٤/٣/١٢ .

الامتيازات والتميزات ويتساوى المسيحي والمسلم في دفع ثمن المؤامرة دمًا ودموعًا ؛ وفي ظل وحدة ارادة الحياة والتشبث بالبقاء والاصرار على الاستمرار ينبت الأمل من جديد صمودًا ورغبةَ بناء وتحدٍّ للخوف والجمود ؛ وفي حق المستقبل كامتداد للأمل في الزمن الآتي وكاستمرارية لفعل الحياة والوجود ، يتحد المسيحي والمسلم في وحدة البقاء. ويبقى الرهان الأكبر ان يتلاقى جميع اللبنانيين في وحدة التطلع نحو المستقبل ، لأن ذلك هو الحل المثالي والأوحد لإعادة لبنان بلدًا «يوزع الاضواء قبل ان يحتذبها ، يثير الاعجاب ... ، درة تسطع نورًا ومعرفة وحضارة على جبين هذا الشرق ، وكوكبًا يشعّ حرية ورفاهًا ومحبة ...»[٢٣]. على ان المأزق هو في كون هذا الشعب الذي يملك بيده مفتاح الحل للمشكلة المطروحة ، يبدو كأداة تؤجّج النار المستعرة.

فتمَادي لعبة الدمار والاقتتال بين اللبنانيين يثير الحيرة ، ويدفع الى التساؤل حول المسبّبات والأبعاد والنتائج. فهل يعي اللبنانيون ان لعبة التدمير المتبادل ليس فيها منتصر واحد ، بل فيها خاسرون كثيرون؟ وهل يتوهّم الافرقاء المتصارعون ان انتصار أيٍّ منهم سيكون انتصارًا للوطن؟ وهل الإرادة اللبنانية عاجزة عن التحكم بهذا الفلتان؟ وهل أصبح اللبنانيون أسرى اللعبة الجهنمية التي تمارس في وطنهم؟ وهل يعجز الابداع اللبناني عن تصور المخرج من هذه اللعبة؟ وهل التباعد حول مفهوم الوطن بين اللبنانيين كبير الى درجة يُطرح معها وجود هذا الوطن بالذات؟ وهل اصبح اللبنانيون قصار النظر إلى حدٍّ يعجزون معه عن تخيّل النتيجة الحتمية لهذا التدمير؟

انه من غير المفهوم وغير المقبول ان لا يتلاقى اللبنانيون على الحدّ الأدنى في وجودهم المشترك ، في الحفاظ على وجود لبنان واستمرار دورة الحياة فيه. وليس من المفهوم ان يختلف اللبنانيون حول صيغة لبنان وتوزيع الحصص والنفوذ قبل ان

---

[٢٣] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦.

يتفقوا على استمرار الوطن والدولة التي سيتقاسمون. فلعبة الموت، في حال استمرارها، لن تكون في النهاية أكثر من رهان على امتلاك جثة وطن ووهم سلطة.

ان المأزق الحالي خطير جدًّا. فإرادة الوجود المشترك، التي أرست قواعد لبنان المتعدد الطوائف عام ١٩٤٣، تضعها الأحداث الحالية موضع شك وتساؤل. فهذه الإرادة تكاد اليوم أن تصبح سرابًا، ولا يفيد في انعاشها خطب وتصريحات. ان الانزلاق المتمادي في لعبة القتل والتدمير يكاد يصبح طريقًا لا رجوع فيه.

والخطير في الموضوع ان اللعبة مستمرة واللبنانيون يلعبونها بكل «جدارة» ومأساوية. فاذا كانت تلك رغبتهم، فهذا يعني ان عقد العيش المشترك قد انتهى، بتوافق إرادتهم على قصفه قذائف مدفعية تصيب احياءهم وحياتهم. واذا لم تكن تلك رغبتهم وهم مرغمون على لعب اللعبة وعاجزون عن مواجهتها، فذلك يطرح شكوكًا حول جدارتهم وأهليتهم واستحقاقهم لوطن واستقلال وحرية يعجزون عن الدفاع عنها. وهذا يجعل للوصاية على إرادتهم ما يبرّرها، لا بل ما يجعلها أمرًا محتومًا.

ومن هنا نفهم عمق المشكلة وعناد الرئيس الجميّل في رهانه على الشعب اللبناني في عملية الانقاذ. وأيُّ رهان على الآخرين للانقاذ يجعل من اللبنانيين شعبًا قاصرًا، ويشكل الضربة القاضية للوطن المستقل والمحرَّر الذي يريده امين الجميّل. ولكن العقدة حتى الآن هي في ان هذا الشعب، بفعل انقساماته، يكاد يكون غير موجود. والجدلية هنا واضحة: فإما أن تكون اللعبة خارجية، وعلى اللبنانيين ان يتوحدوا لمواجهتها؛ وإما أن تكون أسباب المأساة داخلية، وعلى اللبنانيين بالتالي أن يقرروا إما إزالة الأسباب أو زوال الوطن. انه الخيار التاريخي يُطرح من جديد: فهل يريد اللبنانيون لبنان الوطن لهم جميعًا أم لا؟ ان استمرار العنف هو مؤشر لجواب سلبي، أي لانكفاء ارادة العيش المشترك. لكن على اللبنانيين ان يدركوا ان زوالَ وطنٍ هو مسؤولية تاريخية جسيمة، وهو اعتراف صريح منهم بعدم أهليتهم

وعدم استحقاقهم للحياة الحرة المستقلة. ان الوطن اليوم هو على حدود الوجود واللاوجود ، وسبيل الانقاذ واحد وحيد : قرار لبناني واعٍ حرّ بالانقاذ ، يبدأ بوقف عجلة الموت ودفع عجلة الحياة. وعلى كل فئة لبنانية أن تعي بشكل نهائي انها ، في إصرارها على ربح كل شيء ، فانها ستخسر كل شيء ، لأن لا ربح ممكن على حساب الوطن وباقي الفئات. ان ايمان امين الجميّل وثقته بالشعب كبيرين وراسخين ، لكن يبقى ان يؤمن هذا الشعب بذاته ويُقدم.

الدّولة بين الوجود والفعل

يجب التمييز ، في المسلك السياسي للرئيس الجميّل ، بين مبدأين أساسيين ينبثقان عن الإرادة الشعبية ويوضحان مواقفه السياسية منذ بداية عهده : الالتزام المطلق والثابت بوجود الدولة كياناً وأرضًا ومؤسسات وسلطات ، والالتزام الثابت بتوجّهات الإراده الشعبية .

١. الدولة – الوجود والإرادة الإجمَاعية

فالالتزام الأول فرض ويفرض على رئيس الجمهورية تسخير كل طاقاته للحفاظ على الكيان المادي والحقوقي للدولة وعلى مقوماتها الأساسية ، كقاعدة لوجودها وكشرط مسبق لكي تتمكن الإراده الشعبية من تجسيد تطلعاتها : «أيها المواطنون : حين عاهدتكم على الانقاذ والتحرير ، فإنما على انقاذ كل الشعب وتحرير كل الأرض واستعادة السيادة كل السيادة ، رافضًا باسمكم ومعكم لبنان المقسّم ، لبنان المجزأ ، لبنان الدويلات ، وإن كلف ذلك الحياة... فلن اتراجع عن وعد ولن أساوم على الأرض ، ولن افرّط بسيادة الوطن ، ولن اتنكر لإرادة

الشعب»[٢٤]. فالدولة كوجود هي التجسيد الأدنى والتعبير الأولي والناتج التأسيسي للإرادة الشعبية الإجمَاعية، الطامحة الى التجسد في الزمان والمكان ووفق معطيات محدَّدة منبثقة عنها. والدولة، كفعل يومي وممَارسة مستمرة للسلطة، هي الانبثاقات المتتالية المعبّرة، بشكل مستمر ومخلص، عن الإرادة الشعبية المتفاعلة في جدلية التطور والزمن.

وانطلاقًا من هذا التمييز، فان ممَارسة رئيس الجمهورية لسلطته في الحفاظ على وجود الدولة في عناصرها التكوينية وكيانها الحقوقي، ليست عملاً سلطويًّا فوقيًّا، انما تصبّ في خانة المبدإ الثابت للإرادة الشعبية، وهو التزام هذه الإرادة النهائي وغير القابل للنقض بقيام الدولة والتزامها بكل متطلبات استمرارها وضروراته. وفي هذا الإطار يمكن فهم إصرار الرئيس الدائم على الالتزام بالدستور والشرعية في كل أعماله. وهذا الإصرار له ما يبرره. فأي خروج على الدستور والشرعية يعني خروجًا على الإرادة الشعبية في منطلقها الأساسي، مع ما يستتبع ذلك الخروج من نسف لأسس تكوين الدولة. ووجود الدولة، دستورًا ومؤسسات، هو الخط الأحمر الفاصل بين وجود المجتمع المنظم والفوضى. وأيُّ تخطٍّ لهذا الخط يُدخل الجميع في المجهول والفراغ.

وفي السياق عينه يجب فهم مواقف الرئيس وتفسير أعماله في سبيل تحرير الأرض واستعادة السيادة والاستقلال. فالتحرير والسيادة والاستقلال لا يجوز أن تشكل شعارات ايديولوجية في الصراع السياسي بين الفئات، لأن ذلك يُفقدها اطلاقيتها وشموليتها الوطنية ويجعل منها حقائق نسبية في خدمة قوى فئوية في المجتمع الوطني وفي مواجهة قوى فئوية أخرى. ولذلك يُبلغ الرئيس الجميّل القيادات اللبنانية ان «ليس لي في لبنان أكثر ممّا لكم... لست أدّعي أني مثّلتُ أو أمثل فيه أكثر ممّا تمثلون... ولن أُحاسَب أو أُسأل عن مصيره وتحريره امام الله والوطن

---

[٢٤] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون، ٨٤/٢/٥.

والأجيال أكثر ممّا يُحاسَب أو يُسأل أيٌّ منكم»[٢٥]. وبالتالي، فان هذه المسائل يجب أن تشكل ايديولوجية عمل الدولة، اي المجتمع الوطني الشامل، بغضّ النظر عن الفئات السياسية المكوِّنة له. ان تحرير الأرض واستقلال الدولة وسيادة السلطة الوطنية تشكل مبادئ جامعة مانعة، أي قواسم مشتركة غير قابلة للجدل، يلتقي حولها جميع اللبنانيين، بغضّ النظر عن ايديولوجياتهم السياسية، وحدودًا لا يجوز لأي لبناني أن يقفز فوقها، ولا لأي غير لبناني ان يتطاول عليها أو يتجاوزها. وعندما يطرح الرئيس التحرير واستعادة السيادة كأولى الأولويات في الجهد الشامل للدولة اللبنانية، فإنما هو يحدد هدفًا محوريًّا، لأن جميع اللبنانيين هم «مسؤولون عن هذا الإنقاذ ومعنيّون به»[٢٦]. قد يجوز الاختلاف حول اسلوب التحرير ووسائله، ولكن لا يجوز أن يَمسَّ هذا الاختلاف جوهر هذه المبادئ أو يؤدي إلى تجميد تحقيقها.

٢. الدولة – الفعل والاصلاح الديمقراطي

فاذا كانت الدولة، كوجود، هي الانبثاق المطلق والحصري للإرادة الشعبية، فان ممَارسة السلطة في هذا المجال تستوحي صفات هذا الوجود جميعًا وتتصل بها. واذا كانت الدولة، كفعل، تظل في تكيّف دائم مع تبدّلات الإرادة الشعبية وتغيّراتها، فممَارسة السلطة في هذا المجال تظل مرتبطة، بشكل وثيق، بهذه الإرادة. وفي هذا الإطار تبدو السلطة شرعيةً بقدر التصاقها بالإرادة الشعبية.

ومسلكية الرئيس الجميّل في هذا المجال لا تخرج عن هذه المنهجية. والحدود التي يرسمها، كمسؤول دستوري، لعلاقاته مع القوى السياسية هي الخط الأحمر نفسه لوجود الدولة: «وأقول هنا، من موقع المسؤولية، ان في المجال الاصلاحي ليس من مقدَّسات أو محرَّمات، بل ان كل امر قابل للبحث، وكل موضوع مطروح للدرس، وكل شأن خاضع بالنتيجة لإرادة الشعب... انني منفتح للبحث

---

[٢٥] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف، ٨٣/١٠/٣١. [٢٦] المرجع السابق.

مع المعارضة في كل اصلاح والبحث في كل أمر ، إلا أمر واحد يظلُّ في نظري مقدّسًا ، لا مفاوضة حوله ولا مساومة : انه الحفاظ على وحدة الأرض والشعب والدولة وتحرير الوطن من أي وجود عسكري غير لبناني ...»[٢٧] . وضمن هذه الحدود تأخذ دعوته الى الحوار في سبيل الاصلاح كل أبعادها وشموليتها ؛ ويصبح الحوار حاجة ديمقراطية وممارسة صحّية وصحيحة للعمل السياسي ؛ ويصبح الاصلاح والتغيير نتيجة طبيعية للتوجُّه العام للإرادة الشعبية في فترة زمنية معيّنة ووفق معطيات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية قائمة ، لا تغليبًا لفئة او لإيديولوجية ؛ ويصبح الوفاق تسويةً سياسية لخلافات سياسية هي من صلب النظام الديمقراطي في كل زمان ومكان : «ان نظام لبنان الديمقراطي ليس نظامًا متحجّرًا ينغلق على سنة النمو ، والاصلاحات الملائمة لواقعه وحتمية ضروراته . بل هو قائم على نوع من الإجماع الديمقراطي المميّز ؛ وعلى هذا الأساس تكون الشؤون المصيرية والأساسية نابعة من الإرادة العامة ، ويكون أيضًا أيُّ إصلاح أو تغيير تجسيدًا لهذه الإرادة»[٢٨] . وبالتالي ، فان المسلك الحواري الوفاقي الذي يعتمده الرئيس الجميّل ليس سلوكًا ظرفيًّا فرضته أوضاع معينة أو ضرورات المناورة السياسية ، بل هو منهجية عمل نابعة من نظرة الرئيس لمدى سلطة الدولة وحدودها ، ولمدى اتساع الإراده الشعبية ودورها الحاسم في تغيير مسار السلطة في الدولة : «وكان موقفنا الدائم هو اللقاء والتفاهم ، وكل شيء قابل للبحث ... مددنا اليد الصادقة للجميع ، وقابلنا كل رفض بصبر وكل صدّ برحابة صدر»[٢٩] . وهنا تأخذ المشاركة كل بعدها ، كأساس لصنع القرار الوطني والمصير الوطني ، من خلال تفاعل القوى في العملية السياسية ، وتبطل أن تكون مشاكسة تقوم بها قوى تحسب الدولة مطية نفوذ ، وتقزّم الإرادة الوطنية الى حدود مزاجيتها الضيقة . وفي هذا الإطار ، يضع الرئيس الجميع امام مسؤولياتهم : «وكيف يمكن ان نتفاهم حول المطالب ولا

---

[٢٧] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ، ٨٤/٢/٥ .

[٢٨] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦ .

[٢٩] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ، ٨٤/٢/٥ .

نجتمع ؟ وان نتحاور حول الامور المصيرية ولا نلتقي ؟ وان نتفق حيال الاصلاحات ونحن متباعدون ؟.. بل اسأل كيف يمكن التوفيق بين اتهام الحكم بالهيمنة ورفض الاشتراك بالحكم لرفع الهيمنة ؟»[٣٠].

ان الاصلاح الوطني ليس مهمة الدولة ، وان كان للدولة دور فيه ، بل هو إرادة وطنية جامعة تتجسد في قرار وتنظيم. ومسؤولية الاصلاح لا يتحملها حاكم فرد ، بل هي مسؤولية شعب يريد ويعرف ما يريد. والمشاركة هي قرار ومسؤولية لا يمكن تجزئتهما أو فصلهما. ومن يريد المشاركة في مسؤولية القرار عليه ، في البدء ، اتخاذ قرار بتحمّل المسؤولية. ومنطق الرئيس واضح في هذا المجال : «... طالما توخّيت وأتوخى ان نلتقي مع القيادات من دون استثناء ، في خلوة مغلقة لا نفتح أبوابها ... الا لنبشّر المواطنين بقفل ابواب النفق المظلم ... وكم تمنّيت ان نجلس معًا لنعالج كلنا متحدين هموم لبنان ومشكلاته ...»[٣١]. فمن يرد اصلاحًا فليُقْدِمْ ، ومن يرَ اعوجاجًا فليساهم في تقويمه. فالدولة لا يمكن أن تكون هدفًا عدوًّا يجب احتلاله أو تدميره ؛ انها الملكية المشتركة لجميع اللبنانيين. فالوصول الى ممَارسة السلطة في مؤسسات الدولة لا يجوز تفسيره كانتصار أو غلبة ، بل هو ممارسة طبيعية لحق طبيعي لكل لبناني ، ضمن أصول الدستور والشرعية : «ولا يمكن لأي اصلاح ان يبلغ اهدافه تحت وطأة السلاح وبقوة السلاح ، وإنما من ضمن المؤسسات الدستورية ...»[٣٢]. ان شرعية الحوار لا تتمّ إلا بالحوار ضمن الشرعية ، وحوار السلاح هو ضد الشرعية والدولة والوطن. وعودة اللبنانيين الى الحوار في إطار الشرعية هي البداية الحقيقية للانقاذ ، لأن حوارًا كهذا هو الشاهد الأوحد على مناعة المؤسسات الدستورية الوطنية ، ويشكل بدايةَ قناعةٍ طالما نادى بها الرئيس الجميّل : ان الحل يكون في الدولة لا على حسابها ، وبين كل الفئات لا على حساب بعضها ، ووفق الأصول الدستورية لا على هامشها.

---

[٣٠] المرجع السابق.

[٣١] المرجع السابق.

[٣٢] المرجع السابق.

الإصلاح بين بديهيّة وجود الوطن وجدليّة التطوّر والتطوير

ينطلق الرئيس الجميّل ، في تطلّعه الاصلاحي ، من بديهية وجود الوطن كمرتكز ثابت ونهائي لكل بنيان دستوري مؤسسي : «أيًّا كانت رهاناتنا ، فالرهان هو على لبنان الواحد خيار نهائي ، والرهان على لبنان وطنًا نهائيًّا لا يطرح بين الخيارات ...»[٣٣] ، ويرفض العنف والسلاح كوسيلة للإصلاح ، لأن العنف يعني الثورة ، وما هو مطلوب في لبنان هو التغيير الديمقراطي ، على أساس الإراده الشعبية ووفق روح تطور العصر. ومن هنا يأخذ مبدأ الحوار والوفاق كلَّ أهميته وأبعاده ، كوسيلة وحيدة لحل مشاكل لبنان واستمراره : «ننظر الى الوفاق الوطني مبدأً حتميًّا لاستمرار لبنان الوطن ، بحكم ارتكازه على قاعدةٍ أساسية هي قاعدة التعايش بين الجماعات والطوائف والفئات ، في معزل بالطبع عن أي تمَايز طائفي ، من أي جهة أتى وفي أي شكل كان»[٣٤] ، معتبرًا بذلك الطوائف والجماعات العناصر المكوّنة للمجتمع الوطني ومحدِّدًا علاقاتها ببعضها وفق مبدإ التعايش في المساواة ، والمساواة

[٣٣] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان ، ٨٤/٣/١٢.
[٣٤] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦.

في الحرية. ويذكر الرئيس، في هذا الإطار، ان شرعية وجود لبنان انما هي مستمدة من هذا الوجود المتنوع والمتفاعل لمجموعات متمايزة.

١. الكيان الاجتماعي – السياسي للوطن: جدلية التفاعل

يحدِّد الرئيس الجميّل إطار العلاقات ضمن الكيان الوطني الدستوري بين الانسان – المواطن، والطائفة – الجمَاعة والوطن – الدولة انطلاقًا من المبادئ التالية:

١. «من حق كل طائفة ان تتمتع بالضمانات التي يؤكّدها الدستور... ان هذه الضمانات تؤمّنها الدولة بالطرق المؤسسية والقانونية، ولا تتأمن بوسائل الحمايات والمداخلات الغريبة عنا»[٣٥].

٢. «لا يجوز أن تتقدم حقوق الطوائف... على حقوق الانسان والوطن في لبنان. ان حقوق الطوائف وحدودها تنتهي عند حقوق الانسان وحدود الوطن»[٣٦].

٣. «وبديهي ان النموّ الذاتي لأي فئة أو طائفة لا يمكن ان يكتمل بالتقلص والانحسار على الذات، بل بالتفاعل مع سائر الطوائف والفئات. وبمقدار ما تتفاعل كل فئة مع سائر الفئات تؤمّن أكثر فأكثر المصالح وتنمّي ذاتها، من ضمن إطار التنمية الوطنية الشاملة والمطلقة»[٣٧].

٤. «لا ديمومة للبنان الا في ولاء اللبنانيين المطلق للبنان؛ لا وحدة للبنان الا اذا حمتها دولة قوية قادرة؛ ولا دولة قوية قادرة ما لم تتأسس مقوماتها ومؤسساتها على الانصاف، وتنبع قوتها وسلطانها من رضى الناس»[٣٨].

٥. «ان قوات الشرعية والمؤسسات الشرعية لن تكون الا في خدمة المواطن وانماء المناطق وتعزيز الشأن العام. وكل مواطن لبناني هو عندي في منزلة متساوية مع الآخر، أيًّا كانت عقيدته وكان انتماؤه ومذهبه. انما للوطن عليه حق الولاء،

---

[٣٥] المرجع السابق.

[٣٦] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف، ٨٣/١٠/٣١.

[٣٧] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون، ٨٤/٢/٥.

[٣٨] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف، ٨٣/١٠/٣١.

وللدولة حق الانتماء ، وله عليها حق خدمته وتأمين سلامته وممارسته حريته وفق موجبات القانون»[٣٩].

هذه الأسس تطرح على التفكير السياسي في لبنان وعلى رجال الاصلاح الثوابت الرئيسية التي يجب ان ينطلق منها كل تطوير وطني :

١. كل طائفة في لبنان تتمتع بحق وجود وبضمانات وجود وبحقوق دستورية ، من أجل نموّها الذاتي.

٢. حقوق كل طائفة وضماناتها تفرض ذاتها على باقي الطوائف ، ممّا يفترض قيام مبدإ الاعتراف المتبادَل ، المتساوي بين الطوائف ، على أساس خصوصياتها ، كبديل من فكرة الالغاء المتبادَل. وهذا الاعتراف يجب أن يكون بديهيًّا ، لأن التمايز يكون تمايزًا من موجود ، وهذا يعني ضمنًا وجوب الاعتراف بالآخر وقبوله متمايزًا. وهذه الحقوق والضمانات تفرض على الدولة احترامها ، من خلال الالتزام بألّا يتعرّض أي تنظيم مؤسسي في الدولة لكيانات الطوائف الخاصة.

٣. هذا الوجود المتمايز ليس وجودًا منعزلاً ، انما يقوم على مبدإ التكامل بين الجماعات في سبيل قيام المجتمع الوطني ؛ وهذا الوجود لا يقوم على مبدإ التجاور ، بل يطمح الى تجاوز خصوصيات الجماعات في سبيل قيام بوتقة وطنية متماسكة ؛ وهذا الوجود ليس وجودًا منغلقًا ، بل يقوم على انفتاح الأديان والثقافات بعضها على بعض ، في عملية تفاعل خلاّق ، يعطي الكيان الوطني خصوصيته الانسانية بين الأوطان ، من خلال تجربة تفاعل الخصوصيات ، لأن الخصوصية وان كانت تعني الفرادة ، فهي لا تكون انفرادًا أو تفرّدًا.

٤. ان علاقة الدولة بالطوائف والمواطنين ليست علاقة فوقية تسلّطية ، بل هي تقوم على جدَلية المؤسسات الاجتماعية والسياسية ، من خلال تفاعل تكاملي ركائزه :

---

[٣٩] كلمة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ، ٨٤/٢/٥.

- ضرورة احترام الدولة لوجود الطوائف الذاتي وضمانها لهذا الوجود.
- احترام الدولة وضمانها للحقوق الطبيعية وغير القابلة للتصرّف لكل انسان ومواطن ، وعلى رأسها الحرية والمساواة والعدالة.
- إلتزام الطوائف جانب وجودها كعنصر تكويني للمجتمع السياسي ، وعدم تخطّيها لذلك.
- التزام المواطن جانب الولاء المطلق والانتماء الكلي للوطن ، بعيدًا عن كل ازدواجية.

٥. أولوية الانسان في الوطن وعلى الطائفة.

٢. الانسان ، الوطن ، الطائفة

هذه المرتكزات التي يحددها الرئيس الجميّل تستوحي عمق التركيبة السكّانية – المجتمعية في لبنان وتطوُّرها عبر التاريخ. والنظرة السريعة الى تاريخية التكوّن السكاني الاجتماعي للبنان تسمح لنا باستخلاص المبادئ التالية : ان لبنان مكوّن من مجموعة طوائف ، أي مجموعة وحدات اجتماعية – سياسية قابلة للحياة تاريخيًّا ، من خلال استمراريتها عبر الأجيال ، وفق القواعد التي كانت في أساس قيامها وتنظيمها ؛ الطائفة تشكل في لبنان المستوى الأول لاجتماعية الانسان ، وهي في ذلك سابقة للدولة والمجتمع الوطني ، كونها عنصر انتماء وتوحيد اجتماعي وكونها تحتوي مجمل المفاهيم الدينية والثقافية للمجموعة وعناصر تماسكها الداخلي وقوتها وتطلّعاتها وأمانيها ؛ استحالة تذويب الكيانات الطائفية لصالح كيان واحد استيعابي.

وفي تفكير الرئيس الجميّل بعض القناعات المستمدَّة من واقعنا اليوم ، ويمكن اختصارها بالآتي : ضرورة استمرار الكيان اللبناني ، دستوريًّا واجتماعيًّا ؛

ضرورة استمرار هذا الكيان من خلال مكوّناته الاجتماعية السياسية ؛ حتمية الوصول المستمر الى صيغة توفيقية ، تحترم وجود الطوائف بكياناتها وتحترم وجود الوطن بوحدويته ؛ اقتناع الرئيس بأن التعايش في لبنان بين طوائفه المتعددة قد وصل الى مرحلة متقدمة تاريخيًّا ، برغم الصعوبات التي يلاقيها هذا التعايش ، ممّا يجعل كل رجوع الى الوراء مغامرة خطرة على الوطن والدولة .

ومن مجمل هذه المنطلقات والقناعات ، يمكن فهم إصرار الرئيس الجميّل على قيام وطن متماسك موحَّد ، بدون ان يقضي ذلك على الوجود المتميز للطوائف . وفي هذا الإطار يرى الرئيس الجميّل في التعايش والوفاق قاسمًا سلوكيًّا مشتركًا بين المجموعات ، وفي الوطن اللبناني بخصوصيته وتمايزه مبدأ انتماء سياسي يتخطى الانتماء الطائفي بدون أن يلغيه .

وتطلع الرئيس الجميّل في هذا المجال طَموح وفريد . فبدل ان يكون تواجد الطوائف المتنوعة في الوطن تنافريًا وتناحريًا فيشكل في نهاية المطاف سببًا لزوال الوطن وبالتالي نكسة حضارية للانسانية ، يطمح الرئيس الجميّل الى ان يكون هذا الوجود المتنوع والمتعدد علّة وجود للبنان الوطن ، بحيث يصبح هذا التكوين الفريد حاجة انسانية ملحّة وتشكل مكوّناته مقدمة لقيام تركيبة حضارية جديدة تستوعب التنوع في وحدة نوعية متقدمة .

ويدرك الرئيس الجميّل الصعوبة القصوى لإدخال الطوائف في وحدة الوطن ، كما يدرك أهمية الحوار والتفاعل في ما بينها ، لانماء شعور مشترك يتخطّى الأفق المحدّد لكل طائفة . ومن هنا تبرز ضرورة الوصول الى مفهوم استيعابي ، يتخطى الطائفة بدون أن يكون بديلاً منها ، ويتخطى الوطن بدون أن يلغي خصوصيته . وعلى هذا المستوى تبرز النزعة الانسانية في تفكير الرئيس الجميّل ، حيث يشكل الانسان ، في اطلاقيته وشمولية طبيعته ، عامل تحرير وتوحيد ، أو ، بمعنى آخر ، عامل تفلّت وجذب : تفلّت من خصوصية الطائفة والحزب

والمحيط وما يرتبط بها من عصبيات وشوفينية ؛ وجذب نحو دائرة الانسان الشاملة ، التي تستوعب الخصوصيات في وحدة الطبيعة الانسانية ، والامتيازات في تساوي الحقوق والواجبات ، وعوامل التمييز والعنصرية في تمايز الذات البشرية الكونية عن جزئيات الجماعات ، وانفعالات الرفض المتبادل بين المجموعات في الالتقاء في حق الوجود المتساوي في المطلق .

كذلك يدرك الرئيس عمق ترسّخ التنظيم الطائفي في مجتمعنا ، لكنه يرفض أن يكون الوطن محصلة تواجد الطوائف ، ويرى فيه طائفة جميع الطوائف ، من حيث انه يحتوي ، في أبعاده التاريخية والثقافية ، العوامل المشتركة التي تلتقي عليها الطوائف . وفي هذا المفهوم يشكّل الوطن ، على المستوى التاريخي السياسي الجمَاعي بالنسبة الى الطوائف ، المرادفَ للانسان المطلق ، على مستوى تلاقي الأفراد في وحدة الطبيعة البشرية .

من هنا يرفض الرئيس الجميّل أن تكون حقيقة وجود لبنان في ايديولوجية طائفة أو حزب ، لأن حقيقة لبنان هي في كونه وطن الانسان . وبالتالي فلبنان لا يمكن أن يكون ملكية فئة أو حزب واحد ، لأن لبنان ، في تكوينه ، يشارك في حقيقة الانسان وحريته وكرامته وأولويته . ومن هنا ، فلبنان محكوم عليه بأن يكون وطن جميع الأديان والطوائف والثقافات والإيديولوجيات والتيارات ... لانها كلها جزء من حقيقة الانسان . وأيّ انتقاص أو تعدٍّ على الانسان في لبنان يُخلُّ بالمعادلة ويقضي على لبنان بكل ما فيه . ومن مصلحة كل طائفة ، لا بل من مصلحة الانسانية ، ان تحفظ هذا الوطن ، لأنه يعني وجودها الحر الكريم ، ولأن هذا الوطن هو فعل وجود في الحرية أكثر ممّا هو فعل إرادة . ولذلك يرفض الرئيس «ان ينفرد أو ينفصل شخص أو فريق أو حزب أو منطقة أو طائفة في تقرير صيغة لبنان»[٤٠] .

---

[٤٠] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف ، ٣١/١٠/٨٣ .

وفي اعتقادنا ان نقطة الوصول ، في تفكير الرئيس الجميّل ، ليست دعوة الى تذويب الطوائف ، بل دعوة الطوائف جميعها الى تخطّي إطار خصوصياتها لتلتقي في إطار أوسع ، اطار الانسانية الشاملة ، حيث تبطل الخصوصية ان تكون تمايزًا عن الآخرين ، أي ان تكوّن اختلافًا نوعيًا عنهم يحمل في طياته العنصرية ونزعة التفوق والتسلّط ، لتصبح جزءًا مندمجًا وغير منفصل في كلية الحقيقة الانسانية .

ان نقطة الوصول هذه تنطوي على فهم عميق لحقيقة المشكلة اللبنانية وجوهرها عند الرئيس الجميّل ، وعلى تصور نظري للحل المناسب المطلوب لهذه المشكلة .

وفي اعتقادنا ، ان جوهر المشكلة ليس قضية غبن او تسلطًا أو هيمنةً لطائفة على أخرى ، أو عدم توازن في توزيع الحصص والمراكز في مؤسسات الدولة ، أو خللاً في ميكانيكية المشاركة في القرار السياسي...

هذه الأمور كلها هي الظواهر والإفرازات للمشكلة الأم التي تكمن في نظرة الطوائف بعضها الى بعض . فكل طائفة ترى في ذاتيتها ، وبالمقارنة مع الطوائف الأخرى ، تفوقًا «نوعيًا» (ثقافيًا أو دينيًا أو ديمغرافيًا ...) يخلق عندها شعورًا بضرورة ترجمة هذا التفوق سياسيًا . وهذا يخلق عند كل طائفة ، وفي آن معًا ، نزعة تسلطية تدفعها الى المطالبة بالأكثر – قياسًا على انها الأفضل – وتخوفًا على الوجود من الآخر الذي هو أدنى منها والذي قد يفقدها هذا التمايز . وعلى مستوى العمل السياسي تتحول هذه النزعة وهذا التخوف الى مطالبة دائمة بالحقوق – كتعبير عن حق الأفضل – لا يوقفها تحقيق مطلب أو مطالب ، وبالموازاة الى الشكوى الدائمة من اغتصاب الحقوق من قبل الآخرين كتعبير عن الخوف – الواعي أو اللاواعي – من احتمال تسلط الآخر . والنتيجة الحتمية لكل ذلك نزاعات مستمرة بين الطوائف تتأرجح بين العنف السياسي والعنف الدموي .

فاذا كان جوهر المشكلة في هذا الشعور بالتفوق ، فلن تكون المساواة في

الحصص والمراكز والمناصب والنسب هي الحل ، لأن المساواة في هذا المجال تعني لكل طائفة انتقاصًا من ذاتيتها من خلال مساواتها مع الطوائف الأخرى التي تعتبرها أدنى منها .

ان التطلع الانساني في تفكير الرئيس الجميّل يحمل ضمنًا حلًّا معينًا لهذه المشكلة . ونقطة الانطلاق في هذا الحل ان تكف كل طائفة عن اعتبار ذاتها المقياس المتطور لتقييم الطوائف الأخرى وما ينتج عنه من افتراض هرمية معينة تأتي الطائفة في أعلى سلّمها . وبالمقابل ، على كل طائفة أن تنظر الى الطوائف الأخرى من خلال وحدة الانتماء الانساني القائم على المساواة الطبيعية الأساسية بين البشر في وجودهم وحقوقهم وواجباتهم تجاه بعضهم بعضًا . وفي هذه النظرة ، تبطل ان تكون الخلية التكوينية للمجموعة المارونية الانسان الماروني ، وللمجموعة السنّية الانسان السنّي ، وللمجموعة الدرزية الانسان الدرزي ... وتبطل ان تكون المجموعة المارونية أو السنّية أو الدرزية ... نماذج حضارية متمايزة أو متفوقة . وبالتالي تصبح الخلية التكوينية المشتركة لكل المجموعات الانسان الصرف خاليًا من اية نعوت أخرى ، وتصبح الطوائف – المجموعات كلها اجزاء متساوية ومتكاملة ومتناغمة في الإطار الكلي للمجموعة الانسانية حيث المساواة تكمن أساسًا في ضرورة وحتمية وجود كل جزء من الاجزاء كعنصر لا غنى عنه .

ان حل مشكلة المساواة يبدأ على هذا المستوى ، أي في قبول الآخر مساويًا للأنا في المطلق . وفي مثل هذا الاعتراف من قبل الجميع ينتفي كل معنى وكل مغزى للمناداة بالمساواة بين المسيحي والمسلم في الوظائف والمراكز والقرار السياسي ... لان المساواة الأساسية بين الاثنين تكون قد تمت من خلال مشاركتهما في المساواة بين الانسان والانسان في المطلق ، وينتفي الخوف والتخوف الناتجان عن حالة العداء الكامن من خلال تحول الآخر من نقيض يجب إلغاؤه إلى مثيل يتوجب الحفاظ عليه .

إنه تحدٍّ مطروح على الطوائف : فإما أن تندرج خصوصيات الطوائف في إطار الانسانية الأشمل ، ويكون لها باب مفتوح على الانسانية ، وبالتالي على باقي الطوائف والمجتمعات ، واما أن تكون خصوصيات هذه الطوائف كلاً قائمًا بذاته ومنغلقًا على ذاته ومنقطعًا عن رحاب الانسانية ، فتنتفي خطوط الالتقاء مع الآخرين وينتفي معها الاعتراف والتعارف ، وتنزلق الطوائف في متاهات التعصُّب والعدائية والتحجر والتآكل .

ان لبنان الوطن ولبنان الانسان ، كوجود وفعل في التاريخ ، رهن بهذا الخيار : فإما أن تكون الطوائف جزءًا من الجماعة الانسانية ، فيصبح لبنان الوطن وطنًا للانسان ، وإما أن لا تكون كذلك ، فيصبح الانسان في لبنان ، عاجلاً أم آجلاً ، بلا وطن ، لأن استمرارية لبنان في هذه الحال تصبح مستحيلة ، اذ إنه سيتحوّل حتمًا ، بالنسبة الى كل مجموعة ، ساحة لتصفية الأخرى . وهذا سيؤدي الى حالة من حالتين : إما زوال لبنان الوطن ، حاملاً معه كل الطوائف ، وإما أن يزول لبنان وطن الانسان ليبقى لبنان وطنًا لانسان معيّن ، استطاع ان ينفرد فيه لأنه قضى على الآخرين .

وفي الخلاصة ، كيف يمكننا اختصار مفهوم الرئيس الجميّل للبنان الوطن ولبنان الدولة ؟

بالنسبة الى لبنان الوطن ، يرى الرئيس «ان تلاحُم الطوائف والفئات والجماعات في البوتقة الوطنية الجامعة من شأنه ان ينتقل بصيغة التعايش من التجاور الى التكامل ، لتحقيق الذات الوطنية الواحدة المنصهرة في وطن نهائي ... لأنه ليس من حقنا ، ولا من حق أي طائفة أو جماعة أو فئة ، ان تورث الجيل الطالع هواجس القلق ورواسب السنين التسع »[٤١] .

---

[٤١] كلمة أمام السلك الديبلوماسي ، ٨٤/١/٦ .

اما لبنان الدولة ، فيصفه الرئيس أمام المجتمعين في لوزان : «اني أراه وطنًا منيع السيادة حرّ القرار... أراه عربيّ الانتماء ، متفاعلاً مع محيطه ، يعتز بدوره الريادي... أراه صاحب رسالة تتخطى حدود لبنان الجغرافية وحدود الانسان اللبناني إلى الانسانية الكونية تُحقِّقُ ذاتَ الانسان وانتماءه الحر... أراه فريدًا في خصائصه ، فذًّا في مميزات تُبرز التنوّع الحضاري المتفاعل في إطار وحدة الوطن ، بما يضمن لكل مجموعة حقوقها واطمئنانها وحريتها في المعتقد والممارسات ؛ أراه دولة ديمقراطية حرة ، ذات نظام سياسي حر ومؤسسات متطورة تعكس إرادة الشعب... أراه مجتمعًا مبنيًّا على قواعد النظام الاقتصادي الحرّ... أراه بيئة حضارية راقية ، يتحلى فيها اللبناني بالحسّ المدني...»[٤٢].

انه الخروج من التسوية والمساومات الى السوية والمساواة ما يدعو اليه الرئيس الجميّل. انه الخروج من تحدي الوحدة لتمزُّقنا وصراعنا والولوج الى الوحدة في وجه تحدي المستقبل لنا في استحقاقنا لأرضنا ووطننا ، في جدارتنا لعصرنة مؤسساتنا ، في تساميناً على طريق تحقيق أنسنة الانسان فكرًا وعقلاً وجسدًا ورفاهية ، في تهيؤنا لمواجهة واستيعاب ثورة التكنولوجيا التي داهمتنا ، في قدرتنا على تتويج وطن الحضارات والثقافات والأديان وطنًا للانسان ، في إرادتنا لصياغة ناجحة لتجربة انسانية فريدة اصطفانا التاريخ لها ، وفي وعينا لرسالة انجاح حوار الحضارات والأديان في تعايشها اليومي ، كنموذج أمل للانسانية الممزقة في عقائدها.

---

[٤٢] خطاب في مؤتمر الحوار الوطني في لوزان ، ٨٤/٣/١٢.

مَراجِع الدّراسَة

استندت هذه الدراسة الى مجموعة من خطب الرئيس أمين الجميّل وتصريحاته ، في مناسبات عديدة ، حسب الجدول التالي :

١. خطاب أمام مجلس النواب اللبناني في جلسة القسَم الدستوري ، ١٩٨٢/٩/٢٣ ، «حاليّات» ، عدد ٢٧ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٩ .

٢. خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ١٩٨٢/١٠/١٨ ، «حاليّات» ، عدد ٢٨ ، ص ٢٣٩ – ٢٤١ .

٣. خطاب أمام مجلس الأمن الدولي ، في ١٩٨٢/١٠/١٨ ، «حاليّات» ، عدد ٢٨ ، ص ٢٤١ – ٢٤٣ .

٤. مؤتمر صحافي في باريس ، بتاريخ ١٩٨٢/١٠/٢٠ ، «العمل» ، ١٩٨٢/١٠/٢١ ، ص ١ و ١١ .

٥. كلمة في مناسبة يوم العلم ، بحضور الهيئات الثقافية ، في ١٩٨٢/١١/١٨ ، «حاليّات» ، عدد ٢٨ ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

٦. رسالة إلى اللبنانيين في مناسبة عيد الاستقلال ، ١٩٨٢/١١/٢١ ، «حاليّات» ، عدد ٢٨ ، ص ٢٤٨ – ٢٥٠ .

٧. كلمة أمام السلك الديبلوماسي المعتمد في لبنان ، بتاريخ ١٩٨٣/١/٦ ، «النهار» ، ص ٢ .

٨. خطاب أمام مؤتمر دول عدم الانحياز في نيودلهي ، ١٩٨٣/٣/٩ ، «الوكالة الوطنية للأنباء» ، ١٩٨٣/٣/٩ ، ص ٣ – ٧ .

٩. خطاب في حفلة تخريج الضبّاط في المدرسة الحربية ، ١٩٨٣/٥/٧ ، «النهار» ١٩٨٣/٥/٨ ، ص ٤ .

١٠. خطاب في الملعب البلدي ، لمناسبة الذكرى الخامسة بعد المئة لتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ، ١٩٨٣/٥/٢٩ ، «النهار» ، ١٩٨٣/٥/٣٠ ، ص ١٢ .

١١. لقاء مع الوفد الإعلامي لدولتيْ الإمارات العربية المتحدة وقطر ، «النهار» ، ١٩٨٣/٥/٢٩ ، ص ٤ .

١٢. حديث صحافي مع «المجلة» السعودية ، نقلته جريدة «العمل» في ١٩٨٣/٦/١٨ ، ص ١ و ١١ .
١٣. خطاب في مأدبة الإفطار في قصر بعبدا ، ١٩٨٣/٦/١٩ ، «النهار» ، ١٩٨٣/٦/٢٠ ، ص ٢ و ٣ .
١٤. كلمة أمام نادي الصحافة الوطني في واشنطن ، ١٩٨٣/٧/٢١ ، «النهار» ، ص ١ و ١١ .
١٥. خطاب في لقاء الجالية اللبنانية في واشنطن ، ١٩٨٣/٧/٢٣ ، «النهار» ، ١٩٨٣/٧/٢٤ ، ص ٢ و ٥ .
١٦. خطاب في لقاء الجالية اللبنانية في هيوستن ، ١٩٨٣/٧/٢٣ ، «النهار» ، ١٩٨٣/٧/٢٥ ، ص ٢ و ٤ .
١٧. خطاب في لقاء الجالية اللبنانية في ديترويت ، ١٩٨٣/٧/٢٤ ، «العمل» ، ١٩٨٣/٧/٢٦ ، ص ٢ .
١٨. كلمة في مناسبة يوم الجيش ، أول آب ١٩٨٣ ، «العمل» ، ١٩٨٣/٨/٢ ، ص ١ و ١١ .
١٩. كلمة إلى الشعب اللبناني عبر التلفزيون ، ١٩٨٣/٨/٢٥ ، «العمل» ، ١٩٨٣/٨/٢٦ ، ص ١ و ١١ .
٢٠. خطاب في افتتاح مؤتمر الحوار الوطني في جنيف ، بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٣١ ، «حاليّات» ، عدد ٣٢ ، ص ٢٢٨ – ٢٣٠ .
٢١. رسالة الى اللبنانيين في مناسبة عيد الاستقلال ، ١٩٨٣/١١/٢١ ، «حاليّات» ، عدد ٣٢ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٩ .
٢٢. كلمة امام السلك الديبلوماسي المعتمد في لبنان ، بتاريخ ١٩٨٤/١/٦ ، «حاليّات» ، عدد ٣٣ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ .
٢٣. كلمة الى الشعب اللبناني عبر التلفزيون ، بتاريخ ١٩٨٤/٢/٥ ، «حاليّات» ، عدد ٣٣ ، ص ٢١٩ – ٢٢٣ .
٢٤. خطاب في افتتاح مؤتمر الحوار الوطني في لوزان ، بتاريخ ١٩٨٤/٣/١٢ ، «حاليّات» ، عدد ٣٣ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٦ .

عودة اللبنانيين إلى الوطن والشرعية*

جلسة القسَم الدستوري ،
الفياضية ٢٣ ايلول ١٩٨٢

«دولة الرئيس ،
حضرة النواب المحترمين ،
ايها اللبنانيون ؛

بين الثالث والعشرين من آب ، والثالث والعشرين من ايلول ، شهرٌ يختصر عمرًا ، وعمرٌ يختزل تاريخًا . انهما عمر الديمقراطية اللبنانية ، وتاريخ الأصالة الوطنية ، الأقوى من المحنة والأبقى على مرّ العهود .

ديمقراطيتنا في عمق الكيان ، وأصالتنا في بُعد الوجود ؛ وما وقفات هذا المجلس النيابي الكريم إلّا تعبير عنهما ، وتجسيد لهما .

لقد بقي المجلس ، في وجه كل التحدّيات ، بفضل تصميم اعضائه ، ومبادرة رئيسه ، الصورة الحقيقية للإرادة اللبنانية ، ومركز الضمير الوطني ، يؤكّد ، على امتداد قراراته الشجاعة وممارساته الواعية ، ان وحدة الارض والشعب والمؤسسات هي قدَرنا المختار ، وان لا بديلَ منها ولا غنى عنها .

وها هو ، في الاجماع الذي حققه قبل يومين ، يمثّل تمسكَ اللبنانيين بوحدة لبنان ، وإصرارهم على انقاذه .

انني ، اذ أتسلم الأمانة من عهد ، والقضية من عهد آخر ، الأمانة من عهد فخامة الرئيس الياس سركيس الذي انتهت ولايته صباح هذا اليوم ، والقضية من عهد فخامة الرئيس الشهيد بشير الجميّل الذي لم

* عناوين هذه الخطب من وضع مؤلّف الكتاب . وهذه الخطب منقولة بمجملها عن موسوعة «حاليّات» الفصلية ، باب «وثائق» ، من الاعداد ٢٧ الى ٣٣ .

يُتَح له ان يبدأ ، اعلن ان للرئيسين ، على الوطن وعليَّ ، واجبَ الانصاف للأول والوفاء للثاني .

فالرئيس سركيس عانى وصبر ، ثابر وصمد ؛ والرئيس بشير ، اخي ورفيقي ، حلُم والتزم ، ناضل واستشهد ، فمن حق ذكراه علينا ان نعمل على تحقيق الأحلام التي راودته ، والآمال التي عُلّقت عليه .

ايها اللبنانيون ؛

انني اتسلم الرئاسة والوطن في حال من العناء والعياء ؛ وحدتُه حقيقةٌ في الضمائر ، وواقعه تمزق على الارض وتشتّت ، تتجاذبه الاطماع وتتقاذفه الاهواء ، تعصف به الأحقاد ، وتقوم الحواجز بين ابنائه .

والدولة تتنازعها مصالح الدول والدويلات ، معطلة المؤسسات ، منهوبة الموارد ، مغتصبَة المرافق ؛ بيروت ، العاصمة المشطورة بين غرب وشرق ، مثخنة بالجروح ، تعاني آثار الدمار ؛ الجبل قلق من تفكك الأواصر بين قُراه ، وكثرة الفواصل بين أهله .

اما الشمال فأصابته العاصفة التي اجتاحت لبنان ، فباعدت بين جزء غال من الوطن وسائر اجزائه . الشمال يشدّ بنا الحَنين اليه ، وينادينا الوطن للخروج من دوامة المآسي والغربة ، وإعادة اللحمة بين ابناء العائلة الواحدة ، بروح التسامح والإخاء .

والبقاع ، مصدر الخصب والعطاء في ارضنا الطيبة ، تحوّل الى ميدان تتصارع فيه القوى الخارجية ، وتشكل تهديدًا مباشرًا عليه وعلى لبنان .

اما الجنوب ففي تطلع دائم الى الوطن والدولة ، متشبّثٌ بهويته اللبنانية وانتمائه العضوي الى الارض الموحّدة .

ان لبنان الـ ١٠٤٥٢ كيلومترًا مربعًا يأبى الانسلاخ كما يرفض الارتهان ، ويصرّ على ان يرجع الى نفسه ويستعيد ذاته .

ايها اللبنانيون ؛

اننا امام تحديات مصيرية لا بدّ من مواجهتها ، وأنا مصمم على تأدية واجبي كاملاً في قيادة مسيرة الخلاص .

انا من هذا المجلس ، ابنُ هذا الشعب الأبيّ ، عشت معه ، وكنا شركاء معاناة ورفاقَ قضية . من أجل ذلك ، أقول لكم انني اخوض معكم مغامرة الانقاذ . انني اراهن على المستقبل الافضل لكل اللبنانيين في العنفوان والمجد ، في الفرح والسعادة ، وأعرف تمامًا مطامح الشعب وحاجة الوطن . أولُ ما يحتاج اليه الوطن وحدةُ ابنائه ، ووقوفهم سدًّا منيعًا في وجه كل ما يتهددهم من اخطار . فالوحدة الوطنية أساسُ الوطن ، والاولوية للبنان وللولاء المطلق ، ولن نقبلِ بأي ازدواجية في الولاء ، فنحن كلنا موحدون ، ولن نقبل شِركًا في وطننا .

ايها اللبنانيون ؛

لن اقدّم لكم برنامج عهد ، لأن همًّا واحدًا يتملّكني ، الآن ، هو وقف دورة العنف والنزف على ارض لبنان. يجب ان تنتهي كل حروب الآخرين في لبنان ، وعلى حساب لبنان. يجب ضمانُ أمن الوطن وسلامة المواطن ، ولن يتحقق ذلك الا من خلال دولة قوية ، مستقلة سيّدة ، تصون الحريات العامة ، وتعمل على جلاء كل الجيوش الاجنبية عن تراب الوطن ، ويكون جيشها من كل لبنان ، لكل لبنان ، ليكون على كل ارض لبنان ، جيشٌ قادرٌ يضع حدًّا لأي انتهاك للحرمات او تطاول على القانون.

أيها اللبنانيون ؛

في موازاة الجيش ، من أجل ضمان التوازن المؤسسي في الدولة ، يجب ان يعود القضاء اللبناني وحدَه سلطةَ المحاكمة والحكم ، بل يلمع سيف العدالة فوق كل الرؤوس ويتحقق العدل.

ويجب ان تعود الادارة خادمةً للمواطن تسهّل معاملاته ، ولا ترهق اعصابه ، ولا تهدر وقته او حقّه. لذلك فلن يكون في الدولة موضع الا للكفاية والجدارة والأهلية ، لأن الدولة ستكون مؤسسة الكرامة والتضحية والخدمة العامة.

ايها اللبنانيون ؛

علينا ان نستحق لبنان لنستعيده ، علينا ان نرجع اليه لنسترجعه ، ولقد كفانا غربة واغترابًا ، كفانا هجرة وتهجيرًا. واليوم موعدُنا مع العودة الجماعية الى لبنان ، الى الارض الطيبة المعطاء ، الى النهضة الكبرى. انه موعد المصالحة مع النفس ، مع الآخرين ، موعد الارادة ووحدة الارادة ، موعد القرار ووحدة القرار التي ترسي قواعد الاستقرار الوطني ، وتوطّد دعائم الدولة الحديثة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والانمائية والعمرانية ، وهي مواضيع وسواها ستكون لنا معها مواعيد قريبة.

ايها اللبنانيون ؛

اننا نزمع ان نوطد علاقات صداقة ومودة مع العالم بأسره ، بدءًا بالاقربين اخوانِنا العرب. وانتماء لبنان الى محيطه العربي ليس شرطًا علينا بل خيار حرٌّ يحدده واقعه ومصالحه ودوره الطليعي وعضويته في جامعة الدول العربية.

ونلتزم ميثاق الأمم المتحدة وشرعة حقوق الانسان. واذا كان لبنان يرفض الدخول في لعبة المَحاور ، فهو يصرّ على البقاء في عداد الدول المتمسكة بالحرية في العالم ، والتي تعتمد الحوار الديمقراطي وتنبذ العنف والإرهاب ، وتتصدى لهذا الارهاب.

دولـــة الرئيس ، حضرة النواب المحترمين ؛

من مقعدي بينكم في هذا المجلس

الكريم الى سُدَّة الرئاسة الأولى ، لا شيءَ يتبدل بالنسبة اليّ سوى حجم المسؤولية. فكما اضطلعت بها نائبًا ، سأضطلع بها رئيسًا ، وسأفي بكل عهودي نحو الوطن المقدس.

فيا ايها اللبنانيون ؛

اليوم يُبرم عقدنا مع المستقبل : ان تكون الدولة الشرعية ، دولتكم ، هي الدولة ولا دولة سواها ؛ وان يكون جيش هذه الدولة هو الجيش الحقيقي ، ولا جيش سواه ؛ ان يكون لبنان ارض سلام لبنيه ، ورسول سلام في المنطقة ، في العالم ، ويظل ملتقى حضارات الدنيا ورسالات السماء.

وعهدي لكم ، ان يكون لبنان ابدًا فوق شخص الرئيس ، والرئيس فوق صراعات الاحزاب والطوائف ، امينًا على وحدة الوطن ومصالحه ، على استقلال الدولة وسيادتها ، على حق المواطن وكرامة الانسان ، لأن القسم الذي أدّيت هو تزكية لالتزامي المطلق المبادئ التي نشأت عليها وعشتُها ، وسأفي بها ما حييت.

يحيا لبنان ! »

مِن حُروبِ الآخرين إلى سَلام الوَطن، وَمن دمَار الحجَر إلى بنَاءِ البَشَر

الجمعية العمومية للأمم المتحدة، نيويورك ١٨ تشرين الأول ١٩٨٢

«حضرة الرئيس؛

ان التوجه الى هذه الجمعية هو امتياز فريد، وانه لشرف لي ان اعتليَ هذا المنبر، الذي طالما اعتلاه رؤساء دول كبيرة وصغيرة للتعبير عن اماني شعوبهم والدفاع عن قضاياها.

اسمحوا لي، حضرةَ الرئيس، في هذه المناسبة، بأن أشكر المندوبين الكرام الحاضرين هنا، وان اتوجّه اليكم بتهانيَّ لانتخابكم.

وليُسمح لي ايضًا بأن أتوجّه بتهانيّ الى حضرة الامين العام على تقريره السنوي الأول الذي قدّمه الى هذه الجمعية، وهو تقرير كانت فيه قضية السلام موضوعَ دفاعٍ حكيم ونزاهة فكرية.

حضرة الرئيس؛

ان مصير بلادي كان مدارَ مناقشاتٍ في جمعيتكم، ولا ينسى اللبنانيون شهادات التعاطف والصداقة التي أُحيطوا بها هنا.

لقد جئت اليكم اليوم حاملاً رسالةَ ثقة من بلد استعاد قوّتَه وعزيمته وحيويته، من بلد لم يعد في حال حرب، لكنه يجد نفسه امام مغامرة جريئة في طريق السلام وإعادة البناء.

واني لأعرف معنى السلام، وأُوليه الأولوية التي يستحقّ، بقدر ما شاركتُ في آلام الحرب وحملت السلاح، شأنَ

مواطنيَّ ، دفاعًا عن لبنان موحَّدٍ ومستقل .

وأنا أتوجه اليكم باسم شعبي ، وفي جوّ الوفاق الوطني الذي ما انفكّ ينمو عبر سنوات الحرب ، والذي تجلى بقوة عند اغتيال الرئيس المنتخَب بشير الجميّل .

ان لبنان لم يعد قادرًا على تحمل عبء الحرب المفجعة ، التي اجتاحت ارضَه في السنوات الثماني الماضية . ولا يمكن العالم ان يستمر متفرجًا على خرابنا وكأنما هو في حال من الغواية والاستمراء .

حضرة الرئيس ؛

ان لبنان كان ، قبل الحرب ، بلدًا مستقرًّا ، مسالمًا ، مزدهرًا . وبيروت ، عاصمته ، كانت المركز الثقافي والتجاري للعالم العربي .

وفجأة ، اذا بالصرح الديمقراطي الذي كان يشكّله لبنان يهتزّ . وربما كان ذلك من جرّاء الممارسة المفرطة للديمقراطية وللحرية . ولعله ، ايضًا ، بسبب بعض التهاون ، غدا لبنان مسرحًا لواحدة من أكثر الحروب ضراوة في عصرنا .

ان نزاعاتِ المصالح بين الآخرين ، والصراعات بين دول في المنطقة ، والتناقضاتِ الايديولوجيةَ في قلب العالم العربي ، والوجودَ الفلسطيني المسلّح وغير المنضبط ، والاجتياحات والتدخلات الاسرائيلية المتمادية ، والانتهاكَ الدائم لسيادتنا ولحقوقنا الأساسية ، ان كلَّ ذلك قد تضافر ، منذ العام ١٩٧٥ ، على خلق حالٍ من الحرب الدائمة في لبنان ، وهي حرب خلّفت ١٠٠٠٠٠ قتيل ودمّرت مدننا وقرانا ، حرب أتاحت لجيوش اجنبية دخولَ الأراضي اللبنانية ، وقسمت شعبنا وحولت بلادنا ، واحة الحضارة والسلام ، الى ارض للعنف ومركز للارهاب .

ان الحرب هذه قد أثارت البلبلة في النفوس على غير صعيد ، بحيث بات من المتعذّر علينا أن نميز بين اصدقائنا والاعداء . والجميع بدوا كأنهم يعملون على تدمير صيغة عيشنا الهادئ . وقد خشينا ، نحن اللبنانيين ، ان تؤدّي الحربُ الى تقسيم البلاد او إلى ضمّها ، ولبنان الذي كان صلةَ وصل بين الشرق والغرب ، غدا عاملَ خطرٍ لهؤلاء واولئك جميعًا ، وللدول العربية على الأخصّ .

في المشرق ، بلغت المشكلات والنزاعات الاقليمية على أرضنا حجمًا لا يُطاق . ففضلاً عن قوى خارجية كثيرة ، خُيّل لها ان من حقها ان تدّعيَ حقًّا إلهيًّا في التدخل في شؤوننا ، وذهبت الى حدّ إنكار حقنا علينا في التكلم عن أنفسنا ، وجد الشعبُ اللبناني ان قوى خارجة كليًّا عن نطاق رقابته تسلبه وجوده بالذات .

اما اليوم فاننا نواجه فجرَ عهد جديد ، عنوانًا لفصل جديد وصفحة بيضاء زاخرة بالأمل .

ان الدول العظمى والقوى الاقليمية تعترف بالأهمية الاستراتيجية للبنان من أجل السلام في الشرق الأوسط. اما اللبنانيون فقد استخلصوا العِبرة المريرة من الاحداث التي عانوها، وهم يجدون أنفسهم اليوم أكثر اتحادًا منهم في أي يوم مضى.

حضرة الرئيس؛

لقد جئت لأقول لكم، باسم الشعب اللبناني، انه كفانا، كفانا يأسًا. لقد دفعنا ثمنًا باهظًا من الدم، ومن الخراب، ومن التمزق. دفعنا ثمن الحرب، ولا يصحّ ان ندفع ثمنًا اضافيًّا للسلام. ان ما نريده، كوننا اعضاء في الأمم المتحدة، هو ان تُعاد إلينا حقوقنا. ان لكل دولة الحق في صون سيادتها. وسنصون سيادتنا. ولكل دولة الحق في ان يكون لها جيشُها القوي للدفاع عن استقلالها. وسيكون لنا هذا الجيش وسندافع عن استقلالنا.

ومثلما نطالب بأن نعيش في سلام وحرية على ارضنا، كذلك الفلسطينيون، هم الآخرون، يجب ان يكون في استطاعتهم العيش في سلام وحرية، وان يقرّروا مصيرهم على ارضهم في فلسطين. ان استقلالنا عزيز على قلوبنا، ونأمل ايضًا، بمساعدة الأسرة الدولية، في ان يتمكن الفلسطينيون والاسرائيليون يومًا من التوصّل الى توافق يتيح لهم التمتع بمجمل الحقوق التي يقوم عليها وجود وطني مستقل.

اما العلائق بين لبنان وسوريا فقد كانت دائمًا في الماضي علائق جيدة. ومن الطبيعي ان يعمل البَلدان في المستقبل على تنمية هذه العلائق وتعزيزها، في اطار الاستقلال والاحترام المتبادل. واني، انطلاقًا من هذه الرؤية الماثلة في ذهني، أدعو اليومَ الى الانسحاب الفوري، ومن دون شروط، لكل القوات الأجنبية من لبنان، وأناشد الأسرة الدولية ان تساعد لبنان على استعادة استقلاله واعادة بناء اقتصاده.

واني لأَحمل اليكم العهد الذي قطعتُه لشعبي بأن نضطلع بقسطنا الكامل من المسؤولية.

اننا عازمون على ارساء الأسس لدولة قوية مستقلة وديمقراطية. سنحرص على صون تعدّديتنا الثقافية. وكما اننا نعتبر ان حريتنا وسيادتنا هما مقدستان وغيرُ قابلتين للانتقاص، فنحن نحترم سيادة الآخرين وحريتهم، مدركين تمامًا المسؤوليات المترتبة على هذا التعهد.

وسنصون تعدّديتنا الثقافية، ولكن في اطار وحدة سياسية كاملة.

اننا نعتبر التعدّدية الثقافية عاملاً ضروريًّا للوحدة السياسية، وسنحرص على تدعيم الوفاق الوطني وخلق المواطن ذي الولاء الواحد والتوجّه السليم.

حضرة الرئيس ؛

اننا سنُعيد بناءَ ما تهدَّم ، وسيمثُل لبنان أمامكم ، في سنوات قليلة ، كطائر الفينيق ينطلق من الرماد .

من أجل ذلك ، ومن أجل السلام والاستقرار في الشرق الأوسط ، ان لبنان في حاجة الى مساعدتكم .

ان رؤيتي الى المستقبل واضحة ، والحكومة الجديدة ، التي تمثّل كل العائلات اللبنانية ، تشاركني فيها . اننا نبدأ مغامرة السلام واعادة البناء وسط مؤشرات مشجعة ، ونحن نرحب بكل المبادرات الايجابية التي يقوم بها اصدقاؤنا في الأسرة الدولية من أجل لبنان موحَّد وسيد ، شأن مبادرة الولايات المتحدة الاميركية ، التي سنعكف قريبًا على درسها مفصلاً . واننا نتطلع إلى اخواننا العرب ، آملين ان يمدّونا بدعمهم السياسي والاقتصادي ، من اجل اعادة بناء بلدٍ يمكن ان يكون مدعاة فخرٍ وعاملاً للسلام والتقدم ، لنا جميعًا ولهم .

حضرة الرئيس ؛

لقد بدأنا عملية اعادة التعمير ، وبدأ نظام الاقتصاد الحر . الذي كان الأساس لأكثر عوامل الازدهار في لبنان ، ينهض بدور طليعي . لقد أخذنا في ازالة الركام عن مدننا ، وشرعنا في البناء والترميم في كل مكان . اننا نعيد بناء الجيش على أسس وطنية رشيدة وعلى أساس من المساواة ، ونعمل على تقويته ليتمكن من تحمل مسؤولية أمن الوطن كاملة .

لقد أُعيد توحيد بيروت ، ويتولى الجيش اللبناني ، بالتعاون مع قوات من دول صديقة ، مهمةَ حفظ السلام فيها . ونعمل اليوم على وضع الخطط ليتولى جيشنا وقوات الامن الداخلي المهمات الأمنية في جميع انحاء البلاد ، بعد انسحاب الجيوش والقوات غير اللبنانية .

ويتلقّى لبنان شاكرًا مساعدات من عدد من الدول والمنظمات ، ونتلقى مساعدات من وكالات الأمم المتحدة . وانني ، حين أتحدث اليكم بتفاؤل عن المستقبل ، أود أن أشير الى ان الوضع في لبنان والشرق الأوسط ما يزال هشًّا وخطرًا ، ولن يتسنى دعم قوى السلام في منطقتنا ما لم تتضافر جهودكم في هذا السبيل .

وأودُّ أن أوكّد ان الفرصة متاحة لنا اليوم لوقف دورة الحرب والفوضى ، وعلينا ان نقتنصها .

ومن الواضح ان تحقيق السلام في لبنان شرط لتحقيق السلام في الشرق الاوسط . فلبنان مفتاح المنطقة . فاذا ما نَعِمَ بالاستقرار استقرت المنطقة ، واذا ما عمت الفوضى فيه ، فانها لا محالة ستعمّ هذا الشرق القابل للاشتعال .

حضرة الرئيس ؛

لنعمل جميعًا في سبيل السلام. فلبنان على استعداد للسلام ، وكذلك شعوب المنطقة. ذلك اننا نعتبر السلام اليوم حاجة آن أوانها. فلنحاذر ان تُفلت هذه الفرصة من ايدينا. ولتتناسَ كلُّ دولة انفعالات الماضي ، ولتتخلَّ عن مواقفها السابقة وترتفع فوق العقائد السياسية ، وتتخطى النزعات الدينية. ولتتعاون الدول في السعي لتحقيق مصالحها المشتركة. واننا في لبنان نرغب أصدق الرغبة في ان نشارك في عملية السعي هذه ، وعلى الأخصّ في الشؤون التي تؤثر علينا مباشرة ، كما تؤثر على موقعنا في المنطقة ، وفي العالم.

حضرة الرئيس ؛

ورد في قصيدة كُتبت منذ قرن عن الغرب الاميركي ، بيتٌ من الشعر يعبّر عن التحدي الذي يواجه الانسان في الجبال الوعرة ، فيقول : «جئني برجال على مستوى هذه الجبال»... وبلادي كذلك ، يا حضرة الرئيس ، بلادٌ جبلية صلدة ، والناس فيها اشدّاء وأباة ، مثل جبالهم.

ان الرجال في لبنان ، اليوم ، واعونَ للتحدّي التاريخي الذي يواجههم. فهم صنْوُ جبالهم. وطموحاتهم شامخةٌ كالأرز ، عاليةٌ علوَّ أرزهم. اعطونا السلام وخذوا منا ما يدهش العالم.

وشكرًا.»

سلام الحق والحق بالسلام

مجلس الأمن الدولي ،
نيويورك ١٨ تشرين الأول ١٩٨٢

«حضرة الرئيس ؛

أودُّ أولًا أن أشارك في التقليد المتَّبع في مجلسكم ، فأهنئكم بالمسؤوليات الجسام التي تتحملون ، مُعربًا عن سروري لوجودي هنا في اثناء تولّيكم الرئاسة .

ان الروابط التي تشدّ بلادي الى بلادكم كثيرة وخالدة . لذلك أرجو ان تنقلوا الى جلالة الملك حسين شكرنا للدعم الذي طالما لاقته القضيةُ اللبنانية من حكومته ، وبالأخصّ بعثته الى منظمة الأمم المتحدة .

حضرة الرئيس ؛

ان لبنان مَدينٌ بالكثير لمجلسكم ولكل من اعضائه ، سواء الحاضرين هنا أم الذين تعاقبوا حول هذه الطاولة منذ العام ١٩٧٨ . ان حضوري بينكم ليس مجردَ مبادرةٍ شكلية ، بل هو ، أولًا وقبل كل شيء ، فعلُ ايمان . ذلك ان ثقتنا بالمجموعة الدولية التي تمثّلون لا يعادلها سوى تعلقنا بمبادئ الحق التي ائتمنتم عليها . فلبنان الذي لم يكن يومًا معتديًا ، وكم من مرة كان معتدى عليه ، لم يملك وسيلة سوى اللجوء الى المنظمة التي شارك في تأسيسها ، آملًا ان تعرف المنظمة اليوم ، شأنها في الماضي ، كيف تحافظ على السلام والحرية .

حضرة الرئيس ، ايها السفراء ؛

لم يخدعنا مجلسكم ولم يخيّب آمالنا ، غير ان التقلّبات التي حالت دون اعطاء مقرراتكم حجمَها التاريخي تحملنا ، اسوة

بالكثيرين منكم ، على البحث معًا في نطاق الميثاق عن الوسائل العملية التي من شأنها ان تؤمن للمجلس فعالية أكبر.

اننا نفكر بالأخصّ ، كما تعلمون ، في القرارين الرقم ٤٢٥ والرقم ٤٢٦ ، وفي القرارات التي نجمت عنهما. ونفكر ايضًا في القرارات الأخرى ، الرقم ٥٠٨ والرقم ٥٠٩ وتلك التي أقرت باجماع رائع.

بالطبع ، ان هذه القرارات لم تحرّر لبنان ولم تحُلْ دون استمرار الاجتياحات وتلاحقها ، انما أدانت العدوان وثبّتت شرعية حقنا ، ودعمت حرمة ارضنا ، وساهمت حيال الجميع في المحافظة على وحدة وطننا وسيادته في حدوده المعترَف بها دوليًّا.

لقد انضمّ الى نضالنا في سبيل استقلال لبنان وحرية اللبنانيين جنودٌ استدعاهم مجلسُكم وشاركوا في هذا النضال باسم السلام.

ثقوا ان دمهم الذي أريق على الارض اللبنانية والذي امتزج بدم شهدائنا لن يذهب سدىً ، ما دمنا نعلم ان قضية السلام بدأت تنتصر ، وستنتصر على رغم كل من يتهددها.

تهتمون اليوم ، أيها السادة ، بمصير جنود السلام ، مصير جنود قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في جنوب لبنان ؛ ان رغبتنا في التجديد لهذه القوة باتت معروفة.

وفي رأينا ان هذا التجديد يجب ألّا يكون غير محدود ، لأن قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في جنوب لبنان يجب ان تظل «قوة موقتة» ، كما يدل على ذلك اسمها. ثم انه من الواجب تمكين هذه القوة ، وفق حرفية تحديد مهمتها ، من «ان تعيد السلام والأمن الدوليَّيْن» الى جنوب لبنان ، وان «تساعد الحكومة اللبنانية على تأمين اعادة سلطتها الفعلية على هذه المنطقة» (القرار الرقم ٤٢٥/٧٨).

بعد الاجتياح الاسرائيلي في آذار ١٩٧٨ شعرت قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في جنوب لبنان ، كما نعلم جميعًا ، بصدمة ، لأنها مُنعت من أداء مهمتها تمامًا ، إنْ بتحرشات فريق أو بتعجيزات فريق آخر.

ومع استمرار الحرب الاسرائيلية – الفلسطينية داخل الاراضي اللبنانية ، يصبح اتفاق الهدنة المعقود في العام ١٩٤٩ والذي ما زال لبنان يُصرّ على احترامه والعودة إليه ، مهدَّدًا مرة أخرى بالسقوط. لقد خرقته اسرائيل باجتياحها لبنانَ من جديد ، في الظرف الذي تعرفون.

ان جلاء القوات الاسرائيلية هو اليوم الغاية التي حدّدتها قراراتكم. هذه الغاية يجب ان تتحقق. غير ان لبنان ينتظر كذلك ، كما أعلن ذلك مرارًا في هذا المقام بالذات ، جلاءَ جميع القوات غير اللبنانية الموجودة على أرضه.

حضرة الرئيس ؛

ليس مألوفًا ان يشارك رئيسُ دولة في اعمال مجلس الامن ، كما انه ليس في نيتي ان افعل ذلك . انما أرى انه في غاية الضرورة ، نظرًا الى الظروف المأسوية التي يعيشها لبنان والتي تهدد السلام والامن الدوليين في جنوب لبنان ، في نطاق التطورات التي تبعت تحديد مهمتها الأساسية ، ان يجيء تجديد هذه المهمة آخذًا في الاعتبار متطلبات الردع الجديدة ، وبالأخصّ ضرورة اعطاء مصداقية أكثر لعملية المحافظة على السلام .

حضرة الرئيس ؛

الى جانب قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في جنوب لبنان ، طلبتِ السلطات اللبنانية الدعمَ والمعاونة من قوة دولية أخرى ، هي القوة المتعددة الجنسيات التي ساهمت فيها بلدان حاضرة هنا وأبلغت الأمر لمنظمتكم .

في ظل هذه القوة ، التي ما زالت تعمل بكثير من الفعالية والشجاعة ، انسحبت الوحدات العسكرية الفلسطينية والسورية من مدينة بيروت ، كمرحلة أولى من مفاوضات ترمي الى السماح للجيش اللبناني بأن يتولى وحده ، وفي صورة كاملة ، جميع مسؤولياته ، فتبسط الدولة سلطتها على جميع الاراضي اللبنانية من دون أي وجود مسلح آخر .

وهكذا ، يرجو لبنان ، في الأيام او في الأسابيع المقبلة ، ان يستعيد عافية جديدة .

العاصمة التي غادرتُ امس بدأت ترتعش بالتجدّد . ان مناعةَ لبنان ، وقرارَه بالانتصار في هذه الحرب الأخرى ، الحرب ضد الدمار والتدهور ، هو ربما احدى اعظم الظواهر في عصرنا .

بفخر وأمل كبيرين جئت لأعلن امام مجلسكم ، بأكبر قدْرٍ من الاجلال ، عزمَ اللبنانيين ، جميع اللبنانيين ، على العيش معًا ، انما وحدهم ، في لبنان مستقل ، واحد موحّد الى الأبد ، لا يتجزأ .

ان لبنان ، وهو مطمح أنظار أعدائه وغيرة اصدقائه ، استحقّ بفضل دم ابنائه ان يكون حرًّا وان ينعم بالثقة والدعم من الأمم التي هي مثلنا شغوفة بالحرية .

حضرة الرئيس ؛

لا أريد ان انهي هذا العرض من دون أن أقول لكم كم نحن معنيون بقضية الشرق الاوسط التي هي على جدول اعمالكم .

فاللبنانيون ، الواثقون اليوم بأن السلام في لبنان لن ينتظر ايجاد الحل الشامل للقضية التي تهمنا جميعًا ، يريدون أن يؤكّدوا ، أكثر من أي يوم مضى ، تضامنهم مع العالم العربي الذي ينتمون اليه بخيار حرّ .

في نطاق منظمة الأمم المتحدة ، هذا التضامن يترجم كما تعلمون في العمل على

تطبيق قرارات اجماعية تتعلق بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وبعدم جواز اكتساب الاراضي بالقوة والحرب.

فأيُّ تعهّد يمكن ان يكون، في الحقيقة، طبيعيًّا بالنسبة الى اللبنانيين، أكثر من هذا التعهد، بعدما كان اللبنانيون أنفسهم – وطويلاً – رهائن وضحايا!

فبكامل قوته المستعادة، سيدعم لبنان، في هذا المكان كما في خارجه، المبادرات التي تهدف، في الشرق الأوسط، الى اعادة سلام عادل يضمن حق الشعوب والأمم في العيش بأمان.

ألم تُثبت التجربة اللبنانية، على شقائها، أية مأساة انسانية وأية أخطار للسلام في العالم يمكن أن تتولد نتيجة الاعتداء على الحقوق؟

ان في مشاوراتكم الطويلة، ايها السادة، كما في قراراتكم، خيرَ امثولاتٍ سيتذكرها العالم طويلاً. هذا على الأقل هو رجاؤنا، فليبارك رب السلام جهودكم.»

حوار حضاري وإبداع ودور مميّز

لقاء الهيئات الثقافية في مناسبة يوم العلم ، بعبدا ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٢

«لقد أردتُ أن ألتقي بكم في هذا اليوم الوطني الكبير لنؤكّد جميعًا أن حرص لبنان على تثبيت استقلاله يحمل بُعدًا حضاريًّا خاصًّا ، فلبنان وطن الانسان ، وطن الفكر والفرح ، إنه وطن العقل والكرامة والحرية .

أردتُ هذا اللقاء لأؤكّد أن بناء لبنان هو واجب كل مواطن ، والدولة حريصة على أن تفتح جميع الفرص بالتساوي أمام كل المواطنين ، لكي يعطوا الوطن ويثبتوا أنهم يستحقونه . ان المرحلة التي نعيش اليوم هي مرحلة استثنائية ، فليسأل كل مواطن منا نفسه : ماذا أستطيع أن أقدّم للبنان حتى تعود كل ترابة من تراباته كوكبًا يضيء بالعزة والكرامة ، وحتى يعود كل انسان على أرضه بطل عطاء وابداع ، يطبع على جبين هذا الزمن مجد لبنان؟

إنْ شُغِلْنا اليوم بمسائل السياسة والسلاح فلأن الأولوية الأولى هي العمل على لبننة الأمن على كل الأرض اللبنانية ، بواسطة جيش قوي ، قادر على حماية الإرادة الوطنية الشاملة .

غير أن مرارة المرحلة التي يعانيها وطننا العظيم ، مهمَا اشتدت ، لن تصرفنا عن التوجّه اليكم ، الى الهيئات الثقافية والفنية والتربوية ، لنؤكّد معًا أن كل مسعى نبذله في كل اتجاه وعلى كل صعيد هو من أجل الانسان ، من أجل الإبداع ، فلطالما كنت اردّد ان لبنان لا يُبنى بإمكانات عادية ،

وبوسائل عادية. لبنان لا يبنيه إلا الإبداع.

من هنا أدعوكم إلى استنفار كل طاقاتكم، وإلى إعادة تنظيم هيئاتكم، لتبدأوا مع كل اللبنانيين مغامرة الانقاذ، ولتنطلقوا في ورشة البناء الجديد، وفي صياغة مضمون خلاّق للدور اللبناني الآتي.

فلا الأَحزمة الاقتصادية ولا القواعد العسكرية قادرة على تثبيت الأمن والأمان، إذا لم تكن تسندها انتفاضة ثقافية جديرة بأصالة التاريخ اللبناني وجديرة بعمق الطموح اللبناني.

لا قيمة لأي بناءٍ أو لأي إنجاز إذا لم يكن يعبّر عن زخم روحي أو ثقافي. هذا هو الحضور اللبناني على هذا الكوكب، وبالأخص في هذا الشرق العربي.

ارفعوا صوتكم عاليًا، لبنان صِمَام أَمانٍ في هذا العالم؛ فعافيته، وتألقه في ممارسة رسالته الكبرى، دليلان على أن القِيَم لا تزال حيّةً على هذه الأرض.

ان خلق أهداف ثقافية جديدة يَفترض خلق اتجاهات ثقافية جديدة. من هنا تبدأ مهمتكم، فأَوْلوا كل العناية لإعادة تنشئة الذوق وآداب الأخلاق، وافتحوا أبواب العلوم، وامنحوا الطابع اللبناني في كل تعبير أو إنجاز أو إنتاج. والدولة تضع جميع إمكاناتها لاحياء العمل الثقافي ولدعم مسيرة التربية والفن والعلم والفرح، لكي يعود لبنان إلى ممارسة دوره المميَّز في بناء الحياة في هذه المنطقة وفي العالم.

نريد أن يعود لبنان رائدَ نهضةٍ جديدة، في هذه المنطقة، عشية القرن الجديد. نريد أن نكمل مسيرة الأجداد والآباء فتنتشر الرسالة اللبنانية في كل نفس، ويصبح لبنان، بالاضافة الى كونه صلةَ وصلٍ بين الشرق والغرب، صلةَ وصلٍ بين الشرق نفسه، وذلك لبلورة ثقافة إنسانية واحدة، تتكامل من خلال حوار بين الخصوصيات الثقافية عند الشعوب، فنحقق السلام والرخاء للبشرية جمعاء.»

شَعب حُرّ، وَطنٌ محَرّر، دَولة سَيّدة

عيد الاستقلال،
٢١ تشرين الثاني ١٩٨٢

«أيها الأحباء؛

نحيي اليوم ذكرى الاستقلال، وأكثر ما بقي من الاستقلال العيد والعلم. ومع ذلك نحتفي بالقليل الذي بقي منه ونعلن تصميمنا على استرداد الكثير من مقوماته ومعانيه التي غابت.

اني اخاطبكم، في هذا الاحتفال، من ثكنة مدمَّرة، وحولي أبنية مهدومة، إيمانًا مني بأن علينا الانطلاق من واقعنا لكي نستطيع تحقيق أحلامنا.

واقعنا اننا نحاول الخروج من محنة كبرى ألمّت بلبنان على امتداد ثمانية أعوام، وتركت آثارها البالغة، في الانسان والأرض والمؤسسات، وما برحنا نعاني مضاعفاتها. ان مجتمعنا تضرر ودولتنا تصدّعت، وحلت شرور كثيرة في المناطق والعيال. وواقعنا، كذلك، ان أعلامًا عديدة ترتفع في أرضنا وتعلو على علمنا، وان قوى مختلفة تتنازع شعبنا وتنازع وطننا حقَّه وشرعيته وتعرّضه لأجسم الأخطار في أكثر من ناحية ومكان.

إليكم أيها الجنود،

وإليكم أيها اللبنانيون واللبنانيات؛

أتوجه أينما كنتم اليوم، لأصارحكم بحقائق الواقع والتزامات المصير.

إننا ما زلنا ميدانًا وهدفًا لخطط تتخذ كل يوم وجهًا مختلفًا وذريعة جديدة.

إن وطننا لم يستهدف، ولا يستهدف

الآن ، لأنه قطعة تمتزج فيها الشمس والقمر والهواء والأرض والجبل والبحر فحسب ، بل لأنه أيضًا آفاق تتفاعل ، فيها وعبرها وعبر الزمن ، الحضارات والأديان والأفكار والقِيَم وجمَالات الخلق والخُلق .

لقد أقبلت علينا هذه الخطط تحت ألف شكل ولون وستار. واليوم تتخذ لنفسها أقبح الوجوه وأقذر الأساليب .

انها تحاول ان تمزّق شعبنا ووحدتنا هنا ، وتُخضع سيادتنا وإرادتنا هناك ، وتتذرع بشتى الذرائع للاستيلاء على أرضنا واجتزائها هنالك .

إنني أقول باسمكم لأصحاب هذه الخطط . أقول للقريب والبعيد ، للشقيق والصديق والعدو ، أقول لِكل هؤلاء ان لبنان مستضعف لكنه ليس بضعيف .

كفّوا عن جَلد أهلنا . ففي التاريخ أكثر من مثال على أن السوط غالبًا ما ينتقل من يد الجلاد إلى يد الضحية .

إننا شعب مسالم لكنه قوي . ليس لنا علم أو جندي أو مطمح في وطن أحد ، إلا ما تقره الحقوق والأعراف الدولية . ولم يكن لنا ولن يكون لنا مدى أمني أو بعد حيوي في أرض أحد .

ومع ذلك ، فنحن منذ سنوات هدف للعديد من الأعلام والجيوش والمطالب التي لا يقرّها أي عرف أو حق دولي . إننا حريصون على أمن إخواننا وحقوقهم وأمن دول المنطقة والعالم وحقوقها . ما تخلفنا أبدًا عن واجب نحو أحد ، ولا فرّطنا بحقّ لأحد . ولا زلنا ملتزمين تأدية واجبنا ودورنا كاملين في ميدان النضال المشروع وفي مسيرة السلام العادل والشامل .

لكننا ما تصورنا ولا قبلنا في الماضي ، ولا نتصور أو نقبل الآن ، أن يُحصر البحث في أمن هذا الجانب أو ذاك ، وحقوق هذه الجهة أو تلك ، عبرنا ، وعلى حسابنا ، وأن تكون حقوقنا البديهية في الوجود الكريم والسيادة اللبنانية والاستقلال الوطني ، موضع بحث أو تفريط أو مساومة .

إنني أقولها باسمكم : إننا لن نخضع ولن نتخلى عن وحدة لبنان ، واستقلال قراره . لن نفرط بآخر حبة تراب ، من الناقورة إلى النهر الكبير.

إن أرضنا ، كل أرضنا مقدسة ، المحتلّ منها والحرّ ، وليس شرطًا أن تُحتلّ الأرض لتصبح مقدسة .

إنني أعلن من هنا ، وفي عيد الاستقلال ، اننا سنستعيد الاستقلال والأرض بكل الوسائل المتاحة لنا . سنفاوض بالشكل والمستوى والمحتوى الذي تمليه علينا مصالحنا وكرامتنا ووحدة كلمتنا ، بلا عقد أو تعجيزات .

الدولة ، لا أية جهة أخرى ، هي التي

ستفاوض. والدولة هي التي ستقودكم، إذا تعذر سبيل التفاوض، في السبل الأخرى، أيًّا كانت، لاستعادة السيادة مهمًا غلت التضحيات. ان الدولة لا ترتبط إلا بما تقرره هي، لا أية جهة أخرى تتطفل لادعاء التكلم أو التفاوض أو التقرير باسم لبنان.

وان الحكم لن يُلزم نفسه إلا بمصلحة لبنان، ولن يلزم البلاد إلا بما تقرره كلمتها الموحدة عبر مؤسساتها الوطنية وممثليها الشرعيين. ولن نعطي أحدًا بطريقة التفاوض والاتفاق ما عجز عن أخذه من أرضنا وكرامتنا بطريقة القوة والحرب.

لسنا وحدنا.

ان قضيتنا تتقدم على الأرض وفي الضمائر، في لبنان وجواره، وفي العائلة العربية الكبرى وفي العالم. لمست أن تعاطف الأشقاء العرب معنا، وتجاوب الدول الصديقة، واندفاع منابرنا الاغترابية في العالم وفي العالم الغربي بالذات، وعلى رأسه الولايات المتحدة الاميركية وشعبها الصديق ورئيسها الكبير، ان كل ذلك يشدّ من إزرنا، ويعزز عزيمتنا ويُشعرنا بأننا لسنا مستفردين في عملية التفاوض ولا في معركة الكرامة والحرية والمصير.

أيها الجنود،
أيها اللبنانيون واللبنانيات؛
في موازاة العمل لتحرير الأرض واستعادة الكرامة والامساك بزمام المصير، نواجه بناء المؤسسات الوطنية والديمقراطية والعمرانية، كعملية شديدة الإلحاح، لأنها تؤلف هيكلية الدول الحديثة التي يريدها المواطن ويستحقها.

إن جيشكم عماد الوطن وصائن حدوده وضامن وحدته، هو أول هذه المؤسسات وأهمّها، بل هو شرط لغيره، ومن دونه لا سلام للوطن ولا سلامة للمواطن ولا قيام للدولة.

إني أعدكم بأن هذا الجيش سيكون، في قفزته النوعية المقبلة، من كل لبنان، وللبنان كله، مرفوع الجباه، مرصوص الصفوف، منيع الجانب، سليم البنيان، وفير العدد، متطور العتاد، خفاق الراية، جيشًا تكبرون به ويكبر بكم ومنكم ولكم.

ولأن الجندية شرف، وخدمة العلم حق، كما هي واجب، فسيعطى لأجيالنا هذان الشرف والحق، بتطبيق قانون خدمة العلم في غضون أشهر معدودة، تعزيزًا لوفاقنا الوطني وتجسيدًا لوحدة الدم والمصير.

ان الجيش سيكون شغل الدولة وفخر البلاد والحدث الأكبر في مسيرة العزة اللبنانية.

وعلى مثال الجيش واستعجال بنائه، وتوفير قدراته، سيتم لقوى الأمن الداخلي والأمن العام ما يمكنها من تأدية مهامها في مجال بسط سيادة الدولة وسلطان القانون.

وضمن هذا التوجّه ، ستمارس سائر المؤسسات أدوارها ، وتتمكن السلطات من الاضطلاع بمسؤولياتها دونما عائق أو تأخير ، فيتولى المجلس النيابي ، الذي أثبت كل جدارة ورفعة ومستوى في أمر الاشتراع والرقابة ، وتضطلع الحكومة بمسؤولياتها الاجرائية . فتكون الوزارات خليات عمل وإنتاج ، والإدارات مراكز خدمة وتلبية حاجات ، ويعود القضاء هيكلاً للعدالة مُهابًا ، فلا ظلم ولا ظلامة ، ولا تأخير ولا تأثير إلا ما يفرضه القانون والعدل والضمير .

وإدارات الدولة على اختلافها ستكون اليوم ، أكثر منها في أي يوم سابق ، تحت عين الدولة ورقابتها وتحت ضوء مصالح المواطنين وقضاياهم ، وسيكون الثواب والعقاب وسيلتنا ، وسيشمل ذلك في ما يشمل ، إذا ما اقتضت مصلحة الناس ، وقد تقتضي قريبًا رفع أية حصانة أو حماية عن الذين يستخفّون بمصالح اللبنانيين ويتجاوزون القوانين ويعبثون بالدولة وأموالها وأنظمتها . كما ستعمد الدولة إلى تحديث أجهزتها وأساليبها لمواكبة العصر والإيفاء بحاجات الناس .

أيها اللبنانيون واللبنانيات :

إننا نصرّ على أن يرتدي احتفالنا بعيد الاستقلال هذه السنة ، طابع القيامة ، لا أن تغلب عليه مسحة الحزن ، لذلك فإنني ، باسمكم جميعًا ، أحيي شهداءنا على دروب تاريخنا الطويل ، وعلى مرّ سنوات الحرب والمحن .

أحيّي أرواحهم في أي موقع حق سقطوا . إنها ترفرف فوقنا ، قلقة ملهمة ، حافزة لنا على استنهاض ضمائر الأحياء فينا لوقف النزف ووحدة الصف .

ان لبنان في حاجة إلى جميع أبنائه ، وكل قطرة دم تهدر إنما من قلب لبنان تنزف ومن ضميرنا الوطني .

وإنني أهيب بأهلنا في كل المناطق ، وبجميع اللبنانيين أينما وجدوا ، وإلى أية عقيدة أو مذهب أو حزب أو فئة انتموا ، ان يتنبّهوا إلى ما يترتب على الفتنة من نتائج ومضاعفات ، على مستوى الافراد والجماعات وعلى مستوى حياة الوطن ومستقبله .

وأعلن من هنا اني سأقود معكم مغامرة الانقاذ الكبرى ، من أهوال هذه المؤامرة الكبرى ، مهمَا كلفني ذلك من جهد وعرق ومواجهة وتضحية .

لن أتهاون مع قريب أو بعيد أيًّا كان ، إذا كان المستهدف وحدة لبنان وسيادته . وإلى غد مشرق عزيز تلتقي فيه صفوفنا ، بعد طول غياب وعذاب ، تحت راية علمنا الواحد وجيشنا الواحد ، في وطننا الواحد ، الأول والأخير ، لبنان .

عشتم وعاش لبنان ! »

لبنان التعددي: حضارات في حضارة

استقبال السلك الديبلوماسي، بعبدا ٦ كانون الثاني ١٩٨٣

«يا أصحاب السعادة،

أشكُركم جميعًا جزيلَ الشكر على ما عبَّرَ عنه باسمكم سعادةُ عميد السلك الدبلوماسي، وأُبادلُكم أصدقَ المشاعر، راجيًا ان تنقلوا الى رؤساء دُوَلكم تمنياتي الحارّة وأمانيَّ الخالصة بأن يكونَ العامُ الجديدُ عامَ السلام في لبنان والعالم.

ان الشعب اللبناني بكل فئاته قد مرَّ بأقسى محنةٍ عرفها شعبٌ من الشعوب في العصر الحديث، وهو يقف الآن على اعتاب عامٍ جديد وعهدٍ جديد، وقد عقد العزم على ان يبني لبنانَ جديدًا يحتلُّ مكانته اللائقة بين أُمم الأرض ودولها. وفي معركة البناء هذه لا يمكن اللبنانيين أن ينسوا أصدقاءهم الذين هبّوا لنجدتهم في محنتهم، فهم أهلُ وفاءٍ يقدرون تلك الحكومات الصديقة والمنظمات الدولية والاقليمية التي اسهمت في مجالات العون المادي والمعنوي، أكان ذلك في اطار قوات الطوارئ الدولية، ام القوات المتعددة الجنسيات، ام المبادرات السياسية البنّاءة. فإلى كل هؤلاء أتوجَّه، باسم الشعب اللبناني، بالشكر ومشاعر التقدير وواجب الوفاء، وبخاصة الى اولئك الذين يعملون معنا ليحلَّ السلام في ربوع لبنان. واننا لنأمل ان يعود لبنان بعد ذلك ليقوم بدوره المتميّز الفعّال، في المنطقة المحيطة به وفي العالم الواسع خارج هذا المحيط.

ولعلّ من البديهي أنّ كلَّ من يهبُّ لنجدة لبنان ومؤازرته في قضيته العادلة انما يفعل ذلك لا من أجل لبنان كرقعةٍ جغرافية ، بل من أجل لبنانَ القِيَم ولبنانَ الحضارة. فقد كان هذا الوطن الصغير ملتقًى رحبًا للأجناس والأديان والحضارات ؛ ومصدرًا للعطاء في المجالات كافة. فهو ، منذ فجر التاريخ ، يدفع بأبنائه ليُغْنوا عالمًا متعدّد الثقافات ولينشروا مبدأ التعاون بين البشر. وهكذا غدت رسالة لبنان داخل الوطن وخارجه المناداة الى اتحاد البشر شعوبًا وأممًا ودولاً ، والى تآلف الأديانِ مذاهبَ وعقائدَ ورؤىً ، والى استتباب السلام والعدل والمساواة بين كل الناس.

وما الدماء التي أُريقت والدموع التي ذُرفت إلّا التعبير الصادق عن تصميم الشعب اللبناني على الانتصار ومواجهة التحدّيات. فعلى مرّ العصور ، شاهدت هذه الأرض الطيبة أكثر من طغيان وأكثر من اعتداء ، انما لأنها طيبة ، ولأنها بريئة ، ولأن شعبها عنيد بالحق ، ومؤمن بقدسية أرضه وعدالة قضيته ، كانت تلك الأرض ، مهمَا طال الزمن ، تستعيدُ حريتها ، وتنتصر على الواقع ، وتنهض رافعة الجبين لمتابعة دورها في سبيل لبنان والانسان.

وإذا كانت هذه المناسبة التي التقي فيها بكم تبدأ عهدًا جديدًا في لبنان ، وترمز الى ولادة ثانية ، فانه من دواعي التفاؤل والأمل ان يصادف هذا اليوم بالذات ذكرى ولادة شاعر يعتزّ به العالم ويفتخر به لبنان ، وأعني به جبران خليل جبران الذي سنحتفل بذكرى مرور مائة عام على مولده ، طوال سنة ١٩٨٣ ، في لبنان والعالم.

وأسمح لنفسي ، في هذه المناسبة ، ان استشهد ببعض ما قاله شاعرنا الكبير ، مما يمثل قسطًا من معاناتنا وطموحنا وسبب حضورنا ، إذ أطلق صرخته في كتاب «النبي» معبّرًا عن كِبَر قِيَم هذا الوطن الصغير:

«أحنّ إلى بلادي وأحبّ سكان بلادي لتعاستهم ، ولكن اذا ما هبَّ قومي مدفوعين بمَا يدعونه وطنية وزحفوا على وطن قريبي وسلبوا أمواله ، وقتلوا رجاله ، ويتموا أطفاله ، ورمّلوا نساءه وسقوا ارضه دماء بنيه ، وأشبعوا ضواريه لحوم فتيانه ،
كرهتُ اذ ذاك بلادي وسكّان بلادي...».

ثم يعبّر الشاعر عن رهاننا على لبنان ، وتصميم شعب لبنان فيقول :

«أنت أخي وأنا أحبُّك ،
احبك ساجدًا في جامعك ،
وراكعًا في هيكلك ،
ومصليًّا في كنيستك ،
فأنت وأنا أبناءُ دين واحد هو الروح».

فمن الماضي البعيد حيث تراكمت على أرضنا طبقات ذلك التاريخ الآلافي الكثيف ،

وبين الأمس القريب حيث عشنا المآسي والفواجع ،

وبين الحاضر حيث الشمس بدأت تطلّ علينا وتهلّ تباشير السلام ،

نتطلع إلى الغد بإيمان وأمل وعزم :

إيمانٍ بلبنان وديمومته وبقِيَمه ورسالته ؛

وأملٍ بمستقبل مشرق معافى ،

وعزمٍ على ترسيخ الايمان وتحقيق الأمل ومتابعة الرسالة .»

سلام لبنان في تلاقي بنيه وسلام المنطقة في انتصار لبنان

قمة دول عدم الانحياز ، نيودلهي ٩ آذار ١٩٨٣

«سيدي الرئيس ،
سيدتي رئيسة المؤتمر ؛

يمتلكني سرور عميق وأنا أشارك ، للمرة الأولى ، في مؤتمر عدم الانحياز ، وفي ظل رئاستكِ بالذات ، فأنت تحملين أبعد من الاسم ، تحملين رسالة هي وريثة عظيمين ، كان لهما على كل حرية فضل ، وعلى كل استقلال دَيْن .

أصحاب الجلالة والفخامة والسموّ ،
أيها السيدات والسادة ؛

على حدود العالم الثالث ، يقف لبنان ، في تركيبته الحضارية ، وطابعه المميز ، فاذا هو ، في هذا المؤتمر ، يحتل موقعه الطبيعي ، لأن عدم الانحياز هو من أُسس تكوين الدولة اللبنانية ، إن لم يكن من أسباب وجودها بالذات ؛ لهذا ، فان تعلّقنا بعدم الانحياز هو تعلُّق كياني يتخطّى المصالح السياسية والمحاور ، لأنه يجسّد طموح لبنان ، ويوطّد سلامته ، ويحافظ على وحدته .

وبقدر ما يتمسّك لبنان بعدم الانحياز ، فان من حقّه أن يتمسك بانحيازه لاستقلاله وسيادته ، ووحدة شعبه والأرض ، فيتمكن من تأدية دوره المنشود ، ضمن هذه المجموعة الدولية الراجحة .

ولا أظن ان ثمة حيادًا ازاء سيادة الأوطان وحرية الشعوب ، وازاء العدالة والكرامة والقيم الانسانية ، لأن الحياد ، في

هـذا المجال ، يعني الانحيـاز للإذلال والرضوخ للاستعباد والاستغلال .

بين المئة دولة ودولة ، المتمثلة في هذا المؤتمر ، ثمة بلد تفجرت حروب الآخرين على ساحته ، خلال ثماني سنوات محمومة ، فمزقت جسمه وبعثرت أرضه والانسان ، وزعزعت كيان دولته ، نعود اليوم لنبنيها حجرًا حجرًا ، كما ننطلق اليوم لنلملم شتاتها مترًا مترًا .

انه لبنان الصامد ، الذي ما يزال يكابد المحن ، مناضلاً من أجل حريته ومن أجل الاستقلال .

فان دفع ضريبة المئة ألف شهيد ، لتحقيق ذاته واستحقاق عظمة حياته ، فتلك فريضة الحرية ، يؤدّيها عن كل الشعوب المتطلعة الى الحق والعدل والسلام .

ان التطورات التي رافقت الواقع اللبناني المرتثبت ، من جديد ، انها تجسد احتمالات التفجّر والتفجير ، مثلما يمكن الانعطاف بها نحو السلام والاستقرار .

ولقد أضحى معها لبنان مفتاحًا للحرب في المنطقة ، كما هو مفتاح للسلام ، وهو أيضًا مفتاح للوحدة وللتجزئة ؛ انه مفتاح للتقدّم أو للتقهقر .

فان لم ينتصر لبنان على واقعه ، وقعت بيئته في الفوضى والضياع ، وان مسّته التجزئة تجزّأ معه كل وجود سياسي موحَّد ، في المنطقة كلها .

وبهذا يصبح لبنان مركزًا محوريًّا ، على الصعيد السلبي كما على الصعيد الايجابي ، ليس بالنسبة الى الشرق الاوسط والعالم الثالث فحسب ، بل بالنسبة الى العالم أجمع .

سيدي الرئيس ؛

لن أتطرّق ، في هذه المناسبة ، الى العوامل والأسباب التي جعلت لبنان ساحة خرب ، ومنبرًا للصراعات وشتّى التناقضات في منطقة الشرق الأوسط ، وفي اعتقادي أن كلّكم بات يقف على دقائقها ، وعلى تفاصيلها ، وإنّمَا أحمل إليكم اليوم إصرار شعبي على الحياة ، الحياة الحرّة الكريمة ، تحفّزه إرادة قويّة موحّدة لاستنهاض الدولة القويّة الموحّدة ، المستقلّة في سيادتها ، الدولة القويّة ، السيّدة على أرضها ، لا إشراك بها ، ولا شراكة لأحد معها . ولأن إراده الشعوب هي المنتصرة ، في النتيجة ، على أيّ قوّة ماديّة ، فإن لبنان لن يكون ، بعد اليوم ، مغلوبًا على أمره ، لن يكون معبرًا للصراعات الإقليميّة والدوليّة ، تتفجّر على أرضه ، فتستبيحها حرامًا بلا حرمة ، ولن يكون حقل اختبار لتشعّب الأغراض والأهواء على حساب مصلحته الوطنيّة وسلطته الشرعيّة ، بل هو الوطن القويّ بإيمانه ودولته ، وإرادة شعبه ، والمستقوي على أيّ باطل بالحق .

كما ان لبنان الضعيف لا يشكّل خطرًا

هـذا المجال ، يعني الانحيـاز للإذلال والرضوخ للاستعباد والاستغلال .

بين المئة دولة ودولة ، المتمثلة في هذا المؤتمر ، ثمة بلد تفجرت حروب الآخرين على ساحته ، خلال ثماني سنوات محمومة ، فمزقت جسمه وبعثرت أرضه والانسان ، وزعزعت كيان دولته ، نعود اليوم لنبنيها حجرًا حجرًا ، كما ننطلق اليوم لنلملم شتاتها مترًا مترًا .

انه لبنان الصامد ، الذي ما يزال يكابد المحن ، مناضلاً من أجل حريته ومن أجل الاستقلال .

فان دفع ضريبة المئة ألف شهيد ، لتحقيق ذاته واستحقاق عظمة حياته ، فتلك فريضة الحرية ، يؤدّيها عن كل الشعوب المتطلعة الى الحق والعدل والسلام .

ان التطورات التي رافقت الواقع اللبناني المرتثبت ، من جديد ، انها تجسد احتمالات التفجّر والتفجير ، مثلما يمكن الانعطاف بها نحو السلام والاستقرار .

ولقد أضحى معها لبنان مفتاحًا للحرب في المنطقة ، كما هو مفتاح للسلام ، وهو أيضًا مفتاح للوحدة وللتجزئة ؛ انه مفتاح للتقدّم أو للتقهقر .

فان لم ينتصر لبنان على واقعه ، وقعت بيئته في الفوضى والضياع ، وان مسّته التجزئة تجزّأ معه كل وجود سياسي موحَّد ، في المنطقة كلها .

وبهذا يصبح لبنان مركزًا محوريًّا ، على الصعيد السلبي كما على الصعيد الايجابي ، ليس بالنسبة الى الشرق الاوسط والعالم الثالث فحسب ، بل بالنسبة الى العالم أجمع .

سيدي الرئيس ؛

لن أتطرّق ، في هذه المناسبة ، الى العوامل والأسباب التي جعلت لبنان ساحة خرب ، ومنبرًا للصراعات وشتّى التناقضات في منطقة الشرق الأوسط ، وفي اعتقادي أن كلّكم بات يقف على دقائقها ، وعلى تفاصيلها ، وإنّمَا أحمل إليكم اليوم إصرار شعبي على الحياة ، الحياة الحرّة الكريمة ، تحفّزه إرادة قويّة موحّدة لاستنهاض الدولة القويّة الموحّدة ، المستقلّة في سيادتها ، الدولة القويّة ، السيّدة على أرضها ، لا إشراك بها ، ولا شراكة لأحد معها . ولأن إراده الشعوب هي المنتصرة ، في النتيجة ، على أيّ قوّة ماديّة ، فإن لبنان لن يكون ، بعد اليوم ، مغلوبًا على أمره ، لن يكون معبرًا للصراعات الإقليميّة والدوليّة ، تتفجّر على أرضه ، فتستبيحها حرامًا بلا حرمة ، ولن يكون حقل اختبار لتشعّب الأغراض والأهواء على حساب مصلحته الوطنيّة وسلطته الشرعيّة ، بل هو الوطن القويّ بإيمانه ودولته ، وإرادة شعبه ، والمستقوي على أيّ باطل بالحق .

كما ان لبنان الضعيف لا يشكّل خطرًا

على نفسه من دون محيطه ، فإن في لبنان القوي خلاصًا له وللمنطقة معًا .

سيدي الرئيس ؛

ان لبنان ، في محنته كما في المعافاة ، كان ولا يزال أمينًا على رسالته ودوره في بيئته ، محافظًا على انتمائه العربي ، تربطه به وشائج الحضارة والآمال والآلام والمصالح المشتركة ، ولا نخال أيّ أمر بين الأشقّاء يستعصي على الحل ، بروح الإخـــاء والإيجابيّة ، ومبادئ الحق والعدل ؛ وكلّنا يقين بأن يبادل الأشقّاء العرب لبنان ببعض ما أسدى من جليل التضحيات ، نتيجة البرّ بالتزاماته العربيّة ؛ وهو ، بالرغم ممّا قاساه وما عاناه – وليس أقلّه الاجتياح الاسرائيلي لأرضه – فلا يزال حريصًا على مناصرة القضايا العادلة ، وعلى أن ينال الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنيّة المشروعة .

سيدي الرئيس ؛

نخالك تقدّر ، وأعضاء المؤتمر ، موقع لبنان اليوم ، وهو يقف على مفترق طرق ، اذا لم يؤدِّ الى سلام اللبنانيين ، يتعذر أيُّ سلام آخر في المنطقة ، وتهدر كلّ الحقوق ، ويتزعزع كل استقرار.

واذ يخوض لبنان ، اليوم ، مفاوضات ولا أصعب ، يؤكّد أن القرار في ذلك هو قرار لبناني ، ويرسم لهذه المفاوضات حدودًا ثلاثة لا يمكن تجاوزها :

أولاً : المحافظة على التوافق الوطني ، والالتزام بالمواقف النابعة من إرادة الشعب اللبناني .

ثانيًا : عدم التفريط بالسيادة اللبنانيّة ، فلا يمنح أحد امتيازًا ، ولا يكون على الأرض اللبنانيّة أيّ وجود عسكري غريب .

ثالثًا : عدم التفريط بمصداقيّة لبنان العربيّة ، وبانتمائه إلى أسرته ، حتى يستمرّ على القيام بدوره الخلاّق .

ومن حقّ أشقّائنا علينا والأصدقاء ، أن نحدّد موقفنا بصراحة ووضوح ، إن لجهة المبادئ التي ننطلق منها ، أو لجهة الأهداف التي نتوخاها واليها نسعى .

أمّا الأهداف فيمكن تلخيصها في واحد ، هو تحقيق انسحاب جميع القوى غير اللبنانيّة من لبنان ، ليعود وطنًا للّبنانيين وللّبنانيين وحدهم ، منيع الجانب ، قويًّا ، غير مسترهن ولا مستباح .

وأمّا المبادئ والمنطلقات فهي :

أولاً : تصميمنا على ألّا تظلّ سلامة لبنان ، أو المدافعة عن وحدة أرضه ، وحمَـاية سيـادته والاستقلال ، مرتبطة باعتبارات اقليميّة أو خارجيّة ، تعرّض الكيان في كل أوان للخطر.

ثانيًا : تصميمنا على أن لا يستمرّ لبنان ساحة سائبة لثورات الآخرين ، وحروب

الآخرين ، أصدقاء كان المتحاربون أو أعداء.

ثالثًا : تصميمنا الوطيد على أن يكون للبنان نظام أمني منيع ، وجيش وطني قوي ، يتحمّل وحده ، لا شريك له ، مسؤولياته الوطنية ، ويحقق انتشاره السريع على الأرض ، كلّ الأرض ، بحيث تستغني الدولة عن أيّ أمن مستعار ، فتدافع هي عن سلامة لبنان ، وشعبه وترابه ، وعن مؤسساته الديمقراطية الحرّة ، وعن الأمن والسلام الدوليين.

وفي تحقيق هذه المسلّمَات ، التي تعبّر كليًّا عن جوهر عدم الانحياز مبدأ وعقيدة ، نشعر إذ ذاك أن في مقدورنا درء الخطر عن أنفسنا ، وعن الأشقّاء ، فينطلق لبنان ، من شاطئ المتوسط ، رسول سلام الى محيطه العربي ، والأسرة الانسانيّة ، يجسّد المثل التي كانت تجوهر تراثه ، وتميّز وجوده ، وتميّز الكيان اللبناني بالذات.

سيدي الرئيس ،
أيها السادة ؛

حين أطلب دعمكم والتأييد لتحقيق هذه المبادئ والأهداف ، اؤكّد ، من جديد ، ان لبنان لن يكون ضعيفًا ، لأن قراره قوي ؛ ولن يكون مجزّأً ، لأن رؤياه واحدة ؛ ولن يكون مدمّرًا ، لأن موقفه صامد ؛ ولن يكون محتلاً ، لأن إرادته حرّة.

ان شعبًا صهرته نار الصمود ، فانتفض من بين المجامر والدخان الأسود ، أكثر تمرّدًا وصلابة ، لن ينهزم تخاذلاً عن نيل الحق ، ولن يرضى بأن يؤخذ غلابًا ، خدمة له وللسلام. وشكرًا.»

الجَيْش
دِرع الوَحْدَة
وقوّة
الحقّ والشّرعيّة

تخريج ضباط دورة «مغامرة الإنقاذ» ،
المدرسة الحربية ٦ أيار ١٩٨٣

«أيّها الضباط المتخرجون ؛

في السادس من أيار تتقلدون السيوف ، وهو يومٌ وطنيّ ، يجسّد بواكير ملاحم الشهادة في سبيل الاستقلال . واذا القوافل تتلاحق من بعد ، عبر محطات متقطعة من التاريخ ، حتى كانت ذروة العطاء فرائض كريمة يؤديها هذا الجيل دمًا من أجل لبنان ولا أثمن ، وفدية للحرية ولا أسمى .

واذا كان الوطن تميته الدموع ، وتحييه الدماء ، فان ما سكب في تربة لبنان من الدم الزكي السجي كفيل بأن يضمن له الحياة الحرة ، فوق أي وطن آخر ، وفوق أي أرض وانسان .

أيها الرجال ؛

ليس من العبث ان يطلق على دورتكم اسم مغامرة الانقاذ ، وأي واجب يتقدم اليوم على واجب انقاذ الوطن مما يعانيه ويتخبط فيه ؟

وهي مسؤولية كل مواطن ، أيًّا كان وأين كان ، ليستحق مواطنيته ، ويستأهل لبنانيته .

وهي مسؤوليتكم الأولى ، بحكم كونكم تحملون السيف ، وتؤدّون القسَم لتقوموا بالواجب كاملاً ، حفاظًا على علم البلاد ، وذودًا عن الوطن والحياض .

واذ تتحلّون بشرف تقليد السيوف ، فلا لتحمل في الأعناق ، ولا لتوضع في

الأغماد ، بل لتمتشقوها في وجه المعتدي ، دفاعًا عن الأرض ، وفي وجه الباطل ، دفاعًا عن الحق ، وفي وجه المجرم ، دفاعًا عن البريء ، وفي وجه الظالم ، نصرة للمظلوم.

ان سيوفكم في قبضاتكم تجمع أيدي اللبنانيين في قبضة واحدة ، كما تجمع في أيديكم العدل والقوة ، ليصبح العادل قويًّا والقوي عادلاً.

ولا يغترَّنَّ أحد بعدد الجيوش وعتاد الجيوش ، فالجيش قلب الأمة ، تصغر دونه ضخامة الحجم ، وهو نوعية ومعنوية ، قبل أن يكون اعدادًا وأرتالاً. وهو روح متحفزة نحو النصر ، قبل أن يكون صفوفًا موصولة ، تكبّلها روح الهزيمة.

وإنكم إذ تأتون من مناطق لبنان على اختلافها ، لتكونوا في خدمة الوطن ، فانما لتؤكّدوا أيضًا وحدة الشعب التي هي من وحدة الجيش ، ليس بالنسبة إلى لبنان فحسب ، بل بالنسبة إلى أي مجتمع كان ، وفي أي زمان كان.

وان وحدة الشعب بالجيش ، لا تنطبق على لبنان حصرًا ، بما ينسب إلى تركيبته الفريدة النوعية ، بل ان هذه التركيبة تزيده مناعة وصلابة ، اذا جنّبناها شتّى الصراعات الدخيلة ووسائل الاستغلال.

وهنا يكمن دوركم الأكبر في مجال توحيد لبنان ووحدة موقفه المصيري ، لأنكم أنتم حزب الوطن الكل المطلق ، تتعالون فوق الأحزاب والطوائف والجهات ، وتكونون لكل الفئات والمناطق والأديان ، بما يكرّس معاني الديمقراطية والحريّات ، التي هي من أبرز عناوين لبنان.

أيها الضباط المتخرجون ؛

لقد كانت معمودية الدم والنار التي خاضها الوطن خلال ثماني سنوات بمثابة مطهر للنفوس ، وعبرة للأحلام ويقظة للأذهان.

فإذا الشعب اليوم ، كل الشعب ، يرتدّ إلى ذاته متشبثًا بحقّه وسيادته وكرامته ، وهو يلتفّ حولكم ويتطلع اليكم ، على انكم السند والمصير ، والمنقذ الأمل في مسيرة التحرير ، تؤازركم مرحليًّا ، إلى جانب قوة الطوارئ الدولية ، قوى متعددة الجنسيات ، من حق الاثنتين علينا أن نوجّه إليهما في هذه المناسبة تحية إكبار وتقدير.

ويبقى الاعتماد على النفس هو رائدنا الأبرز ، لأن أي بديل لا يقوم مقام الأصيل ، في مجالات الحق الوطني ؛ فلتكن مسيرة الانقاذ ، إذًا ، شرفًا يزدان به ابناء الجيل الطالع.

ولتكن الجندية من كرامة كل بيت ، عبر قانون خدمة العلم ، الذي تمّ تنفيذه في الموعد الذي أعلناه قبل ستة أشهر.

وان ما لمسناه من حماسة واندفاع وإقبال لدى الدفعة الأولى من الشباب المتطوعين يعزّز عندنا الايمان بقدرة هذا الوطن على الانتصار، مهما تألبت عليه القوى ومهما تضافرت عليه الأخطار.

وسنستمرّ دونما هوادة في حشد القدرات وتطوير البنية العسكرية، عدة وعددًا، وان تسلّمناها نواة من جيش فانما ننظر إليها شعبًا في جيش وجيشًا في شعب.

على ان مغامرة الانقاذ، وان كان للشأن العسكري حيالها دوره البارز، إلا أنها تتناول شتى المرافق والمجالات والقطاعات من أمنية واقتصادية واجتماعية وتربوية واصلاحية على اختلافها، ونحن ماضون في الورشة المغامرة، على أي صعيد وفي أي منطقة على السواء: في العاصمة والجبل والجنوب والبقاع والشمال؛ فكل منطقة قريبة من قلوبنا والنفوس، وان كانت نائية في المسافة، وأيًّا كانت القوى التي تهيمن عليها.

فالأرض أرضنا، ولا ذرّة تراب يستبيحها غريب عنوة. والشعب شعبنا فوق أرضه، كل أرضه، وحده لا شريك له بالحرام...

أيها العسكريون؛

أعرف وتعرفون ان المسؤولية كبيرة، لكنها ليست عسيرة، وان أمامنا كثيرًا من الصعاب. لكن تذليلها ليس بالصعب. وان هناك احتلالات ومفاوضات واصرارًا على الانسحاب. لكن الأمل يظل معقودًا عليكم، في حال النجاح أو في حال العسر، لأنكم الضمان الأقوى للاستمرار والبقاء.

وفي أي حال، ان المفاوضات التي نخوض انما ننطلق بها من قرار لبناني مستقل، ينبع من دولة سيدة مستقلة، تأخذ قراراتها بنفسها ولنفسها، ولا نسمح بأي وصاية علينا ولا بأي أوصياء، انما الوصي ضميرنا، وارادة الشعب وفق المبادئ التي أعلنّا بفعل خيارنا الحر.

وان لبنان لن يتخلّى، بالمفاوضات أو بغير المفاوضات، عن المسلمات المبادئ التي يؤمن بها، معبّرة عن اقتناعه وبمعزل عن أي اعتبار، وبما يحفظ سيادته وانتماءه الحر إلى العالم العربي.

وكما اننا لن نتخلف عن ابرام أي اتفاق يحقق الاستقلال ويحرر الأرض، دونما تفريط بذرة من السيادة والكرامات، فاننا نرفض في المقابل أي اتفاق مشروط لا ينطلق من المبادئ التي نؤمن بها، ومن روح القسَم التي اؤتمنّا عليها.

ولأن الأمر يتعلق بتحرير الأرض ويتّصل بمستقبل الوطن ومصير الشعب، فاننا لن نحفل بأي سلبيات مصطنعة أو عقد مختلفة، أو عراقيل تُزرع في الدرب.

ومع هذا ، فلسنا وحدنا في المفاوضات مستفردين ، بل تشاركنا وتساعدنا الولايات المتحدة مشكورة ، بقرار من رئيسها الصديق رونالد ريغان.

ونستغرب وتستغربون أن تُستأنف عمليات القصف على الأحياء والأبرياء دونما سبب أو مبرر ، مستعيدة اجواء الرعب والاضطراب ، بما في ذلك من استخفاف بهيبة الدولة وحياة الناس. إلّا اننا سنستمدّ من الحق قوة ومن القوة حقًّا ، لجبه أي تطاول على السلامة العامة وحرمة السلطة ، وللحؤول دون الاستشراء والتكرار.

إلى ذلك ، فان ثمة محاولات كثيرة لبعث الاضطراب الأمني ، واذكاء صراعات وتناقضات فئوية يُحبطها الشعب بالوعي.

وان هناك قلة من الناس لا تزال تركب رأسها ، مستغلة غياب السلطة في بعض المناطق لتقوم بممارسات تهدد أمن الدولة وبأعمال اعتداء واحتجاز حريات تهدّد حياة المواطن.

إلا ان لكل امر حسابًا ، ولكل مرتكب عقابًا ، ان لم تطله السلطة اليوم ، فستطوله في أي يوم ، حين لن تستأذنوا أحدًا في القبض على المرتكبين والدفاع عن حرمة القانون وصون حياة الآمنين.

وفي حساب القانون ، كما في حساب التاريخ ، لن يتساوى شريف وخائن ، نزيه وعميل ، صادق وزائف ، مجرم وبريء ، وطني ومأجور.

أيها العسكريون ؛

لقد راهن المراهنون على سقوط الدولة فسقطوا في تجربة الشرير ، وراهنوا على سقوط الجيش ، فسقطوا دون وثبته المتصاعدة.

وراهنوا على سقوط لبنان الوطن ، فظل لبنان منتصرًا فوق تألب القوى ونار الحروب وفوق الذين يتحملون مسؤولية الحرب فيه ، ومسؤولية الحرب منه إلى غيره ، بما تطورت الوسائل من مواجهة بين الجيوش إلى تسلل يعتمد الارهاب والتفجير والتخريب.

أيها الرجال ؛

أعدكم أنتم... ولهم أقول :

ان لبنان ، لن يبقى ساحة للإرهاب ومنتدًى لشذاذ الآفاق.

وان لبنان لن يكون ساحة سائبة للاحتلالات وللصراعات الاقليمية والدولية.

وان لبنان لن يكون وطنًا مستضعفًا يقوم بأعمال السخرة لخدمة مآرب الآخرين.

وان الشعب اللبناني لن يكون ابدًا فريسة التطاحن الايديولوجي المادي.

وان الدولة اللبنانية لن تكون مستباحة لأي دولة من داخل أو من خارج.

حسبي أن أتسلّح مستقويًا بإرادة الشعب الواحد الموحّد ، لأفي بالوعد ، وأن أخوض معكم عظيم الرهان ، في مغامرة الانقاذ ومغامرة التحرير من بيروت الكبرى إلى لبنان الكبير.

عاش لبنان ! »

وَطن حُرّ
في إنسانه وأرضه
مُوَحَّد
في إرادة بَنيه

ذكرى تأسيس
جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ،
٢٩ أيار ١٩٨٣

«في هذا اليوبيل المهرجان ، نقف أمام قرن من التاريخ وأكثر ، كان مثقلاً بالعطاء ، عطاء المعرفة والفكر ، وعطاء الرجال ، الذين نهلوا من هذه المؤسسة حب الوطن وحب العلم ، وكلاهما من الايمان.

فضل المقاصد انها ، الى جانب أترابها القلائل ، من ربيبات عمرها ، حملت المشعل النيّر ، لتواكب أعرق المؤسسات العلمية الشهيرة ، فكانت إحدى مفاخرنا الوطنية في الجنى كما في المستوى.

وفضلها أنها جسدت تراثًا إسلاميًا كريمًا ، وحضارة هي من قِيَم لبنان وخصائصه ، بما كان لهذه الحضارة من عميم الخير على البشر ، واحتلت بمنزلتها ولغتها المرتبة العالمية الأعلى ، على مدى نحو من سبع مئة سنة ، زخرت خلالها بالمذاهب الفلسفية والعلمية والأدبية على اختلافها ، وتفاعلت معها الحضارة الغربية فتكاملتا على غير صعيد. وإذا المقاصد تحمل الرسالة وتستكمل المسيرة ، مساهمة في ارتقاء مميزات لبنان ، على أنه ملتقى الرسالات ، تنصهر فيه وتتكافأ ، لتجسد قِيَم الانسان وسمو التعاليم ، وتبرز مثالاً نادرًا في الشرق والغرب معًا.

وإن هذا التمازج الحضاري ، بتلاقيه ومعانيه ، هو مادة أقوى للتلاحم والتعاضد يعمّق المفهوم الوطني المطلق ، ليسمو الوطن قويًا ، بكل فئاته وطوائفه ومناطقه ، ولكل

فئاته ومناطقه والطوائف ، لأن الكافر وحده هو الذي يجعل الله مادة صراع بين الناس .

ولعل هذا الواقع اللبناني ، كان وراء ريادة لبنان ، في بعث الحركة العربية المستوحاة من تاريخ العرب ومآثرهم ، وإرساء الروح القومية ، وإنقاذ اللغة العربية من الانحطاط ، وإيقاظ الحس المضطرب ، يوم انطلق من عندنا الصوت :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب .

وهو صوت يتردد اليوم حيًا من لبنان ، والظرف مماثل عسير ليكون هديًا للمهتدين .

وحين تبلورت الفكرة العربية عنوانًا للتضامن ، كان للبنان دور ريادي أيضًا ، وكان أحد مؤسسي جامعة الدول العربية ، إيمانًا منه بوحدة الصف والهدف والمصير ، وبأن تضافر القوى يدعم استقلال كل دولة قد تُستفرد وتُستباح .

على أن ملامح الاستقلال في دول المنطقة جميعها ، انبثقت من الامبراطوريات ، وكان لبنان شأنه شأن أي دولة في محيطه صاحب رهان في انبثاق ملامح استقلاله وخوض معارك التحرر ، ولم يكن امتدادًا جغرافيًا لأحد ولن يكون .

لمحة لا بدّ منها ونحن اليوم على اعتاب مرحلة مصيرية خطيرة ، أكثر ما تحتاج إلى تماسك الصف العربي ووحدة الخط والخطى ، إنقاذًا للبنان وقضايا العرب على السواء .

وكما أن لبنان المدمر ، والمجزأ ، والساحة السائبة للصراعات والتخريب ، ينعكس على سائر الدول العربية بانتكاسات سلبية ومضاعفات ، فان في لبنان الموحد والمعافى والحر والمستقر إطمئنانًا لاشقائه ، وسلامًا لمجتمعاتهم ، وضمانًا لقضاياهم .

وإذا كان انتماء لبنان العربي وليد قناعة وايمان ، واختيارًا حرًا في إطار بيئته الطبيعية ودوره الطليعي ، فان الاتفاق الذي وقعه أخيرًا كان بمثابة الأمر الذي لا بد منه للتحرر .

والحقيقة المرة ، ان هذا الاتفاق كان نتيجة حتمية للعبث بشؤون لبنان ، وتفجير التناقضات فيه ، وتصدير الصراعات إليه ، وتعطيل سلطته ، وإطاحة المقدرات ، فأضحى الاتفاق ، في غياب البديل العربي المشترك ، الخيار الأوحد لانهاء الاحتلال ، وتحرير الأرض ، والقضاء على التجزؤ النفسي والطائفي والجغرافي من الداخل ، والحؤول دون الاجتزاء الجغرافي البشري نحو الخارج .

وحتى يكون لبنان حر الانتماء ، فاعلاً في محيطه العربي ومتفاعلاً معه على الصعيد الانساني والسياسي والاقتصادي ، يجب أن يكون محررًا .

وإلا فكيف يستطيع لبنان أن يطلق ذاته وفق انتمائه الحرّ ، وهو مبعثر الذات ، وليس حرًا على أرضه ؟

وكيف يستطيع لبنان أن يكون وطنًا مستقلاً يمارس اختياراته وينميها في الأسرة العربية ، ونصف لبنان محتل وأكثر؟

وكيف تستطيع الدولة اللبنانية ، التي تقوم على تآلف العائلات الروحية ، أن تكون دولة حرة منيعة الجانب ، في ظل التشرذم والانقسام وتأليب جانب على جانب وفريق على فريق؟

وهل يتحقق الوطن الذي نريد ، دون لحمة أبنائه ، ودون وحدة الشعب كل الشعب ، في وحدة الأرض كل الأرض؟

وهل لبنان الذي نريد ، هو الشمال المعزول ، والبقاع المفصول ، والجنوب السليب؟

هل نضحي بأهلنا في الجنوب من أجل المكابرة وهوى المغامرة ، ليتحولوا من مواطنين أعزاء في وطن إلى رعايا أدعياء في مستوطنات؟

إنني أقسمت على أن أحفظ استقلال الوطن اللبناني ، وسلامة أراضيه ، ولن أفرط في العهد ، ولا في ذرة من الأرض ، ولا في ذرة كرامة ، ولا في ذرة حق. ويقيني أن أشقاءنا العرب يتفهمون موقف لبنان مشكورين ، ولا أظنهم يدّخرون جهدًا لإنقاذه من الأخطار المحدقة به ، كي يستأنف دوره الخلاق عبر حضاراته الموحّدة ، فتنبع من المعنى الروحي للمسيحية والاسلام ، حضارة جديدة هي الحضارة السياسية توحد شعبًا ، تصهر وطنًا ، ليشكل نموذجًا مستقبليًا للعالمين ، ينطلق من الشرق ويفخر به الغرب.

ويبقى الرهان الأكبر علينا نحن اللبنانيين ، رهان التصميم على الانتصار بإرادة وطيدة ، وعزم أكيد ووحدة متماسكة ، فنحطم الحواجز ، ونقهر الصعاب ، ونحمل المداميك على ثغور الجراح ، لبناء لبنان الحرية ، لبنان الانسان ، لبنان العظيم. عاش لبنان!»

لبنان لجميع اللبنانيين والقرار الوطني للدولة السيدة

حفل الإفطار ،
بعبدا ١٩ حزيران ١٩٨٣

«أيها السادة الأعزاء ،

ليس هذا الإفطار تكريمًا لعائلة أصيلة أساسية من أصول لبنان وأُسسه فحسب ، وانما هو كذلك استحضار للمعاني والعِبَر العميقة التي يزخر بها هذا الشهر المبارك.

ان رمضان هو شهر المعاناة والتأمل ، شهر الصيام والصفاء ، شهر الإلهام والرؤى.

في شهر رمضان أُنزل القرآن الكريم ورُسمت في سوَره وآياته وسطوره دعائم الدين الحنيف.

لقد كان هذا الشهر والشهور الّتي تلته مرحلة فاصلة جذرية في تاريخ العرب ، مرحلة تحطيم الأصنام ، مرحلة اقتلاع الأفكار الدنيا ، والعقائد الزائفة ، مرحلة الارتقاء من الجهالة إلى المعرفة ، من البداوة إلى الحضارة ، من التفرقة إلى الوحدة ، من الأهداف الضيّقة الصغرى إلى الأهداف الكونية الكبرى.

وولادة كل شيء عظيم مشروطة بالألم والعذاب ، بالمعاناة وبالدماء أحيانًا.

أيها السادة ،

في وسط الخراب والدمار اللذين حلّا بنا ، وفي وجه النار والأخطار التي تنتشر من حولنا ، ما أحوجنا اليوم إلى ذلك المعين الذي لا ينضب من المعاني التي غلّبت الدين على الدنيا ، والأوطان على الأوثان.

ان بين مفهوم الدين وبين مفهوم الوطن عروة وثقى : كلاهما يعمق بالايمان ويعلو بالممارسة ويقوى بتجاوز الذات ، ويدوم بالجهد والاجتهاد والجهاد .

وكما ان لله رجالًا إذا أرادوا أراد ... كما يقول الحديث الشريف ... فان لهذا الوطن ، ايضًا ، رجالًا إذا أرادوا أراد .

ان لهذا الوطن رجالًا منهم شهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، ومنهم شهداء احياء ، في وطنهم يسعون ، يناضلون ، يستبسلون ، من بطولة يومية صامتة تطلق الفعل قبل القول والقدوة قبل الموعظة .

ان هؤلاء الرجال الأحرار ، الشرفاء أرادوا ، بقيادة الدولة ، ويريدون لبنان وطنًا لا أوطانًا ، دولة لا دويلات .

انهم أرادوه ويريدونه محصّنًا بأرضه ، عزيزًا بإنسانه ، عادلاً في دولته ، حرًّا في نظامه ، موحَّدًا في شعبه وترابه .

ان هؤلاء ، بقيادة الدولة ، أرادوا ويريدون لبنان وطنًا نهائيًّا ، لا دولة متأرجحة بين الوجود والزوال ، أرادوه ويريدونه كيانًا مستقلاًّ منفتحًا ، لا ممرًّا أو مقرًّا للأذى بنفسه أو بجواره .

ان لبنان السيد القوي الطليق ، فخر للعرب ونصير بل نصر لحقّهم ، ولبنان المجزأ المقيّد الضعيف عالة عليهم وعبء على مسيرتهم .

ان لبنان هذا ، لبنان الوطن والدولة ، سيظل عندي فوق شخص الرئيس ، كما سيظل شخص الرئيس فوق صراع الأحزاب والهيئات أو تباين المناطق والطوائف .

ان قرار الوطن اللبناني شأن لبنان ؛ هذا القرار سيظل مستقلاً ، ولن نقبل بأن تتمسك وتعتز سائر الأنظمة والمنظمات والدول من حولنا بأن قرارها مستقل ونخجل نحن ونفرّط باستقلالية هذا القرار أمام أية قوة تسعى للاستيلاء عليه ، من الخارج أو من الداخل .

وكما أُصرّ ونُصرّ ، في السلطة ، على أن تسود شرعية الدولة كل شبر من أرض هذا الوطن ، وتنسحب عن أرضه كل قوة غير قوته الرسمية ، فاني أصرّ ، بالقدر نفسه ، على ان يصحب الجلاء إلى الخارج ، جلاء من الداخل ، فتعود الناس والنفوس كما الأرض ، والمناطق أيضًا الى بيت الطاعة الشرعي ، وينتهي عهد الأحزاب والقوى والجمَاعات المسلحة ، وترجع إلى الدولة وقواتها المسلحة ، وحدها ، واجبات السلطة وصلاحيات القرار ، ومسؤولية الثواب والعقاب ، أمام الله والتاريخ وأمام الشعب .

أيها السادة ؛

ان الدولة ، عبر مؤسساتها الدستورية ومراتبها المسؤولة ، هي التي فاوضت ، أو ستفاوض في المستقبل .

الدولة هي التي قررت أو ستقرر.
الدولة هي التي وقّعت أو ستوقّع ...
والدولة ، لا أحد غيرها ، أو على حسابها ، أو من خارجها هي التي ستقود الشعب اللبناني ، اذا سُدّت عليها السُّبل والمنافذ ، في أي سبيل آخر يستلزم قدرًا أعلى من الصمود والمواجهة والتصدي.

الدولة ، لا سواها ، هي التي ستقرر متى وكيف وأين تسالم ؛ وهي ، لا سواها ، التي ستقرر متى وكيف وأين ستواجه.

انني اتكلم ، في هذا الموضوع ، بضمير الشعب اللبناني ، وبالمسؤولية عن جميع مناطقه وأجياله.

لقد عشتُ وأعيش الآن ما يعاني كلٌّ منكم ، وأعدكم هنا بأن الدولة لن تتراجع أمام أية ضغوط أو ممارسات لا شرعية ، سواء أتت من القريب أو من البعيد ، من الداخل أو الخارج.

ان الحكم يتحسس ويستلهم كل ما في الضمائر ، في منطقة سيطرة الدولة أو في سائر المناطق ، من آمال وآلام ، من هموم وتطلعات. والحكم يتحسس اليوم ما تعيشه الكثير من المناطق والاجزاء من وطننا من حزن وحداد ، لأنه تجري محاولة سلخها عن لبنان.

يا أهلنا في الشمال ، والبقاع والجنوب ، يا أهلنا في الجبل وفي بيروت ، لن تخيّب الدولة ظنّكم وأملكم ، لن تستخفّ بوعيكم وحنينكم إليها ، لن تسمح لمن يجلد ثباتكم وصبركم أن يبقى أو يرتاح ... إلى ما لا نهاية.

ان شعبنا ووطننا ومصيرنا واحد ، وان اختلفت أو توزّعت فيه الأدوار والسياسات والمناطق والمذاهب. واليوم ، أكثر من أي يوم مضى ، نحن موحّدون في وطننا وموحّدون في ربّنا.

واليوم ، أكثر من أي يوم مضى ، أجدّد أمامكم ، وأمام الأجيال ، العهد والوعد.

ان هذا الوطن بقيادة الدولة سينبعث من بين الركام والمجامر. لقد استطاعوا ان يهدموا المباني ويدمّروا الجسور ، ويمزّقوا المؤسسات ، ولكنهم لم ولن يستطيعوا أن يهدّوا هذه العزيمة التي قدّت مما هو أقوى من الصخر ، ولا هذه الروح ، روح الكرامة التي صيغت من جوهر الله.

اني في هذا اليوم ، وهذا الشهر ، حيث تزدحم معاني السموّ والارتقاء ، وفضائل الخير والحق ، انتهز هذه المناسبة الوطنية لأتمنى لمسلمي لبنان ، لشعب لبنان وللمسلمين عامة ، الخير والعزة والازدهار. أتمنى أن تحلّ علينا جميعًا روح الثقة والتعاون ، روح الايجاب والجهاد... هذه الروح المنبثقة من صميم المسيحية والاسلام ،

نرجو الله أن تسدّد خطانا وتهدي سبيلنا وتنصر حقنا ، وتسيّج وطننا ، فيعود إليه استقلاله الناجز ، وسيادته الكاملة ، وحريّته الطليقة لينهض بنا وننهض به ، ونحتل دورنا الطليعي في المنطقة والعالم.

عشتم وعاش لبنان ! »

لبنان والعالم الحرّ: الشراكة في قضيّة الحريّة والسّلام

لقاء نادي الصحافة الوطني، واشنطن ٢١ تموز ١٩٨٣

«أشكر نادي الصحافة لتكرّمه بدعوتي للحديث إليكم هذا الصباح، وأودّ أيضًا أن اشكر عن طريق ناديكم المرموق الصحافة الاميركية، لما أبدته من أمانة وشجاعة في نقل أخبار قضية لبنان بكل تجرّد وإنصاف. سأشرككم هذا الصباح معي في أفكار وملاحظات، ثم سأتيح لكم المجال لتوجيه الاسئلة.

ان لبنان بلد صغير، مساحته ليست أكثر من مساحة مقاطعة كونيتيكت، الا انه ايضًا بلد عريق، له تاريخ حافل طويل يمتدّ إلى آلاف السنين. فلبنان مثل الولايات المتحدة صاغ كيانه وخلق شخصيته نتيجة التقاء العديد من الشعوب والأديان والأجناس والثقافات على أرضه.

ان لبنان مجتمع تعدّدي، كما انه مجتمع ديمقراطي. فروح الدستور اللبناني مستمدة من القِيَم الانسانية العليا التي طالما دافع عنها الشعب الاميركي الكريم. ونحن مثلكم تمامًا نؤمن بمبادئ السلام والتعايش والصداقة والمحبة بين كل البشر.

لقد دمّرت السنوات الثماني الأخيرة الكثير من لبنان، باستثناء عزيمة الشعب اللبناني وتصميمه على الحياة، وباستثناء نظامنا الديمقراطي الأصيل. وفي ظروف قاسية جدًّا حافظ لبنان على مؤسساته الديمقراطية الشرعية، حتى ان مجلسه النيابي

اجتمع لينتخب رئيس الجمهورية في أحلك الظروف ، واستمر يصدر التشريعات وناقش الاتفاق اللبناني – الاسرائيلي ، واضطلع بمسؤولياته الدستورية بكل شجاعة وثبات .

سيداتي ، سادتي ؛

نحن في لبنان ، إذا تُركنا لأنفسنا من دون أي تدخل خارجي ، يمكننا معالجة كل مشاكلنا من طريق الحوار وتبادل الرأي والمشاورة . ففي المجتمعات التعددية هناك ميزان دقيق لا يمكن التلاعب فيه ، إذا أردنا ان نحافظ على وحدة هذه التعددية . لقد علّمتنا التجارب اننا ، في لبنان ، لا يصيب ميزاننا الخلل إلا نتيجة تدخل قوى أجنبية لا تضمر الخير لشعبنا .

في لبنان ، الدعم الشعبي للدولة متوافر في المناطق التي يسيطر عليها الجيش اللبناني ، ويستتب فيها النظام والأمن . ففي بيروت الكبرى ، الواقعة تحت سيطرة السلطة اللبنانية ونفوذها ، تنعدم الصدامات المسلحة والتنازع العنيف ، وعلى عكس ذلك يسود الاضطراب منطقة الشوف التي كانت قبل دخول قوات الاحتلال إليها منطقة هادئة .

ان أي حلّ للقضية اللبنانية يجب ان يكون على أساس استتباب سيادة لبنان الكاملة ، من دون ان تمسّ علاقات لبنان العربية . والادارة الاميركية تدعم هذه السياسة الأساسية التي يعتمدها لبنان . وفي هذه المناسبة أودّ أن أعبّر عن تقديرنا للموقف الواضح الذي اتخذه الرئيس رونالد ريغان ، كما يسرني ان اعبّر عن شكر الشعب اللبناني لجهوده المستمرة لمساعدة لبنان في مسعاه لتحرير أراضيه من كل القوات المسلحة غير اللبنانية .

ولا شك في أنكم تعلمون جيدًا أن مشكلة لبنان الأساسية هي وجود عدد من الجيوش غير اللبنانية على أرضه . لكننا ندرك أيضًا ان هناك مشاكل أخرى في مجالات الإصلاح السياسي والاقتصادي لا بد من معالجتها ، حالما نعيد سيادتنا الكاملة على كل أرض لبنان . الا أن قضية انسحابات الجيوش الغريبة ، لا بدّ أن تحتل المرتبة الأولى وتتعدى في أهميتها أيَّ قضية أو مشكلة أخرى .

يحتل لبنان اليوم كل من اسرائيل وسوريا ومنظمة التحرير . أما موقفنا بالنسبة الى هؤلاء فهو الآتي :

أولاً : اسمحوا لي بأن ابدأ باسرائيل . لقد تمّ اتفاق بين لبنان واسرائيل على انسحاب شامل للقوات وعلى انهاء حال الحرب بينهما .

لقد دعمت القوى الشعبية هذا الاتفاق ، كما صادق عليه مجلس النواب وأقرّته الحكومة ، وقد جاء الدعم نتيجة ايمان كل هؤلاء بهدف واحد معين ، هو الأمل في حدوث جلاء سريع تام كامل

لكل القوى الأجنبية غير اللبنانية عن أرض لبنان.

لقد عقدنا العزم الأكيد على ان ننفّذ ما اتفقنا عليه بكل أمانة واخلاص، هذا اذا نفذ الطرف الآخر مسؤولياته بالأمانة ذاتها.

دعوني اؤكّد لكم ان توصّلنا الى الاتفاق لم يكن هدفًا في حدّ ذاته، لكنه محطة في خطة واسعة شاملة، تسعى إلى تطهير لبنان من كل القوات غير اللبنانية التي على أرضه.

ان الولايات المتحدة قد نذرت نفسها لدعم هذا الهدف، وأخذت على عاتقها اتمام مسؤولية نجاح هذا المسعى، عندما قررت تنشيط المفاوضات اللبنانية – الاسرائيلية وتنظيمها، وهي المفاوضات التي نتج منها اتفاق ١٧ أيار.

ثانيًا: يمكنني الآن ان انتقل الى علاقاتنا مع سوريا. ان العلاقات التي تربطنا بسوريا علاقات قوية وقديمة. لهذا، ولمصلحة لبنان وسوريا، نسعى الى إعادة العلاقات الطيبة بينهمَا وتنميتها عبر علاقات الجار الطيب بجاره، والاحترام المتبادل.

بالطبع، كانت بيننا وبين سوريا خلافات أخرى، إلا أن أكثرها مدعاة للقلق هو موقف سوريا من الانسحابات، ولم يداخلنا شك بالمرة في مشاوراتنا مع السوريين إبان المفاوضات في أن معارضتهم للاتفاق ستكون بهذا العنف. ونحن نؤمن ان الانسحابات ستوفر السلام للجميع. لكننا، بكل صراحة، دُهشنا وأصابتنا الحيرة نتيجة موقف سوريا.

ان موقف سوريا هو أول بند على جدول أعمالنا. فنحن مستعدون للتفاوض مع سوريا، إلا أننا لن نتقاعس عن أخذ كل الاجراءات المناسبة لحمَاية أرواح الشعب اللبناني ووحدة الأرض التي يعيش عليها.

ثالثًا: اما الآن فسأتناول موضوع علاقة لبنان بالفلسطينيين. نحن في لبنان نتعاطف مع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ونعتقد انه يجب الاعتراف بهذه الحقوق، ولكن لا يمكن اطلاقًا أن نترك لبنان ينهار ويتحطم، انتظارًا لايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية.

لن يكون لبنان بعد الآن مسرحًا للقتال والصراع مرة أخرى، ولن يسمح لأية قوة مسلحة فلسطينية بالعمل من أرض لبنان. ان القوة المسلحة الوحيدة على أرضنا ستكون الجيش اللبناني. ان هذا الأمر يتعلق بأمن الوطن ولا مجال للتفاوض أو المساومة بالنسبة إليه.

سيداتي، سادتي،

اسمحوا لي، في الختام، بأن أتناول باختصار موضوع علاقتنا بالولايات المتحدة.

لقد وضعنا ثقتنا الكاملة في الولايات المتحدة ومساعيها من أجل السلام. ان

انسحاب القوات الأجنبية لم يتمّ بعد ، وليس هناك من سبب يجعلنا نفقد ثقتنا في مقدرة الولايات المتحدة على الاستمرار في دعم لبنان ، لتحقيق أقصى أمانيه وأهدافه .

ان اعتقادنا هو أن الولايات المتحدة لا تزال على عهدها مقيمة ، وانها قد أخذت على عاتقها تحقيق هدفنا في خلق لبنان سيد واحد ، محرر من وجود أي احتلال أجنبي ، وان اميركا قادرة على تنفيذ كل مسؤولياتها وتحقيق هذا الهدف .

ان هذا الاعتقاد من جانبنا يملأ نفوسنا بعظيم الآمال . »

لبنان "كونية" حضارية وخصوصية لبنانية

لقاء الجالية اللبنانية ،
واشنطن ٢٣ تموز ١٩٨٣

«أيها الأحباء الأعزاء ،

كم أنا سعيد اليوم بينكم ، أحمل إليكم محبة لبنان وأشرككم في آمال اخوانكم وأحبّائكم من أفراد الشعب اللبناني العظيم .

ان وطنكم لبنان ، أيها الأحباء ، كامل متحرك حيّ في قلب كل لبناني اينما كان وعلى أي أرض وُجد . شعور عميق يمتلكني وأنا معكم . ان لقائي واياكم اليوم هو لقاء ولبنان المترامي الأطراف المتّسع الأرجاء المحيط بالعالم . ولعل دور لبنان المتميّز في العالم هو تفاعل حقيقي وتعاون أصيل بين لبنان الوطن ولبنان المغترب . فقد حمل اللبنانيون منذ فجر التاريخ حضارة اغنوا بها العالم ، وحملوا إلى لبنان حضارات العالم ليغنوا حضارته ، فيستمر هو في إغناء الحضارات تلو الحضارات .

لبنان يقول لكم : لقد صمدنا بقوة وعزم وثبات أمام قوى هائلة جبّارة ، استهدفت كيان شعبنا وقيمه ومؤسساته وشرائعه واستباحت قدسية ترابه وشككت في أصل وجوده . ولبنان يقول لكم : لقد فعلنا معًا ، فلولا مؤازرتكم ودعمكم للشعب المناضل على أرض الوطن ، لما تمكّنا من أن نتحدث معًا كما نتحدث اليوم . ولبنان يقول لكم اننا سنجتاز كل الصعاب ، واننا معًا ، متعاونين متكاتفين بكل طوائفنا ومجتمعاتنا ومؤسساتنا ، سنعيد

إلى التراب المقدس وحدته ، كما أعدنا إلى العاصمة بيروت وحدتها .

لبنان يدعوكم ، أيها الأحباء ، ويقول : انا في انتظار كل واحد منكم يحمل إليَّ عقله وقلبه ليضعهمَا في خدمة الوطن ؛ واخوانكم من المواطنين الذين يعيشون على أرض الوطن يقولون لكم ان ارتباطنا الوثيق بخدمة لبنان وفي محبتنا له وتضحياتنا في سبيله واتحادنا لإسعاده أمضى سلاح في أيدينا ندافع به عن سيادتنا واستقلالنا .

نحن ، أيها الأحبّاء ، شعب ذو حضارة انسانية عظيمة ، وأنتم ابناء هذه الحضارة المتميزة الفريدة ، فهي حضارة اعتمدت أساسًا على المحبة والسلام ولم تكن يومًا مفروضة على أحد بقوة السلاح . فبينمَا كانت شعوب العالم القديم تفخر بالفتوح العسكرية واخضاع غيرها من الشعوب ، كان شعب لبنان يسيّر الأشرعة تحمل العلم والحرف وتزرع المحبة وتبادل المنافع بين الأمم .

رأينا من الجيوش في تاريخنا ما لم يرَه شعب من الشعوب ، وزالت الجيوش ودولها وبقي لبنان . بقي لبنان ، لبناننا العظيم ، لأنه رمز الانسانية لا غنى للعالم عنه ؛ فلبنان صمَام أمان ومركز لثقل العالم ، ان أصابه عطب ، اضطربت الأوضاع ودق ناقوس الخطر .

اطمئنكم ، أيها الأحبّاء ، إلى انه مهمَا تعاظمت الصعاب . ومهمَا تفاقمت المشاكل ، ومهمَا كانت التهديدات ، ومهمَا اشتدت الانذارات ، ومهمَا فرضت علينا القيود والتعقيدات ، لن نفرّط بذرّة من تراب أرضنا المقدسة ولن نفرّط بحق من حقوق شعبنا العظيم ، واننا لن نقبل وصاية أحد علينا ولن نقبل إلا سيادة هذا الشعب وعزته وكرامته على كل شبر من أرضه ووطنه . وسيبقى لبنان وطنًا للحرية ولكرامة الانسان ، مجتمعًا ديمقراطيًّا قائمًا على التعددية المنصهرة بشخصية الوطن ، وسيبقى لبنان منارة للفكر يهتدي به محيطه .

أيها الأحبّاء ؛

لقد قطعنا مرحلة صعبة من مراحل الخلاص ، ولعل ما توصلنا إليه الى الآن يُعَدّ بمثابة انجاز أساسي لم يكن في مقدورنا تحقيقه لولا تمَاسك الشعب اللبناني وتصميمه على اتخاذ القرار المستقل للحفاظ على الوطن . وفي هذا المجال لا يسعني إلا أن أشكر ، بالنيابة عن لبنان وشعبه ، الرئيس رونالد ريغان لذلك المجهود الجبّار الذي يبذله في سبيل السلام والتفاهم بين الشعوب . هذا المجهود الذي لمسناه نحن في المساعي التي لم تعرف الكلل من أجل قضية لبنان . ونتوجّه بالشكر أيضًا الى كل اميركي مدّ لنا يد المساعدة ، أكان مسؤولاً حكوميًّا أو مجندًا في سلاح البحرية أو مواطنًا أحس بمسؤولية بلاده العظيمة حيال الديمقراطية

والحرية في العالم فهبّ لمساعدة لبنان. ولا يمكننا أن ننسى هنا أولئك الذين سقطوا بكل شجاعة وعزة في بيروت، دفاعًا عن الحرية والديمقراطية. إن ذكرى هؤلاء تبقى إلى الأبد مكتوبة على صفحات تاريخ بلادنا بحروف من ذهب، وستتذكّر أجيال المستقبل في لبنان الحرّ المستقل تضحيتهم تلك، وستبقى اسماؤهم خالدة.

لقد طال الحديث عن السلام في منطقتنا وكُتب الكثير عنه، إلا أن مثل هذا السلام لن يتحقق إلا بلبنان معافى سيّد حر مستقل، وبولايات متحدة دائمة الدعم له، واعيةً لدور لبنان الفريد المتميز في تاريخ هذه المنطقة. ولعل مستقبل اميركا ومستقبل لبنان ومستقبل العالم يتوقّف في النهاية على نجاح مثل هذه المشاركة ونجاح الولايات المتحدة في مساعيها لمساعدة لبنان لإخراج كل وجود عسكري غير لبناني من أرض الوطن.

ان الشعب اللبناني الأصيل قد عقد العزم وأخذ على عاتقه ما لا رجوع عنه. فسلامة الأرض ووحدتها أولوية تُبطل ما عداها، وهدف لبنان، حكومةً وشعبًا، هو تطهير التراب المقدّس من أي وجود عسكري غريب، حتى نتمكن بعد ذلك من إعادة الحياة إلى شرايين الدولة في المناطق المشلولة بسبب الاحتلالات المختلفة، واستعادة السيادة والاستقلال إلى ربوع أرضنا الطيبة الخيّرة. فانسحاب كل القوات غير اللبنانية من أرضنا مطلب لا يمكن أي وطني صادق أن يحزّئه أو يتقاعس عنه. فأية مماطلة أو تأخير تعني انتقاصًا من سيادتنا واستقلالنا، وبالتالي انتهاكًا لحرمة الوطن وترابه.

لن يستريح لبنان، شعبًا وحكومة، ولن يهدأ بالا، كما اننا لن نريح العالم ولن نتركه يهدأ حتى نحقق للبنان أقصى أمانيه وأعزّ آماله. فها هي يدي أمدّها اليكم بالنيابة عن اخوانكم وأحبّائكم على أرض وطنكم الحبيب، وأهيب بكم أن تؤازروني بكل ما استطعتم من جهد، كل حسب امكاناته، تمامًا كما آزرني إخوانكم في الوطن. فلبنان لنا ولكم ولن يكون لغير اللبنانيين ابدًا. لبنان يدعوكم الآن إلى النهوض لتأدية الواجب المقدّس والمساهمة في مغامرة الانقاذ، لنستعيد الأرض كل الأرض ولنضمّد الجروح كل الجروح، لنرأب الصدع ونعيد البناء. سيَفي كل منكم بعهده ويؤدّي كل منّا الأمانة حسب طاقته. أما أنا فشرفي وفخري واعتزازي ان الأقدار اختارتني أن أكون لكم ولشعب لبنان ودستوره الخادم المخلص الأمين.

لقد آن الأوان لكي توحّدوا نشاطاتكم جميعًا في خدمة لبنان، فتنسجم جهودكم وتتسم بروح الوحدة والاتحاد، فتكونوا متعاونين متضامنين بحيث تحققون بذلك هدفًا يتخطّى أي هدف سابق مهمَا كان

عظيمًا. فالآن وقد بدت القضية اللبنانية جلية واضحة المعالم أمام أنظار العالم، ستبرهنون انتم بجهودكم تلك على اننا شعب يستحيل لأحد أن يقهره، وانه لا بدّ من أن يحقّق أقصى معاني الانتصار.

لقد صهرتنا المحن مع أرضنا الطيبة، فبتنا كصخورها مناعة وتشامخت في نفوسنا المطامح والآمال تعانق أرز لبنان المقدس، وصمدنا أمام التحديات، تحدّيات اولئك الذين طمعوا بأرضنا، إلا أن أحلام هؤلاء تتلاشى كزبد الموج متكسرًا على شطآن لبنان الصامدة.

اؤكّد لشعب لبنان البطل، واؤكّد لكم جميعًا، ان لبنان سينتصر وان أرضه ستتحرّر، وان استقلاله سيصان. فلا الوعود الواهية باتت تغرينا، ولا التهديدات العاتية باتت تبعث الرعب في نفوسنا. ان اعتمادنا الكامل هو على أنفسنا وعلى تصميمنا وعزمنا على البقاء، معتمدين في ذلك على ثقة اللبنانيين بأنفسهم وتمسّكهم بالمصير الحر. فإذا كنّا لفترة طويلة قد عانينا المآسي والآلام، نصارع الأيام وحيدين منفردين، فاننا اليوم –وقد بدأ ضمير اصدقائنا يستيقظ– نجدهم يقفون إلى جانبنا يدعمون مساعينا لاسترجاع أرضنا واحقاق حقّنا. لقد آن لنا أخيرًا أن نستبشر بالأمل وبفجر جديد، ينبثق ليغمر لبنان وشعبه العظيم.

أحبّائي، يمكن البعض منكم ناطر كام كلمة باللغة اللبنانية (تصفيق).

بحبّ طمّنكم وطمّن كل واحد منكم، طمّن الكبار وطمّن الصغار، بطمّنكم انو لبنان باقي، بطمّنكم أنو لبنان أبدي سرمدي، بالأمس حاولو يقتلو شعبو. واليوم حاولو يكسرو الحجر، يبقى انو في شي ما راح يقدرو يحطموه هو عنفوان الشعب وتصميمه على الانتصار. لا القنابل اللي بتجي من الشمال بترعبنا، ولا القنابل اللي بتجي من الجنوب بترعبنا؛ واللي اجا من الشمال يمكن ما قري التاريخ، لو انو قري التاريخ بيعرف انو لبنان هو القلعة الصامدة وانو أرضو هي المستنقع اللي بدو يكون مقبرة للغزاة.

البعض يمكن ضل الطريق وفكّر انو الشعب اللبناني لأن أرضو ضيقه، لأن عددو ضئيل، لأنو يمكن تسلّحو منو على المستوى المطلوب، فكّر البعض انو يعمل لبنان فشة خلق. ولأنو ما بيقدر على غير لبنان، يمكن لأنو نحن أمام الاعداء الحقيقيين ارتدوا على لبنان، تعويضًا عن اللي ما قدرو يعملوه مع الاعداء الحقيقيين.

انما، بعد مرة، لبنان لا يقاس بعدد كيلومتراتو ولا يقاس بعدد شعبو، لبنان يقاس بطموح شعبو وطموح كل الشعب اللبناني، الكبار والصغار، اللي مستعد كل يوم يضحّي ويستشهد في سبيل أن يبقى لبنان وطن العزة والكرامة والعنفوان.»

تعدّدية الثقافات والأديان في وحدة الإنتماء والولاء

لقاء الجالية اللبنانية ،
هيوستن ٢٣ تموز ١٩٨٣

«أيها الأحبّاء ؛

انها ليست المرة الأولى أزور هذه المدينة ؛ وفي كل مرة أزور هذا البلد الجميل المضياف ، ازداد تعلقًا به . ان زيارتي هذه المرة هي بدافع من الواجب والمسؤولية . فمن جهة جئت الى هنا ، اليكم ايها الأميركيون الطيبون من أصل لبناني ، أنتم الذين يحبون اميركا ، ويؤمنون بمُثلها وبقيمها ، قِيَم العدالة والحرية وحقوق الانسان . لقد جئت أسألكم أن تلبّوا نداء لبنان الموجّه إليكم ، ولكي تقفوا إلى جانبه وتنهضوا لإحقاق حقّه . أنتم مواطنون اميركيون عظمَاء ، ولأنكم مواطنون اميركيون عظمَاء فليس في استطاعتكم أن تقفوا موقف اللامبالاة أمام محنة وطنكم الأم . فقضية لبنان هي قضية كل انسان حر شريف .

ولقد جئت إلى هنا أيضًا لاؤكّد لكم ان لبنان الذي تحبونه سينتصر على كل الصعاب ويتخطّى كل العقبات ، وان بلادنا سوف تولد من جديد بالجهود التي يبذلها اللبنانيون ، في الوطن وفي ديار الاغتراب . سوف نسترجع الأرض ونبني الدار من جديد ، وسوف نبني الوطن الذي يستحقه الشعب اللبناني العظيم . نعم سوف نفعل كل ذلك لأننا شعب حر ومتوحّد ولا يمكن أن يقهر . سيكون لبنان أبدًا وطن السلام والنبل والأخوّة والكرامة الانسانية .

ويشير الينا البعض بأننا ملتقى الشرق والغرب وجسر بين حضارات العالم القديم والحديث. ليس لبنان ملتقى الشرق والغرب فحسب، لكنه ايضًا ملتقى العديد من الأديان والأجناس. انه بلد الأقليات أيضًا، فهو مجتمع تعدّدي مفروض عليه أن يستمر موحدًا متجانسًا متآلفًا بمجموعاته وفئاته. ونحن ندرك جيدًا المبادئ التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي تكوّن كياننا والتي عبّر عنها باسكال، الفيلسوف الفرنسي، بقوله: «التعددية التي لا تخضع للوحدة والاتحاد تصبح فوضى، والاتحاد الذي لا يعتمد على التعددية يصبح طغيانًا». وبمَا أن لبنان وطن صاغ شخصيته ومناقبيته عن طريق التقاء الأديان والأجناس والمجموعات الاجتماعية، فإنه يدرك تمَامًا ان نجاحه كشعب وكيان منوط دائمًا بتصميم أكيد من جميع الأطراف على ضمَان سلامة كل فئة وكل طائفة لتزدهر وتنمو وتبقى. فبالنسبة إلينا تشكل حقوق الانسان قاعدة أساسية لتعايش الأديان والأجناس، وقاعدة أساسية لضمان الوحدة الوطنية. فنحن لا نتجاهل الفوارق الموجودة، أكانت نتيجة اختلاف الأديان أو الأجناس. ولا يودُّ لبنان أن يزيل ما يميّز فئة عن فئة أخرى. كأصابع اليد الواحدة تختلف فيها المظاهر لكن الأصل واحد. ان ما نسعى إليه هو ولاء أوسع، مطامح أعظم ورؤيا أكثر شمولاً واتّساعًا.

ان ما يؤكّد عليه لبنان هنا هو أن تُخضع كل طائفة من طوائفه وكل مجموعة من مجموعاته مصالحها لمصلحة الوطن العليا ولمصلحة الوطن الموحّد الواحد.

ان لبنان يرفض المركزية المتطرفة ولا يقبل ازالة التعددية الموحّدة. يستنكر لبنان كل نوع من أنواع التعصّب وكل دعوة تفرق الجزء عن الكل ويتبنى مبدأ التعدد في إطار الوحدة الوطنية، ان هذا الولاء الذي نتحدث عنه لن ينتقص بأي حال من الأحوال من الولاءات الخاصة، لكنه ولاء يفرض على كل جزء من اجزاء الوطن أن يُخضع مصالحه الخاصة للمصلحة العامة العليا، للوطن ككل. ان أمامنا الآن في لبنان فرصة نادرة لنعطي العالم مثلاً للديمقراطية والتسامح يحتذيه الآخرون.

لبنان وشعبه لن يضمر الحقد لأحد، ولن يطمع بالكسب على حساب أحد، ولن يتدخل في شؤون الآخرين في ما يختارون من قرارات. فلبنان يمدّ يد الصداقة إلى الجميع، راجيًا الرفاهية والخير لكل اخوانه على وجه البسيطة. لكن لبنان عاقد العزم ايضًا على الدفاع عن وحدته كوطن وسيادته كدولة ووحدته كشعب. لقد تحمّلنا سنوات عدة من المخاطر والأهوال، ومرّت بنا الشدائد والمحن لكي نفوز بحريّتنا. ولقد تعرّضنا للكثير من المصاعب والتجارب لكي ننقذ الوطن. فالأيام الحالكة، أيام الخطر

والقلق والفوضى ، وأيام الألم والمحنة والعذاب ، كلها تضافرت لتقوّي من عزيمتنا وتغرس في نفوسنا تصميمًا لا تراجع فيه للدفاع عن مجتمعنا والمحافظة عليه ولبقاء لبنان مثلاً للمناقب والمزايا يعلّمها لعالم اليوم .

أيها الأحباء الاعزاء ، أيها الأصدقاء ، يا أحبّاء لبنان ؛

أناشدكم جميعًا أن تهبّوا هبة الرجل الواحد ، فلا توفروا جهدًا إلا بذلتموه ، وتكرسوا أنفسكم من جديد لمواجهة المهمة التي أمامكم ، فتستغلوا كل وسيلة شريفة وترفعوا علم بلادكم وتصبحوا لسان وطنكم البليغ وتتذكروا معي ما قاله مواطنكم العظيم امين الريحاني ، قبل ما يزيد على سبعين عامًا ، وهو القول الذي ينطبق على كل واحد منكم أخلص للبنان ، وهو القول الذي لا بدّ أن يشعل فيكم لهيب الحمَاسة والحس الوطني العارم ؛ يقول الريحاني : «ان بلادي قد بدأت بالنطق وأنا لسانها المختار ، وأشعر بانه إذا لم أُلبِّ النداء واذا لم أهبّ لنجدة بلادي فانها ستبقى خرساء إلى الأبد» . إذًا ، فلنلبِّ النداء ونحمِ لبنان .

أحبائي ؛

كلما زرت هذه المدينة الجميلة هيوستن ، شدتني إليها العاطفة ، لأنها مدينة جميلة ، ربّمَا لبنان قد أعطاها بعض الشيء ، انمَا ابناء لبنان فيها يعطون لبنان الكثير وسيستمرون في عطائهم له . أحب أن أقول لكم ان لبنان كله ينظر إليكم والى اخواننا البعيدين عنه ، هو ينظر إليكم ليقول لكم انه لن ينساكم ، وليقول لكم انه في انتظاركم حتى ننطلق كلنا في مسيرة إنقاذ الوطن ، لأن هناك من يفكر أنه من السهل أن ينتصر على لبنان ، لأنهم يفكرون ان لبنان هو بحدوده الضيقة وبعدد شعبه الضئيل ، وقد نسوا ان لبنان هو امبراطورية لا تغيب عنها الشمس ، وان لبنان لا يقاس إلا بطموح شعبه وبعنفوان شعبه الذي تمكن أن يحطم المؤامرات وأن يخلق من هذه الأرض الصغيرة أرضًا كبيرة بطموحها ، بحيث جعلها أرض الحرية والكرامة ، وجعل من هذه الأرض الصغيرة ، جعلها أرضًا كبيرة بطموح شعبها وعنفوانه ، هذا الشعب الذي وقف أمام كل أنواع المؤامرات والـذي تضافرت عليـه كـل القوى والامكانات ، إنما صمد بايمانه ، لأن هذا الشعب من هذه الأرض الطيبة ، وهو جُبل مع تراب لبنان وصُقِل من صخر لبنان ، وأصبح اليوم يطمح إلى أن يكون من مجد أرز لبنان .

لقد فكّر البعض أن الأرض صغيرة ، وفي الامكان أكل قطعة من هنا وقطعة من هناك ، وبمَا أن لبنان جميل ومناخه جميل ، فكّروا في الدخول إليه من الجنوب أو من الشمَال أو من الشرق ، انما نسوا ان

والقلق والفوضى ، وأيام الألم والمحنة والعذاب ، كلها تضافرت لتقوّي من عزيمتنا وتغرس في نفوسنا تصميمًا لا تراجع فيه للدفاع عن مجتمعنا والمحافظة عليه ولبقاء لبنان مثلاً للمناقب والمزايا يعلّمها لعالم اليوم.

أيها الأحباء الاعزاء ، أيها الأصدقاء ، يا أحبّاء لبنان ؛

أناشدكم جميعًا أن تهبّوا هبة الرجل الواحد ، فلا توفروا جهدًا إلا بذلتموه ، وتكرسوا أنفسكم من جديد لمواجهة المهمة التي أمامكم ، فتستغلوا كل وسيلة شريفة وترفعوا علم بلادكم وتصبحوا لسان وطنكم البليغ وتتذكروا معي ما قاله مواطنكم العظيم امين الريحاني ، قبل ما يزيد على سبعين عامًا ، وهو القول الذي ينطبق على كل واحد منكم أخلص للبنان ، وهو القول الذي لا بدّ أن يشعل فيكم لهيب الحماسة والحس الوطني العارم ؛ يقول الريحاني : «ان بلادي قد بدأت بالنطق وأنا لسانها المختار ، وأشعر بانه إذا لم أُلبِّ النداء واذا لم أهبّ لنجدة بلادي فانها ستبقى خرساء إلى الأبد». إذًا ، فلنلبِّ النداء ونحمِ لبنان.

أحبائي ؛

كلما زرت هذه المدينة الجميلة هيوستن ، شدتني إليها العاطفة ، لأنها مدينة جميلة ، ربّمَا لبنان قد أعطاها بعض الشيء ، انمَا ابناء لبنان فيها يعطون لبنان الكثير وسيستمرون في عطائهم له. أحب أن أقول لكم ان لبنان كله ينظر إليكم والى اخواننا البعيدين عنه ، هو ينظر إليكم ليقول لكم انه لن ينساكم ، وليقول لكم انه في انتظاركم حتى ننطلق كلنا في مسيرة إنقاذ الوطن ، لأن هناك من يفكر أنه من السهل أن ينتصر على لبنان ، لأنهم يفكرون ان لبنان هو بحدوده الضيقة وبعدد شعبه الضئيل ، وقد نسوا ان لبنان هو امبراطورية لا تغيب عنها الشمس ، وان لبنان لا يقاس إلا بطموح شعبه وبعنفوان شعبه الذي تمكن أن يحطم المؤامرات وأن يخلق من هذه الأرض الصغيرة أرضًا كبيرة بطموحها ، بحيث جعلها أرض الحرية والكرامة ، وجعل من هذه الأرض الصغيرة ، جعلها أرضًا كبيرة بطموح شعبها وعنفوانه ، هذا الشعب الذي وقف أمام كل أنواع المؤامرات والذي تضافرت عليه كل القوى والامكانات ، إنما صمد بايمانه ، لأن هذا الشعب من هذه الأرض الطيبة ، وهو جُبل مع تراب لبنان وصُقِل من صخر لبنان ، وأصبح اليوم يطمح إلى أن يكون من مجد أرز لبنان.

لقد فكّر البعض أن الأرض صغيرة ، وفي الامكان أكل قطعة من هنا وقطعة من هناك ، وبمَا أن لبنان جميل ومناخه جميل ، فكّروا في الدخول إليه من الجنوب أو من الشمَال أو من الشرق ، انما نسوا ان

لبنان المقيم يبثّ لبنان المغترب بشرى القيامة

لقاء الجالية اللبنانية ،
ديترويت ٢٤ تموز ١٩٨٣

«أيها الأحبّاء الأعزّاء ؛

يسرني أن التقي بكم لأشارككم مشاعر اخوانكم من المواطنين وأن أنقل إليكم أفكارهم . من دواعي سروري دائمًا ان التقي بكم ، خصوصًا عندما نلتقي باسم لبنان ، لنوثق الروابط التي تشدّنا إلى بعضنا بعضًا ولنخدم مصلحة وطننا العزيز.

ان العام الذي تخطّى نصف مدته كان بمثابة المرحلة الأولى من مراحل مسيرة الانقاذ. ولا بدّ لها من أن تشهد ازديادًا لتدعيم الجهود التي تبذلها الدولة اللبنانية ، في مجالات الأمن وإعادة الخدمات الاجتماعية والعامة .

لا بدّ لنا ، قبل كل شيء ، من أن ننجح في تحقيق الانسحابات كلها من لبنان. فاستمرارية العمل لتنفيذ هذا الهدف يجب أن لا يسبقها شيء في الأسابيع المقبلة ، بدعم من الولايات المتحدة الاميركية ، لا بل بالتزام أكيد منها. وفي الوقت ذاته يستمر العمل متوازنًا من أجل دفع الخدمات العامة الضرورية ، ويستمر معه التخطيط لانشاءات جديدة.

أما الجيش الذي أُعيد تأهيله فيجب أن يزداد قوة حتى نحافظ على المكاسب التي حققناها في مجال الأمن والاستقرار في المناطق التي يسيطر عليها مهمَا كلّف الأمر. ان تنشيط الحياة الفكرية والفنية في الوطن مسؤولية أخرى ، علينا تنفيذها قريبًا ،

تمهيدًا ليأخذ لبنان مكانه الفريد المتميّز، من جديد، قوة فاعلة في تحقيق السلام والتقدم في الشرق الأوسط.

وفوق كل هذا، علينا أن نأخذ في اعتبارنا كل الخطوات الواجب اتّخاذها لخلق حس وطني جديد ووضع قِيَم وطنية وصياغة شخصية وطنية لبنانية الجوهر ولبنانية الروح. لبنانية في منهج حياتها ونمط تفكيرها، وقادرة على أن تأخذ مكانها بين أمم العالم وشعوبه.

وعلينا أن نتذكّر ان بلادنا تتمتع بتقاليد سياسية مشتركة، لا يمكن التغاضي عنها والتهرّب منها. بل من واجبنا أن نكشف كيف نستطيع تنمية هذه التقاليد وترجمتها ترجمة تناسب المسؤوليات الجديدة في إطار التجارب التي مررنا بها، وانسجامًا مع القِيَم الديمقراطية التي ازدادت عمقًا في بلادنا. وما نشير إليه هنا ليس التغيير من أجل التغيير، بل دراسة وافية لكل تقاليدنا السياسية والبحث عن معنى جديد لهذه التقاليد، بحيث تكون قادرة على مواجهة مطالب المستقبل.

والى جانب هذا المجهود الحيوي الملحّ على الجبهة الداخلية يجب أن نبذل مجهودًا آخر متزامنًا على الجبهة الخارجية. وهنا يأتي دوركم أيها الأحبّاء. ان الكثير سيعتمد على نوعية إسهامكم وعلى صفاء الرؤية لديكم وعلى وحدة صفوفكم وعلى ولائكم الذي لا يتزعزع.

لبنان موحَّد لا ينقسم، بالتنسيق الكامل مع جهودكم. والتعاون التام بين الجاليات اللبنانية في اميركا هو أمر في غاية الأهمية، لأن على مثل هذا الجهد المنسّق سيعتمد اتحادنا ووحدة قضيتنا. اننا شاكرون، فخورون بالمجهود الذي بذلته الجاليات اللبنانية الاميركية حتى الآن في الولايات المتحدة وأصدقاء لبنان في اميركا.

ان نجاح المساعي الحثيثة التي بذلها الرئيس ريغان وادارته، في ما يتعلق بانسحاب القوات غير اللبنانية، يجب ألّا يفقد قوة اندفاعه والا ينحاز الى الاهتمام بقضايا فرعية ثانوية. بل على هذه الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة ولبنان أن تزداد زخمًا، لإحلال السيادة الكاملة التامة في دولة لبنان الديمقراطي. وهذه السيادة من شأنها أن تفرح قلب كل لبناني وتغمر روح كل مواطن على أرض الوطن.

أيها الأحبّاء،

اليوم، وفي صورة لم يسبق لها مثيل، يطلّ علينا فجر يوم مجيد. فأمامنا فرصة علينا اقتناصها، وأمامنا مسؤوليات لا يمكن أن نتهرب منها، ولنا واجب يحتم علينا تعويض ما أصابنا من خسائر فادحة في السنوات الثمَاني الماضية، عن طريق إسهامنا في

مسيرة الانقاذ الوطني. كما ان علينا ان نفشّل المحاولات التي يسعى البعض من الأصدقاء والاعداء إلى ان ينتقص بها من انجازاتنا المجيدة. انجازات شعبنا. ان الشعب صمّم على أن يبقى ويعيش، وصمّم على أن يحافظ على لبنانيته ويحفظ وطنه حرًّا ديمقراطيًّا مستقلاً كامل السيادة.

هذا بعض من الأفكار التي قد تعطيكم لمحة عن تلك الرؤية العظيمة. انها رؤية يبدو فيها لبنان مجيدًا حقًّا. انه لبنان الذي طهرته الآلام والحروب وباركته الدماء الزكية لآلاف الشهداء. انه لبنان الذي ولد من جديد ليحتلّ مكانه ثانية في دور قيادي في تسيير شؤون البشر.

وقد تسألون: سيعود لبناننا ونبنيه من جديد؟ وجوابي هو أن لبنانكم باقٍ، لن يدمَّر أبدًا. وعندما تعودون إلى وطنكم ستجدون لبنان أكثر بهاءً من لبنان الذين كنتم تعرفون. ستعودون. ستعودون لتروا بأنفسكم الأرض الطيبة التي بقيت على ولائها لكم. والتي، على رغم كل ما بقي وزال، بقيت مستقيمة في حبها لكم، فأنعمت خيراتها عليكم ومنحتكم بركات عميمة لا تحصى ولا تعدّ.

أيها الأحبّاء،

ستعود الضحكات والأغاني إلى أرضنا العتيقة. نعم، أقول لكم ستعود بهجة الحياة المباركة لتلمس قلب الكبير والصغير، وستعود البسمة البريئة لترتسم على شفتي كل طفل صغير. علينا أن نمتلك أرضنا قلوبًا طاهرة مستبشرة، حتى تصبح مثلها مرايا مشعّة تملأ الأرض ضياء. فلنهبّ جميعًا ونقف وقفة رجل واحد لنبني بيتنا من جديد، تحيطنا بركات التضحية النبيلة لأولئك الذين بذلوا حياتهم من أجلنا لنكسب حياة جديدة.

لنتناسَ الخلافات ولنطرد الخوف من قلوبنا، ولنقف متحدين متكاتفين ونعلن انبثاق فجر يوم جديد. لنبنِ وطنًا يقاس المرء فيه بمَا يحمل في قلبه من محبة للبنان، ولنبنِ وطنًا كل فرد فيه ينال شرف الانتمَاء إليه ليس بفضل صدفة المولد، بل بفضل ما يقدّمه لوطنه من خدمات وما يسهم فيه من أجل مواطنيه.

ولنبنِ وطنًا نتحد فيه أنا وأنتم، لنعطِ من دون أن ننتظر جزاء، ولنخدم من دون أن نتوقع مكافأة. أهيب بكم أن تبذلوا جهدًا خارقًا وتضعوا نصب أعينكم أهداف المغامرة التي يشترك فيها الوطن بأسره. مغامرة انقاذ الوطن. علينا الآن أن نضع الأسس الثابتة للمجهود العظيم، ليحلّ السلام ويعود البناء. فليس هناك من وقت نضيّعه. هذه فرصتنا النادرة وامتياز عظيم أصبح من نصيبنا اليوم، فلا تقاعس ولا تردّد بعد اليوم. علينا أن نحقّق بكل صدق وعزم

أهدافنا القريبة والبعيدة ، متحدين متكاتفين.

لقد صهر القدر قلوبنا وحبانا الزمان برباطة جأش وبعزم أكيد وبايمان جديد ، وصمّمنا على أن نناضل ونسعى ونستكشف الآفاق. ولن نستسلم وسوف ننتصر.

اطمئنكم ان لبنان سيبقى وطن الحرية والاستقلال ، وشعبه سيبقى رمز الكرامة ، والعنفوان.

ان المؤامرات ، مهمَا كبر حجمها ، سيتصدى لها جبلنا وستتبخر... بايماننا صمدنا ، وبعنفواننا سنحرّر أرضنا ، حتى يخرج آخر جندي غير لبناني من الأرض المقدسة.

نحن واميركا «نباطح» للأهداف والمبادئ ذاتها... حرية الانسان والأوطان.

مهمَا قصفوا بيروت والجبل والبقاع والشمَال والجنوب ، ومهمَا قتلوا ، فهم لن يستطيعوا أن يقتلوا ، و«فشروا» أن يقتلوا انسان الحرية والكرامة.

أما الشكل الجديد من المؤامرة التي يجربون اليوم أن يلبسوها الثوب اللبناني ، «اللي عم يحاولوا يحيكوها من الداخل ، باسمَاء يوهمون انها معارضة من الداخل ، معارضة الهليكوبتر الأجنبية اللي بتاخذ بعض الرموز الواهية من قرية محتلة إلى قرية محتلة ، وراء الدعم المزور ، وراء الوطنية المشوّهة... معارضة الهليكوبتر الأجنبية ما هي إلا فقاقيع صابون تتبخر طالما ان هناك شعبًا ومسؤولين صمّموا على تحطيم المؤامرة وتحرير لبنان.

لذلك فان القصف يزيدنا قوة وتصميمًا والمعارضة المزيفة تضحكنا... واطمئنكم الى أنكم ستعودون إلى لبنان كله ، إلى الجنوب والشمَال والبقاع والجبل وبيروت... ولن تروا إلا العلم اللبناني وحده يرفرف...

عاشت الولايات المتحدة الاميركية ، عاش الرئيس رونالد ريغان ، عاش لبنان!»

جَيش مِن كلّ لبنان، عَلى كلّ لبنَان، لكُلّ اللبنانيّين

عيد الجيش اللبناني،
البرزة ١ آب ١٩٨٣

«أيها العسكريون؛

العيد لكم أم للوطن وأنتم عيده الموعود، عيد كرامته وحريته وطهارة أرضه؟

وإن قيل بأية حال يأتي العيد، وعلى الأرض احتلالات وفي بعض المناطق صراعات تداخلت فيها جوانب من هنا ومن هناك جهات، فقد يكون الجواب عبر محطات كثيرة من التاريخ ما خاض لبنان فيها عراكًا مع الأحداث إلّا انتصر.

وهل من خلاص وانتصار بغير الجيش يشتدّ ساعده ويعلو شأنه، ليحرر الأرض وتتوحّد فيه وبه ارادة الشعب؟

انها المناسبة العبرة التي تفرض اليوم على اللبنانيين جميعًا وقفة تأمل وانطواء على الذات، ولم ننسَ بعد كيف استطاعت الحرب أن تشرع أبوابها الواسعة على لبنان، عندما تعطلت قدرة الجيش وسلطة الدولة.

وكيف انقسم الشعب، وتبعثرت الأرض، عندما تعرّض الجيش للانقسام.

فلا مجال إذًا لاستعادة وحدة الأرض وتعزيز وحدة الشعب إلا بتعزيز الجيش وتنميته، ولا وسيلة إلا بالجيش لفتح أبواب السلام والاستقرار وتجسيد معاني التوحيد والانقاذ.

ونعرف ان المؤسسة العسكرية كانت براء من ذنب الامتحان الصعب، الذي

عطّل دورها وكبّل يدها عن القيام بالواجب الوطني ، بل ان الخطيئة تقع على المسؤولية السياسية وغياب القرار السياسي.

وكنا ندرك يومها مرارة المعاناة التي كانت تجتاح نفوس العسكريين ، نفوسكم أنتم ، لحرمانهم شرف الدفاع عن لبنان والاستشهاد في سبيل انقاذه.

أما اليوم فانني أقول لكم : لقد صمّمنا على اطلاق يد الجيش في تحمّل مسؤولياته كاملة ، مهمَا كانت العوائق والصعوبات ، ولن يكون سلاح إلا في يده ، ذودًا عن الحياض ، وستكون هذه اليد درع الوطن وسند الشعب ، كل الشعب ، بكل فئاته وطوائفه ومناطقه. وما يعزّز عندنا الثقة والأمل الكبير هو ما حققه الجيش من خطى واسعة ، وما أحرزه من تقدّم في غضون أشهر قليلة ومن وثبات ، نوعًا وكمًّا ، على صعيد التدريب والاعداد والتجهيز والعديد ، كما على صعيد تنظيمه وروحه المعنوية التي هي السلاح الأمضى.

وتجسيدًا لوحدة الدم والمصير ، وتكريسًا للوحدة الوطنية حتى الانصهار ، كان القرار بتنفيذ خدمة العلم. فاذا أمامنا اليوم آلاف المجندين يأتون من كل قرية وبيت لينتظموا في صفوف الجيش ويجسّدوا آمال الشعب ويبدّدوا آلامه. ولن تمرّ أشهر أخرى حتى يصبح رجال الجيش في مستوى الطموحات والأهداف يتهيأون لمهمة انقاذ الديار ، في الجنوب والشمال والبقاع والجبل. فلا ولن تكون معركة التحرير إلا مكتوبة على جباههم والسواعد.

وفي اعتقادي ان اللبنانيين جميعًا باتوا على يقين أكيد بأن لا أمن لهم ولا أمان ، ولا حماية لهم ولحرياتهم إلا بدعم المؤسسة العسكرية وتعزيز قواها ، فاذا تعرضت هذه المؤسسة لأي انتكاسة أو تجربة جديدة ، فقد يقع الفراغ المخيف ويرتدّ الخطر والضرر على كل الفئات وكل المناطق وكل الطوائف وكل الأحزاب والمجموعات ، مع ان هذه المراهنات لن تكون رابحة في شيء ، لأن الجيش المطلق الايمان بلبنان لن يلدغ من التجربة مرتين.

ولعل الذين يتوقفون عند الشكليات السطحية وبعض الاجتهادات يُسقطون من حسابهم ما يحيكه الدخلاء والمأجورون الذين يندسون في الصفوف للقيام بأعمال التخريب وضرب الاستقرار وتأليب فريق على فريق ، وفئة على فئة ، وطائفة على طائفة ، ومدينة على مدينة ، ضمن مهمة التوريط والاستدراج إلى التصادم والفتن ، ولم يدخل في روع هؤلاء ان الجيش إذا تخلّف عن ضبط الممَارسات المشبوهة فقط يتعاظم الويل وتبعث أشباح الحرب من جديد.

وهناك من لم يدرك ، وهو في غفلة من أمره ، ان قوى السلطة على اختلافها

أحبطت حتى الآن غير مخطط يستهدف ، في ما يستهدف ، الفئات المعترضة بالذات ويتناول ، في ما يتناول ، الذين يغمزون من قناة الجيش ، بينما هو يعرّض نفسه من أجلهم للخطر ويسقط منه الشهيد تلو الشهيد في مجال تأدية الواجب. وما همّ أن يصحّ فيه قول من قال : «انني جنّدت نفسي للدفاع عن الحق لأتحمل فيه كل مكروه ، وان كان متأتيًا من الذين أدافع عنهم».

أيها العسكريون والمجندون ؛

ان الازمة الخانقة وان أخذت تطل بخاتمتها ، لم تنتهِ فصولها. فاذا لم يكن الجيش قادرًا على تحمّل المسؤوليات ومواجهة الاحتمالات ، ستظل الحاجة تفرض على لبنان أن يستعين بجيوش صديقة ، أو ستفرض عليه الجيوش الغريبة أمرها الواقع.

ولهذا ، ومع رفضنا القاطع لأي مفاوضة على أي انسحاب جزئي ما لم تكن الجزئيات في إطار الكل ، فاننا مصممون على التمسّك بأي شبر من الأرض يخلو عنه جندي غريب ، ولن نتركه لجندي غريب آخر ، بل هو حق مقدس للمواطن اللبناني يحلّ به في حمى السلطة الوطنية حلالًا ، لا يحتلّه كالغريب احتلالًا.

كما ان الأمن لن يكون بالتراضي حيث تطأ أقدام الجيش ، فلن يكون الجيش حيث يؤدي مهمة الأمن إلا راضيًا ضميره ، منسجمًا مع دوره الوطني. الكل بالنسبة إليه أقرباء وأحبّاء وسواء ، إلا الذين يبيعون أنفسهم من الاعداء لطعن الوطن من الظهر ، والمواطنين من الخاصرتين.

لقد صمّمنا على المضيّ في مسيرة الانقاذ ، وان نجنّد قصارى الجهد في سبيل هذا الهدف الذي تصغر دونه الأهداف كلها والمطالب كلها والمطامح. وإلا فكيف يتسنى للبنان أن يستعيد ذاته وحياته ، وأن يتوحّد فيه شعبه ، إذا كان الشعب مبعثرًا ومطوّقًا ضمن ولايات من الأرض يطغى عليها الاحتلال؟...

وتجاه هذه المسؤولية التاريخية العظيمة ، لا نجد مجالًا للمسايرة والمساومات ، ولا نتوقف حيال الجدليات العقيمة والتعقيدات المصطنعة ، بل سنستمر حتى تحقيق الوعد.

على ان تحرير الأرض يفترض حكمًا تحرير النفوس من أي ازدواجية أو احتواء ، لأن شعبًا يواجه احتمالات في مستوى المصير لا يمكن أن يكون أسير التناقضات أو أسير الولاءات الخارجية ، راضخًا للهيمنة والضيم. من هنا أشعر مع إخواني المواطنين في البقاع والجنوب والشمال وبعض الجبل ، وأدرك ما يضجّ في نفوسهم من قلق وحرج وهم مضطرون إلى التكيّف مع الواقع الشاذ.

ولكن وحدة الموقف الوطني ، التي تتجلّى في الشعب كما في الجيش ، كفيلة

بأن تعزّز مناعتهم وتدعم قدرتهم على مواجهة التحدي ، بانتظار مواكبكم ورفع العلم .

ولعلّ أبناء هذه المناطق ، خلافًا للظواهر وبعض المظاهر ، هم أكثر توقًا إلى التحرّر والخلاص ، لأنهم يكابدون التسلط ، ويعانون مرارة الضغوط . وهم أكثر حاجة إلى طلائع السلطة الوطنية المتمثلة بكم ، ولا أخالكم إلا في مستوى الطموح والأمل المعقود على المناكب والبنادق .

أيها العسكريون ؛ اني أرى لبنان بفضل وحدة صفكم وثابت عزمكم ، والايمان منتفضًا من بين الدخان ، وقد صقلته النار فأضحى أكثر منعة وصلابة . وأراه وطنًا راسخًا في مقوّماته ، رائدًا في خصائصه وحرياته ، مبنيًّا على أسس عميقة الجذور وارادة وطنية لا تلين . واني أرى بوارق الخلاص تسطع مع سيوفكم والجبين .

على انكم وان تعاليتم فوق كل الفئات والطوائف والأحزاب ، فانمَا أنتم تشكلون حزب الوطن . حزب المواطن . والحزب الواحد للبنان الواحد .

عشتم ، عاش لبنان ! »

تحدّي استعادة الذات والحرية واستحقاق المستقبل

رسالة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ،
٢٥ آب ١٩٨٣

«أيها اللبنانيون ؛

أخاطبكم اليوم ونحن نواجه احداثًا ونرتقب تطورات لعلها من أخطر ما واجهنا حتى الآن. وقد رأيت ان نتصارح في هذا الشأن كما وعدتكم وعوّدتكم ، طالبًا دعمكم لاؤدي الواجب وأصون الحقوق.

نعيش معكم ، وتعيشون معنا الأيام الصعبة بكل مخاطرها التي تعرفون ، والتي لم نضيّع ثانية واحدة في سبيل مواجهتها وتجنيد كل القوى للخروج من مآسيها.

فالخيار الذي نعمل على أساسه لم يكن الأول ، بل انه واحد يأتي في سلسلة من الخيارات التي لم تنفع ، وقد سلكها لبنان منذ الشرارة الأولى في المحنة التي نعيش. فلا قرارات القمم ، ولا المؤتمرات العربية أفلحت ، ولا قرارات الأمم المتحدة أنقذت. فمن قوات سورية إلى قوات أمن أو سلام عربية ، إلى قوات ردع عربية ، والى قوات طوارئ دولية ، وصلنا اليوم الى قوات متعددة الجنسيات.

ان هذه القوات هي الآن موضع أمل ، وانما الأمل الأكبر هو في تضامن اللبنانيين وحدهم وفي قواتهم الأصيلة ، قوات جيشهم الفتي الناهض.

ففي وقت قريب جدًّا يبدأ جلاء القوات الاسرائيلية عن الجبل ، وعلى وجه التحديد من الشوف وعاليه ، المنطقة التي كانت في

تاريخ قريب ولا تزال قلب السياسة اللبنانية ومركزها الأكثر دقة ، وقد أصبحت هذه المنطقة بالذات ولا تزال – بفعل المؤامرة الكبرى التي مزّقت لبنان – ساحة متفجرة للمواجهة المسلّحة ، في أخطر حرب وأغرب حرب .

ان هذا الجلاء المرتقب نريده أن يفتح صفحة جديدة من عودة اللبنانيين بعضهم إلى بعض ، وعودة أرض غالية إلى ذاتها والوطن . انها الفرصة الكبيرة أمامنا جميعًا ، خصوصًا أمام اخواننا وابنائنا في الجبل ، الذين كانوا يعيشون في حنين إلى الوطن ، إلى رؤية علم لبنان يرفرف وحده في سمَائه ، يعيد اليهم العزة والكرامة والعنفوان ، التي لا وجود لها إلا في ظل العلم الوطني .

انها الفرصة الكبيرة لكي تستعيد منطقة من لبنان أصالتها . هذه المنطقة التي كانت ركيزة أساسية في بناء الوطن ونموذجًا للتعايش الخلاّق بين ابناء الوطن الواحد ، فأعطته نخبة من رجالاته ووهبته نفحة من تقاليده .

ان الانسحاب الجزئي الذي سيتمّ لا يرضينا ، ما دام ليس ضمن خطة لانسحاب كلي شامل . وهو ، على كل حال ، يتمّ خارج نطاق الاتفاق المعقود مع اميركا واسرائيل . ان هذا الانسحاب يواجهنا بسلسلة تحدّيات من واجبي مكاشفتكم في شأنها ، من مركز مسؤوليتي الدستورية ، مسؤولية الحفاظ على وحدة الأرض واستقلال الدولة ، فضلاً عن سلامة المواطنين ، كل المواطنين ، وحقوقهم كل حقوقهم .

أما هذه التحدّيات فهي :

أولًا : تحدّي استعادة الأرض ، ذلك ان أبسط حقوق الدولة ، بل أبسط واجباتها وهي تسعى إلى تحرير الوطن ، أن تبادر ، أيًّا كانت الظروف ومهمَا كان الثمن ، إلى اقامة سيادتها على كل شبر من التراب الوطني ، قبل أن يصبح سائبًا .

ثانيًا : تأمين سلامة الشعب ، ذلك ان أبسط حقوق المواطنين على الدولة أن توفّر لهم ، أفرادًا وجمَاعات ، الأمن والعدالة والمساواة والطمأنينة ، لذلك فان الدولة ، والدولة وحدها ، لها حق حمل السلاح ، لا في وجه الشعب بل من أجل الدفاع عنه .

ثالثًا : تكريس الوحدة الوطنية ، ذلك ان الحروب التي شهدها لبنان قد خلفت في لبنان ، في منطقة الشوف على الأخص ، جروحًا عميقة تنزف كل يوم وتهدد بأن تصبح حدودًا من دم تفرّق بين الأخ وأخيه . وهي حال مأساوية لا يمكن أن تسمح ضمَائرنا باستمرارها ولا يريد لبنان ، ولا لبناني واحد ، أن يتركها تستمر .

فمن واجب الدولة ، إذًا ، ان تستعيد الأرض ، لا لتفرض الأمن فحسب ، ولا

لتمنع الاقتتال فحسب ، بل لتكون هي أداة توحيد وجمع ما انفصل ، وبناء الوفاق من جديد بين جماعات لا مستقبل لأي واحدة منها في غربة عن الأخرى أو انفصال أو تقسيم.

رابعًا : اعادة بناء المناطق ، ذلك ان استعادة الأرض ، وترسيخ الأمن يفسحان المجال للدولة للانطلاق في ورشة اعادة بناء ما تهدّم وتأمين الخدمات الانمائية ، من اجتماعية وإسكانية وصحية وتربوية.

أيها اللبنانيون ؛

لقد قيل لكم ان شبح التقسيم والتقاسم يخيّم فوق لبنان. والحقيقة ان لبنان يعيش الآن مقسمًا على نفسه ، تتقاسمه قوى غريبة عن ذاته ومصالحه وتراثه. وها قد حان الوقت ، ونحن نقارب ساعة بدء التحرير ، لأن نعمل معًا من داخل الحكم وخارجه ، وأيًّا كانت مواقعنا والعقائد ، على توحيد لبنان من جديد ، بل على بناء لبنان جديد ، يكون للبنانيين ، وللبنانيين وحدهم ، لجميع اللبنانيين من دون تفرقة ولا هيمنة ولا تسلّط.

فلا تمييز عند الدولة بين مواطن ومواطن ، بين حزبي وغير حزبي ، بين مواطن من هذه المنطقة ومواطن من تلك المنطقة ، من هذه الطائفة أو تلك ، ولا فضل للبناني على آخر ، إلا بقدر التزامه مصلحة لبنان الواحد الموحّد ، وبقدر استعداده للعمل في سبيل مصلحة لبنان الوطن ، لبنان المستقل ، المتضامن مع محيطه العربي ، المقدِّس لقيم الديمقراطية والحرية والمساواة.

هذا ما عاهدتكم عليه منذ تولّيت الرئاسة ، وهذا ما أدعوكم اليوم على الأخصّ إلى المشاركة فيه ، لأنكم أنتم الدولة ، والدولة أنتم. فمن عنده شيء يقوله فليقله للدولة ، لا لسواها ، أي للبنان وللبنانيين. ومن يطلب شيئًا فليطلبه من الدولة ، لا من سواها ، أي من لبنان وسائر اللبنانيين.

وحدها الدولة تفاوض سائر الدول ، غريبة كانت أم قريبة ، ووحدها تقرّر ، ووحدها تُلزم وتلتزم ، لأنها وحدها تمثلكم جميعًا ، تمثل إرادتكم الواحدة الموحّدة ، وتمثل تصميمكم على العيش معًا.

أيها اللبنانيون ؛

هذا هو الهدف الذي توخّيناه من الخطة الأمنية – الوفاقية التي أقرّتها الحكومة. وها نحن قد قطعنا شوطًا بعيدًا في التحضير لها ، وتبقى علينا أشواط. لقد سبق لي أن توجهت في مجلس الوزراء السابق إلى القيادات ، داعيًا إلى التشاور معًا في قصر الرئاسة بالذات ، بغية مباشرة عمل وطني مشترك لتحرير لبنان واعادة بنائه ، ذلك ان الرئاسة ليست لي بل لكم ، لكل واحد

منكم ، وطموحي أن يشاركني الجميع بروح ديمقراطية حقيقية في البحث المنفتح في كل شيء ، ثم في القرار الوطني المصيري الذي ينتظرنا جميعًا لنتحمل معًا ، وليتحمل كل منا قسطه من المسؤولية الوطنية أمام التاريخ . ولا حدود عندي للحوار سوى تعهدي الدستوري للمحافظة على الوطن وحمَاية الشعب اللبناني وانقاذه من كوابيس الخوف والموت والدمار.

ولا أشكّ لحظة في ان ثمة قاعدة للإجمَاع اللبنـاني حول المبادئ الآتية المستمدة من تراث اللبنانيين وطموحاتهم ، والتي أدعو إلى السير على هديها في مواجهة الأحداث المتربصة بنا :

أولاً : تحرير الوطن والأرض من كل الجيوش غير اللبنانية ، ليظل لبنان سيّدًا مستقلاً عن الجميع . من هنا ان الاتفاقات المعقودة ، أو تلك التي يمكن أن تعقد ، ليست ولن تكون أبدًا غاية في حدّ ذاتها ، بل مجرد وسيلة للتحرير.

ثانيًا : ان المؤسسات الدستورية هي وحدها الإطار الصالح لتوافق اللبنانيين ولانماء حياتهم المشتركة وبلورة تطلعاتهم ، لأنها تجسّد تقاليدنا السياسية العريقة المبنية على التسامح والتشاور والتفاهم ، وتضمن سلامة النظام الديمقراطي الذي من دونه لا بقاء للبنان . من هنا ان النظر في الهيكليات التي سيبنى عليها لبنان المستقبل ، سياسيًّا واجتمَاعيًّا واقتصاديًّا (وهو موضوع مطروح منذ سنوات) يجب أن يتم في سرعة ، انما بالطريقة السلمية ، بل النظامية التي تتيح لتطلعاتنا جميعًا مجال التعبير عن نفسها بحرية ، وبإرادة لبنانية موحّدة . وشرط الحرية هنا أن تمَارس في مناخ لبناني صافٍ ، يؤمّن الصفاء في الموقف والقرار. وما لم نتصرف هكذا ، فلن نصلح لبنان حقًّا ، وقد لا يبقى لبنان لنا ، ولنا جميعًا ، ولنا وحدنا .

ثالثًا : الجيش اللبناني ذخيرة من ابنائكم ، انه منكم ولكم . ومؤتمن على وجودكم ومستقبل وطنكم . انه عنوان الوحدة والسيادة . ليس جيشنا جيشًا لمحاربة اللبنانيين ، أي لبنانيين ، بل للمحاربة باسمهم ومن أجل وحدتهم واستقلالهم . فـالأمن لكم والجيش يصونه . والوفاق منكم ، والجيش يحميه في وجه الذين يحرمونكم من الإقبال عليه .

أيها اللبنانيون ؛

انطلاقًا من هذه المبادئ ، أسألكم : من منكم يختلف مع الدولة ، اذا هي عمدت غدًا أو بعده ، في الجبل أو في غيره من الأراضي اللبنانية ، إلى إلغاء المظاهر المسلّحة ، لأي فريق كانت ، وبسط سيادة الـدولـة والقـانـون ونشر روح المساواة والطمأنينة ؟

من منكم يفضّل بقاء قوات خاصة على انتشار الجيش اللبناني؟ ذلك ان مهمة الجيش ورسالته هي حمَاية كل واحد منكم من دون تمييز ولا محاباة ، وتأمين عودة الجميع الى العيش المشترك ، بحيث تقوم العدالة وتعم المساواة في الحقوق كما في الواجبات ، فضلاً عن توفير ظروف الانماء الذي يحتاج إليه الجبل ، ليحيا وينتعش ويعود إلى زهوه الطبيعي ودوره المنتج الخلّاق .

أيها اللبنانيون ؛

الجيش هو جيشكم . ولا جيش لكم سواه ، فلا يعقل أن يشهر أحد في وجهه سلاحًا لبنانيًّا ، ولا هو يشهر سلاحه في وجه اللبنانيين ، بل معهم وللدفاع عن أرضهم لا لاحتلالها .

وأملي وطيد ، وثقتي كلية بأن الجيش الذي هذا هو شعاره سيدخل الشوف في وقت قريب مع الشعب ، تواكبه القلوب وتطمئن إليه النفوس ، لأنه هو البديل الوحيد من جيوش الاحتلال وعساكر التفرقة والاقتتال . هو وحده يزيل الحدود المصطنعة بين اللبنانيين ، لأنه مدعو معهم إلى الدفاع عن حدود الوطن الواحد التي لن نسمح بانتهاك حرمتها ، ولن يسمح اللبنانيون ، كل اللبنانيين ، باقامة حدود بديلة منها ، تمزق الوطن أوطانًا ، والدولة دويلات .

أيها اللبنانيون ؛

أنا أعرف وأنتم تعرفون ان الخروج بلبنان من سنوات الحرب الثمَاني ، ليس بالعمل الذي يمكن أن يتم وكأنه من صنع السحر . لذلك فلنعترف معًا بأنه لا تزال هناك ممَارسات غير شرعية ، بل غير مشروعة تشهد على نفسها . كما لا تزال هناك ثغرات أمنية في المنطقة الخاضعة لسلطة الدولة ، أي بيروت الكبرى . فأما الممَارسات فانها تعيد إلى الأذهان صورة السنوات الماضية وتدّعي حق الاستمرار من منطقها الذي زال . وإذا كانت هذه الممَارسات قد بدأت هفوات بحجم فاعليها ، فانها إذا استمرت تصبح اخطاء بحجم الوطن ، يجب تداركها قبل أن تهدد مصير الوطن والدولة .

من هنا ضرورة استعجال العمل من أجل امتداد السيادة الوطنية إلى جميع المناطق المحيطة ببيروت ، بدءًا بالجبل ، فتزول هذه الممارسات ويجري سدّ الثغرات . وكما ان بيروت الكبرى المحررة كانت نقطة انطلاق صوب تحرير الجبل ، كذلك الجبل المحرّر سيدعم حرية بيروت واستقرار الأمن فيها ، وزوال كل ما كان – وربّمَا لا يزال – يشوب اطمئنانها .

خطوتنا هذه في الجبل يجب أن تكون حافزًا في عملنا المستمر ، في سبيل تحرير كل شبر من أرض الوطن . ومن أجل ذلك ، فان اللبنانيين جميعًا مدعوون إلى المشاركة في

مسيرة تحرير أرضنا المقدّسة ، ليعود لبنان واحدًا موحّدًا سيّدًا مستقلًّا .

إن ما نسعى إليه من تحرير الوطن وإعادته إلى عافيته والى رسالته ، يتعطل كله وتذهب كل جهودنا أدراج الرياح ، إذا لم تتكرس وتتأكّد وحدتنا الوطنية اللبنانية ، واذا لم يرتفع صرح جبهة داخلية منيعة ضمن النظام اللبناني ، في إطار الديمقراطية والمؤسسات الدستورية .

هذا ما أدعو إليه المواطنين ، واحدًا واحدًا ، حتى يعتبر كل منكم نفسه مؤتمنًا معي على الأرض وعلى المؤسسات أيضًا .

وأما قياداتكم ، فلا أشك لحظة في انها ستكون في مستوى مسؤولياتها المصيرية . وهي مدعوة إلى القيام تلقائيًّا بالأدوار البطولية التي تنتظرها ، لانقاذ الوطن قبل فوات الأوان . والبطولة لم تكن يومًا طريقًا هينًا ، انمَا تقتضي قبل كل شيء التضحية بمَا قد يبدو في المدى القصير براقًا وهّاجًا من أجل هذا الذي على مراراته ، أحيانًا ، يبقى للوطن ويدوم للشعب .

أيها اللبنانيون ؛

ان ثمة استحقاقًا كبيرًا ينتظرنا ، وهو إعادة بناء لبنان . فليكن كل واحد منكم في مستوى هذا الاستحقاق ، ومستوى المسؤولية التاريخية لنستحق لبنان معًا ، ونستعيده معًا غير مسترهن ولا سائب ولا مفكّك الأوصال ومبعثر القوى .

فالخطر المطل علينا جسيم ، والجهد المطلوب منّا كبير ، والوقت المتاح لنا ضيّق . وما لم نبادر الآن ، ويدًا بيد ، إلى استباق الزمن ومواجهة المصاعب صفًّا واحدًا ، لزاحَمنا الغريب على أرضنا يستغلها لذاته أو يستوطنها ، ولوجد المواطن نفسه رازحًا تحت مذلّة الاحتلال ووطأة الاستيعاب .

أيها اللبنانيون ؛

أدعوكم إلى التصدّي معي للتحدّيات التي تواجهنا ، لأننا معًا ننتصر . كونوا جميعًا للبنان ، كونوا مع لبنان ، يكن لكم . فمتى كنتم أنتم للبنان كان لبنان لكم .

عشتم ، وعاش لبنان ! »

لبنان على المفترق، واللبنانيّون مسؤولون عن الإنقاذ

مؤتمر الحوار الوطني،
جنيف ٣١ تشرين الأول ١٩٨٣

«يسعدني أن ألتقيكم هذا اليوم وفي هذا البلد الصديق المضياف الذي كنّا حتى الماضي القريب نجسّد الكثير من نموذجه في الشرق، والذي يستحق منّا، بشخص رئيس اتحاده وحكومته وشعبه، الآن وفي المستقبل، بالغ الشكر والتقدير.

ويطيب لي، وأنا أرحّب بكم، أن أشكر وأحيي الدول الشقيقة والصديقة والجهات والشخصيات التي عملت وساعدت على اتمام هذا اللقاء التاريخي. انني انوّه من القلب بمَا أبداه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية، من جهد وحدب نحو لبنان ومؤتمرنا بالذات. كما أخصّ بالشكر ما بذله سيادة الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، من أجل تهيئة هذا اللقاء، وتنقية اجوائه. ولا أنسى عاطفة سائر الدول العربية الشقيقة ودعمها، كما لا يفوتني أن أحيي الدول الصديقة والغربية منها، ولا سيّمَا تلك التي احتضنت قضية وطننا، وضحّت في سبيلها براحتها وجهودها ودماء جنودها، وأخصّ بالذكر تلك المشتركة في القوة المتعددة الجنسيات لحفظ الأمن في لبنان. فلهم منا جميعًا، أشقاء وأصدقاء، ملوكًا ورؤساء، ممثلين ومساعدين، دائم الامتنان.

أيها السادة،

لقد ناديتكم، فلبيتم النداء، فعسى

نلبّي جميعًا نداء لبنان. أتينا إلى هنا سعيًا وراء إنقاذ لبنان وتوحيد شعبه واستعادة سيادته وتعزيز الإخاء في ما بين اللبنانيين، وبين اللبنانيين واخوانهم العرب، على أسس من العدل والكرامة. ومن أجل هذه الأهداف النبيلة نطرق كل أبواب الدنيا، ونقدم أغلى التضحيات ولا نوفّر في سبيل ذلك إلا ما يحرّمه الله ويرفضه الضمير ويأباه الإباء.

ان وطننا يحتضر، انه يئنّ تحت هول الأنقاض، ووطأة الأحقاد. انه يطالبنا بأن ننفض عن وجهه غبار الموت والدمار ونجلو عن شعبه ستار ليل لا ينتهي من الظلم والظلام.

أيها السادة، أيها الاعزاء، يا أبناء لبنان؛

لقد طال ليل لبنان، وتواصلت فيه المحنة والمؤامرة، تنقلت بين كل المناطق، ضربت سائر الطوائف، أصابت مختلف العائلات والتيارات، توزعت جميعها علينا، علينا جميعًا، تضحيات وضحايا، فأصابت منّا أقل ما أصابت الأحجار وجنى الأعمَار، وسلبت من وطننا مسحة السعادة وخطفت من كل منا أخًا، ولدًا، حبيبًا أو قريبًا أو رفيقًا أو صديقًا. تساوينا في الجور والقهر والتهجير والفقر، فعسى أن نتساوى مستقبلاً في العدل والأمن والراحة واليسر.

لقد وقعت مظالم من كل اتجاه وفي كل اتجاه. ومن المؤلم والغريب أن تكون محنة وطننا قد شهدت في العديد من مراحلها صراع الحق مع الحق، الكرامة مع الكرامة، والايمان مع الايمان، والأكثر إيلامًا أن يكون المناضلون الشجعان والمؤمنون والأبرياء والأحرار الشرفاء من اخوتنا وأبنائنا قد تواجهوا وتقاتلوا وسقطوا واستشهدوا في هذه المحنة – الملحمة على كل الجبهات، ومن سائر الطوائف، وتحت مختلف القضايا.

واذا كنّا لا نحصر أسباب ما وقع لنا من كوارث في ما حيك ويحاك ضدّنا من خطط من الخارج فإننا، في الوقت عينه، لسنا من السذاجة بحيث نعتبر ان الصراع على أمورنا أو بعضها الداخلية، يمكن أن يفسّر أو يبرر وحده مأساة لبنان.

أيها الأعزاء، أيها القادة؛

كلنا مغلوبون، والغالب الوحيد هو المؤامرة المحنة. كلنا شركاء في ما حصل لنا، ومن كان منّا بدون خطأ أو خطيئة، فليرمِ الآخرين أو يتّهمهم. ليس فينا من تقتصر عليه وحده الأخطاء والخطايا، ولا فينا من يحتكر وحده الحق والحقيقة.

وحدهم الذين لم يعملوا أو يناضلوا هم الذين لم يخطئوا. ووحدهم لم يقعوا في التجربة أولئك الذين اكتفوا بأن يحمّلوا الناس أحمَالاً ثقيلة من المواعظ والقضايا من دون ان يمسّوها بإحدى أصابعهم.

أيها السادة ؛

على رجاء قيامة لبنان نلتقي نحن اليوم ، ومن أجل انقاذه يلتئم مؤتمرنا. صحيح ان لبنان أصيب في أمواله وعياله وفي بشره وحجره ، لكن الروح فيه ظلّت أمنع من الإصابة وأبقى من الموت. وبهذا المعنى ان لبنان لم يذهب ليعود ، انه باقٍ ، خالد ، حيٌّ فينا ، في وحدة المؤسسات الدستورية وفي طليعتها المجلس النيابي ، رئيسًا وأعضاء ، وقد حفظوا الأمانة وصانوا الديمقراطية ، وفي وحدة الحكم رئيسًا وحكومة ، وقد واجهوا الضغوط وانتصروا على التحديات ، وبالطبع في وحدة الشعب ، الشعب البطل ، وقد ظل أكبر من المؤامرة وأعتى من المحنة.

وصحيح ان محنة وطننا عظيمة ، والمؤامرة عليه ضخمة ، لكن تصميمنا على المواجهة هو أعظم ، وعزمنا على الانقاذ أقوى ، وعلى يد أهل العزم والعزائم تصغر المصائب والعظائم.

أيها الأحبّاء ؛

كلنا ، نعم ، كلنا مسؤولون عن هذا الانقاذ ومعنيون به ، كلنا مطالبون بالاستجابة لآمال اللبنانيين في التوحيد والأمن والسيادة.

ليس لي في لبنان أكثر ممّا لكم. لا في ماضيه ولا في حاضره وليس في المستقبل.

كذلك الأمر ، لست أدّعي أني مثّلت أو امثل فيه أكثر مما تمثّلون. ولا أزعم انني عملت أو ضحّيت أو خاطرتُ من أجله أكثر ممّا عملتم أو ضحّيتم أو خاطرتم.

ولن أُحاسَب أو أُسأل عن مصيره وتحريره أمام الله والوطن والأجيال ، أكثر ممّا يحاسَب أو يُسأل أي منكم.

لقد شاءت الأقدار بل شاءت مشيئة الشعب اللبناني ، المعبّر عنها في صوت مؤسسته الأم ، ان أنتدَب إلى سدة الرئاسة ، لكن ذلك لا يزيدني عنكم مسؤولية بل عبئًا ، ولا تضحية بل صلاحية.

أيها السادة ؛

في رأيي أن أكثر ما سيبقى لنا ، أو أكثر ما يجب أن يبقى لنا من هذا الليل الطويل بعض العِبَر والحقائق التي يُفترض أن تظل كالمنارات المضيئة ، الهادية لنا على طريق المستقبل.

أيها الأعزاء ؛

لا ديمومَة للبنان إلا في ولاء اللبنانيين المطلق للبنان ؛ لا وحدة للبنان إلا إذا حمتها دولة قوية قادرة. ولا دولةَ قوية قادرة ما لم تتأسس مقوّماتها ومؤسساتها على الانصاف ، وتنبع قوتها وسلطانها من رضى الناس.

لا يجوز أن تتقدم حقوق الطوائف ، على رغم إلحاحها وحاجاتها ووجاهتها ، على حقوق الانسان والوطن في لبنان. ان حقوق

الطوائف وحدودها تنتهي عند حقوق الانسان وحدود الوطن.

ليس الحرمان وقفًا على طائفة أو منطقة، ولا مسؤولية عهد أو رئيس أو زعيم أو فئة أو حزب أو طائفة من دون سائر العهود والرؤساء والزعماء والفئـــات والأحزاب والطوائف. انها مشاكل تراكمت وتفاقمت منذ قيام الدولة لتنتهي إلينا وإلى زمننا، وواجب علاجها وحلّها ليس محصورًا في فرد أو عهد مهمًا علا شأنه أو ارتقت مرتبته. انه محصلـة تشابك سواعـد الخير والسلام وإرادات التقدم والعدل.

لا يمكن أن نقبل أن ينفرد لبنان أو ينفصل في قضايا السلم والمصير عن محيطه واخوانه في الخارج. كذلك، وبالقدر نفسه، لا يمكن أن نقبل أن ينفرد أو ينفصل شخص أو فريق أو حزب أو منطقة أو طائفة في تقرير صيغة لبنان ومصيره في الداخل.

وبقدر ما نرفض أن تُلقى علينا صراعات الآخرين وأثقالهم، يجب أن نرفض أن نظل نلقي على أشقائنا وعلى العالم أثقال صراعاتنا وقضايانا.

إذا ظلّ لبنان يحترق فلن يقتصر الحريق عليه أو ينحصر فيه، ولن يبقى لنا منه ومن حوله ما نوحّده أو نمزّقه، أو نقسّمه أو نتقاسمه.

واذا لم يُطفأ الآن وقبل فوات الأوان الحريق اللبناني، فالله وحده يعلم ما سيبلغ من مدى ويرتب من مخاطر، في المنطقة وفي العالم.

أيها الأعزاء، أيها القادة؛

ان مؤتمرنا مناسبة قد لا تتكرر للخروج بلبنان والمنطقة والعالم من هذا المأزق الخطر والنفق المظلم.

انه فرصة تلوح في الأفق وقد لا تعوّض ولا تعود. فلنبادر إلى هذه الفرصة قبل أن تصبح غصة في نفوسنا وسرابًا في حياتنا وذكرى في تاريخ وطننا.

هـذه هي رسالتي إليكم، أضعها أمامكم مع ما عندكم من ثوابت وأسس ومسلّمَات ووثائق انقاذ، علها تلقي الضوء على الدرب، وتفتح النافذة على الخلاص.

سدّد الله خطانا ووفّق سعينا ووحّد شملنا وألهمنا طريق الحق وسبيل إنقاذ لبنان.

عشتم وعاش لبنان!»

الاستقلال: توقٌ إلى الحرّية المفقودة وأمل السيادة المستعادة

عيد الاستقلال،
٢١ تشرين الثاني ١٩٨٣

«أيها اللبنانيون،

مناسبة عيد الاستقلال، وفي لبنان احتلال، هي الحافز الأكبر لانتفاضة وطنية وجدانية، يتوسلها الشعب على منعطف المصير، وحدة موقف وخطى في موكب التحرر والتحرير.

واذا كانت طريق الاستقلال يجب أن تغسلها الدماء، فان كل طريق عندنا ومسلك، وكل ربوة وجبل وسفح، دروب روّاها الدم الزكي، فريضة ميمونة لاستقلال يؤخذ ولا يعطى.

وليس من المغالاة القول ان الثاني والعشرين من تشرين الثاني لم يعد، حصرًا، ولادة استقلالنا، بقدر ما أصبح كل يوم عندنا بمثابة يوم استقلالي وعيد شهادة في سبيل الحرية.

أيها اللبنانيون،

غيرنا من الدول ينال استقلاله مرة، ويدفع ثمنًا واحدًا وضريبة. ونحن يظل استقلالنا رهن الاستحقاق، وندفع في سبيله الضرائب الغالية، وهذا سرّ منعته وصموده.

وغيرنا من الدول يتملص مرة من الانتداب، ونحن نظل معرّضين. وهذا سر تعلّقنا بالحرية واصرارنا على البقاء.

ولولا ذلك السر، لما بقي لبنان صامدًا راسخ الجذور، في وجه أخطر عاصفة مرت

على وطن وشعب. ولما استقوى لبنان على ارهب محنة، لو ضربت أي وطن آخر لانتهى.

وغيرنا من الدول يقيم المهرجانات ومعالم الابتهاج، احتفالاً بعيد استقلاله، ونحن اليوم تشدّنا المناسبة إلى ألوف المفجوعين بأعزّاء، والى ألوف اللاجئين في أرضهم، والى ألوف المهجّرين بلا مأوى، والى ألوف المحتاجين والمتألمين والخائفين على المستقبل والمصير. ولا نتحمّل معهم ثقل الارزاء وغبن الارزاق فحسب، بل يتحمل كل في نطاقه – والحكم في الطليعة – مسؤولية نحوهم، تتصدّر المسؤوليات الوطنية الكبرى.

وحسبهم انهم يضحّون بالسخي الأغلى في سبيل لبنان الحرّ المستقل المستقر، لتكون التضحية النفيسة ترضية للنفوس وللجروح العميقة خير بلسم.

وعهدنا لهم، وللبنانيين أجمعين، ألّا نضنّ بطاقة ولا ندّخر الوسع، لاستكمال مسيرة التحرير، مدينة مدينة، وقرية قرية، حتى آخر شبر وذرّة تراب. ولن نتوقّف، أيًّا كانت التضحيات وأيًّا كانت الصعاب، بل لعلّ التباشير أخذت تلوح بدنوّ الفرج والانفراج.

يعزّز ثقتنا والأمل:

وعي اللبنانيين ويقظة الحس الوطني والتعالي فوق الاعتبارات وفردية الذات، حرصًا على الذات الكلية المعرّضة للضياع.

ووحدة الجيش وثباته وتماسكه، بما يعكس وحدة الشعب وتماسكه وصموده.

ويعزّز ثقتنا التطورات الايجابية المشجعة، على صعيد الاشقاء والاصدقاء.

أيها اللبنانيون؛

لن أعود بكم اليوم إلى أسباب محنة تفجرت عندنا منذ تسع سنين، ولا الى التذكير بعواملها وتفاعلاتها المستمرّة والذكريات، وأظنكم عايشتموها مرحلة مرحلة وحدثًا بعد حدث.

ولن استرسل في الكلام على الرغبة الاقليمية المتنافسة حول اقامة توازنات استراتيجية على ارضنا، ولا على الصراع الدولي الكبير الذي يتجاذبنا ضمن لعبة المصالح والنفوذ.

ولن اتوقف طويلاً حيال انعكاسات التصادم الخارجي على أرض الجنوب والشمال والبقاع، فاذا النتائج المرة ترتدّ دائمًا على الشعب اللبناني، قتلاً وتدميرًا وتهجيرًا.

حسبي أن أحصر النتائج كلها والافرازات كلها والمضاعفات، بالموضوع الواحد الأم، وهو احتلال الأرض، وانحسار ظل الدولة وقواها الأمنية، فعاث من عاث في الأرض فسادًا، وفي الناس إفسادًا.

ولا حلّ يرجى ولا علاج الا بتحقيق مسيرة الانقاذ التي تتبلور بثلاثة أهداف مباشرة.

أولها الأهم، وهو دفع الإرادة الوطنية نحو أفضلية انهاء الاحتلال؛ بما لا يحتاج الى اجماع وطني أو حوار.

وثانيها المهم، هو العمل مع الدول الكبرى الصديقة، ولا سيّمَا الولايات المتحدة الأميركية، لتأمين الانسحاب الاسرائيلي الكامل.

وثالثها المفترض، هو التفاهم مع الجمهورية العربية السورية، لبرمجة سحب قواتها من لبنان.

ولا بدّ من التوقف بارتياح حيال النتائج الايجابية التي حققها مؤتمر جنيف حتى الآن، بالنسبة الى هذه الاهداف الثلاثة بالذات، لنستمرّ في استكمال أي سعي وخطوة على صعيد القوى الشقيقة والصديقة، كما على صعيد القوى اللبنانية كافة، ومع كل الشعب وقياداته وممثليه.

أيها اللبنانيون؛

اعرف وتعرفون ان الاستقلال لا يتحقق على يد فئة من دون الاخرى، أو فريق من دون فريق أو جماعة واحدة، أو حكم في معزل عن شعب.

انه الانجاز الاستحقاق الذي يجسّد ارادة جامعة صلبة لأي أمة من الأمم. وأي دولة عالية العظمة والشأن، يظل استقلالها رهن ارادة الشعب التي تشكل هي السياج للحدود قبل الجيوش.

وإذ أرى في مؤتمر جنيف تجسيدًا واضحًا لهذه الإرادة، ومنطلق محطة مصيرية لاسترجاع الاستقلال، تشبه إلى حد بعيد ولادة الاربعينات، سيذكر التاريخ بالخير رجالاتنا الذين عاصروا الفترتين، وعملوا في سبيل الاستقلال مرتين.

كما يذكر الأجيال البررة الذين جسّدوا حلم آبائهم والاجداد، بملحمة طويلة من الاستشهاد، هي عنوان الاستقلال المنيع، ومفخرة لوطن عظيم، لبنان، ما خاض معركة مع القدر الا انتصر. عاش لبنان!»

الوفاق والإصلاح : شرط البقاء وحتمية التطوّر

استقبال السلك الديبلوماسي ، بعبدا ٦ كانون الثاني ١٩٨٤

«صاحب السيادة ،

أشكر لكم هذه العاطفة التي لمستها في كلمتكم باسم السلك الديبلوماسي المعتمد عندنا. وانني أبادلكم هذه العاطفة ، خصوصًا وقد شدّتنا إلى بعضنا البعض المأساة اللبنانية التي عشناها سويًّا في هذه الأيام العصيبة من تاريخ نضالنا الوطني.

أيها السادة ، يسرني أن ألتقيكم اليوم مع بداية عام جديد حرصنا على أن نستقبله بعمل يكون مدخلاً إلى الانفراج الشامل ومبعثًا لتحقيق الأمل الكامل.

وها أنتم تشهدون مع اللبنانيين الجهود المكثفة التي نبذلها من أجل انتشار السلطة الشرعية من جيش وقوى أمن داخلي في بعض المناطق الخالية من القوى الخارجية والتي يتعرض فيها أمن المواطن للخطر يوميًّا ، خطوة أولى في مجال استعادة السلطة الكاملة على الأرض باستعادة كل الأرض.

ستكون هذه المناطق في عهدة الشرعية لتنهض بمسؤولياتها في خدمة المواطنين وتسهر على أمنهم والسلامة العامة وعلى تنشيط الشؤون المدنية والخدمات ، فتعود إلى الشعب المتلهف إلى الطمأنينة حياته الطبيعية في حمى القانون.

وفي موازاة هذه التدابير لا بدّ من الانصراف إلى الشؤون الاصلاحية في الحقول المختلفة ، وقد عطلتها الأوضاع

الأمنية المضطربة في ظل الوجود الغريب مثلما أدّت إلى تعقيد الأمور في وجه اللبنانيين وسدّ منافذ الوصول إلى الحلول.

والغني عن البيان هو أن اللبنانيين جميعًا يشدّهم توق ملحّ إلى الخلاص والانقاذ، ولن يحول حائل دون وفاقهم الوطني إذا رفعت الأيدي الدخيلة عن شؤونهم الداخلية. وقد أكّد مؤتمر جنيف هذه الإرادة حين لا تعترضها المعطلات.

من هنا ننظر إلى الوفاق الوطني مبدأً حتميًّا لاستمرار لبنان الوطن، بحكم ارتكازه إلى قاعدة أساسية هي قاعدة التعايش بين الجماعات والطوائف والفئات في معزل، بالطبع، عن أي تمايز طائفي من أي جهة أتى وفي أي شكل كان.

ومن حق كل طائفة أن تتمتع بالضمانات التي يؤكّدها الدستور: «حرية الاعتقاد مطلقة. والدولة، بتأديتها فروض الاجلال لله تعالى، تحترم كل الأديان وتكفل حرية الشعائر الدينية تحت حمايتها، على ألّا يكون في ذلك إخلال بالنظام العام».

بتعبير آخر، ان هذه الضمانات تؤمّنها الدولة بالطرق المؤسسية والقانونية، ولا تتأمن بوسائل الحمايات والمداخلات الغريبة عنّا، بل هي عطاء تلقائي محض، يتفاعل بين الطوائف والدولة ليكون عطاءً للبنان.

ان تلاحم الطوائف والفئات والجماعات في البوتقة الوطنية الجامعة، من شأنه أن ينتقل بصيغة التعايش من التجاور إلى التكامل، لتحقيق الذات الوطنية الواحدة المنصهرة في وطن نهائي، منيع الاستقرار، دائم الاستمرار على مدى الأجيال اللاحقة.

لأنه ليس من حقنا، ولا من حق أي طائفة أو جماعة أو فئة، أن تورث الجيل الطالع هواجس القلق ورواسب السنين التسع.

ولا بدّ أيضًا من تنظيم السلطات وتدعيمها، وفق نظامنا الديمقراطي ومن ضمن مبدإ وحدة السلطة وتكاملها، ممّا يؤمّن لها المناعة لصيانة الوطن والقوة لتنفيذ القوانين والفعالية لخدمة المواطنين، إلى جانب تعزيز الإدارات في المناطق بتبسيط الشؤون الإدارية وتسريع المشاريع الانمائية ودفع الوضع الاقتصادي الذي يتمتع، خلافًا للاعتقاد، بايجابيات كثيرة تساعده على الانطلاق من جديد بقوة كبيرة.

ان نظام لبنان الديمقراطي ليس نظامًا متحجرًا ينغلق على سنّة النمو والإصلاحات الملائمة لواقعه، وحتمية ضروراته، بل هو قائم ويقوم على نوع من الإجماع الديمقراطي المميّز. وعلى هذا الأساس تكون الشؤون المصيرية والأساسية نابعة من الإرادة العامة، ويكون أيضًا أي اصلاح أو تغيير تجسيدًا لهذه الإرادة.

أيها السادة ؛

ان مشاكل لبنان وهمومه بدأت همومًا له وعبئًا عليه ، فأصبحت من هموم العالم ومشاكله . ومثلما نحن مصممون على انقاذ لبنان وتحريره ، نعتبر ذلك تحريرًا ايضًا لأي شقيق وصديق من همومنا والأعباء ، وان كنا لن نحرر أنفسنا من عرفان الجميل حيال كل من مدّ لنا يد العون ومن الوفاء لكل قطرة دم سُكبت في سبيلنا وعلى أرضنا ، بل في سبيل المعاني الحقّ التي يجسّدها لبنان وتجسّدها حرية الشعوب .

من هنا ان جنود القوة المتعددة الجنسيات الذين سقطوا في ساحة لبنان استشهدوا في خدمة قِيَم ومعانٍ ومبادئ تستأهل أن يموت من أجلها الانسان ليعيش .

أيها السادة ؛ لقد كان لبنان يوزع الأضواء قبل أن يجتذبها ، يثير الإعجاب قبل أن يستقطب العطف . كان درة تسطع نورًا ومعرفة وحضارة على جبين هذا الشرق وكوكبًا يشعّ حرية ورفاهية ومحبة قبل أن تحوّله الحروب والأطماع بركانًا تنطلق منه وفيه ، وفي كل اتجاه ، حمَم النار والدمار والفواجع والمحن .

اننا ، شعبًا وقيادات ومسؤولين ، مصممون على المضي بعناد في مسيرة انقاذ هذا الوطن ، ولن تحدّ من عزيمتنا المصاعب . ولن تعرقلنا المخاطر عن بلوغ الهدف المنشود .

وان لبنان ، الذي صارع الأهوال والفواجع منذ تسع سنوات ، لم يستمر صامدًا منيعًا نابضًا بالحياة لو لم تكن مقومات وجوده عميقة الجذور ثابتة الأركان وطيدة الكيان . ان هذا اللبنان ما كان إلا ليستمرّ وما وُجد إلا ليبقى .

عشتم وعاش لبنان ! »

الإصلاح في الحوار، والحوار ضمن المؤسّسات

رسالة الى اللبنانيين عبر التلفزيون ،
٥ شباط ١٩٨٤

«أيها المواطنون ؛

استهل رسالتي اليكم بتحية إكبار وتقدير لصمود هذا الشعب العظيم في وجه الحِمَم والمحن ،

متمردًا بعناد على المأساة ،

صابرًا بعزم على الضيم ،

متمسكًا بأرضه وحقه وسيادته ، مستهينًا بالتضحيات ، تبذل على مدى تسع سنوات ، من أجل انقاذ لبنان ، واستحقاق لبنان لنستحق معه الحياة.

أيها المواطنون ؛

لم يعد سرًّا القول أن الحالة المتشنجة التي شهدها لبنان خلال الأشهر المنصرمة ، ولا يزال ، ليست أسبابًا آنية ، بل هي نتائج ومضاعفات مستمرة لأسباب بدأت في نيسان ١٩٧٥.

وهي استكمَال لأبعاد المؤامرة التي استهدفت لبنان لتنطلق منه الى بعض دول المنطقة.

ولأن المؤامرة خارجية المصدر ، رحنا نطوّق جذورها ونضيّق تفاعلاتها بعمل دولي حثيث ، واتصالات مكثفة اثمرت عن دعم عملي ومباشر لاستقلال الوطن وأرضه وسيادته وشرعيته وأمنه ، فكانت القوى المتعددة الجنسيات ظاهرة فذة تجسد تضامنًا دوليًّا حول لبنان في تأكيد حقه ومسيرة انقاذه ، ولكن الأيدي العابثة لم ترتدع عن خلق أجواء التشنج لتعطيل بوادر الفرج

والانفراج بهدف تمرير الأغراض والأبعاد التي كانت وراء بداية الحرب ومنطلقاتها.

وكان استغلال لبعض الأوضاع المحلية التي تفاعلت مع الأوضاع الإقليمية والدولية بما يتعارض مع مصلحة لبنان وهدف تحريره واستعادة أرضه وبناء دولته وتوحيد شعبه.

بدأت محاولة التفجير بتحريك خارجي، وفي الضاحية بالذات، ومنها امتدت الى بيروت بشكل كاد يهدد بعودة خطوط التماس المعروفة وانقسام العاصمة الى شطرين وتأجيج النزاع الطائفي.

ولما لم تنجح المحاولة انتقلت الى الجبل، مع ما هُيّئ لها من فرص وما عززت به من مقومات الدعم.

ولقد سعينا جاهدين، قبل بدء الانسحاب الاسرائيلي، لإحلال الجيش اللبناني محلّ الاسرائيليين في الجبل، الا أن القوى المؤثرة عطلت هذا المسعى، متوسلة خلق أحداث ضاغطة على الحكم، بهدف التسليم بتنازلات هي عندنا من المحرَّمات، فكان الحكم والشعب مستهدفين، في عملية التنكيل والتهجير في الجبل وغير الجبل، التي اشترك فيها قتلة غرباء بالأسلوب الذي شهدته غير منطقة من لبنان على مدى سنوات الحرب، وذلك متعارضًا مع أبسط اصول الانسانية وشرعة حقوق الانسان والمواثيق الدولية التي ترعى حماية الأبرياء والمدنيين.

وعندما تدخلت الوساطة السعودية الكريمة من جانب، والوساطة الأميركية المشكورة من جانب آخر، كانت مشاريع الاتفاق على معالجة الوضع ووقف النار تصطدم دائمًا ببعض العبارات والحروف والكلمات.

حين كان شعبنا يموت كل يوم، ويقتل كل يوم، وبالعشرات، ويتشرد بالألوف والمئات، ويتعذب تحت القصف تائهًا بين الملاجئ والحقول، وبعد طول سعي وجهد تمكّنا من أن نجتمع في جنيف، فكانت الحقيقة الأبرز، في هذا الاجتماع، هي أن اللبنانيين، عندما يفسح أمامهم مجال الالتقاء، يظهر جليًّا أمام أعين كل الناس انهم متفقون وليس ما يفرق بينهم الا المداخلات الخارجية والمعطلات المصطنعة.

وفي أعقاب جنيف كان التنسيق اللبناني – السوري قائمًا إزاء كثير من الأمور، وقد حالت دون بلورتها والتفاهم حولها ظروف الرئيس الأسد الصحية، التي حتّمت تأجيل اللقاء الثنائي الذي حدّد لهذه الغاية.

وعلى الصعيد المحلي لم تنقطع، بعد مؤتمر جنيف، اتصالاتنا المستمرة من أجل مؤتمر الحوار الثاني، ولا سيّمَا مع القيادات المعارضة بالذات، وقمنا بمحاولات جدّية، متفهمين مطالبهم، معربين عن استعدادنا للتجاوب مع شتى الطروحات، ضمن

الإمكانات الدستورية ، إلا أن الشروط المتتالية حالت دون انعقاد المؤتمر الموعود. وكان موقفنا الدائم هو اللقاء والتفاهم ، وكل شيء قابل للبحث.

أما بالنسبة الى حكومة الاتحاد الوطني فقد تعرقلت بفعل الذرائع والاعذار وشروط الاعتذار. وكيف يمكن ، مع هذا ، ان نتفاهم حول المطالب ولا نجتمع ، وأن نتحاور حول الأمور المصيرية ولا نلتقي ، وان نتفق حيال الاصلاحات ونحن متباعدون؟

ولا أريد أن أسأل : هل من أجل هذه الاصلاحات يعمّ لبنان الخراب؟ ومن أجل مناصفة في عدد النواب تستفحل موجة الإرهاب؟ ومن أجل انماء المناطق وإحياء المؤسسات تـدمَّر المؤسسات والمنـاطق والعاصمة؟ ومن أجل إنشاء مجلس للشيوخ يقتل الأطفال والنساء والشيوخ؟

بل اسأل كيف يمكن التوفيق بين اتهام الحكم بالهيمنة ورفض الاشتراك في الحكم لرفع الهيمنة؟

وكيف يكون التنديد بالاحتلال من دون مواجهة الإحتلال؟

وكيف يكون التشكي دائمًا من المشكلة والتهرّب دائمًا من الحل؟

وعلى هذا النحو كانت المعاطاة مع الخطة الأمنية ، التي وضعت دونها الشروط دون الشروط ، بالرغم من أهميتها البالغة في ربط بيروت الكبرى بالجنوب ، وفسح المجال أمام الانسحاب الاسرائيلي من المناطق الجنوبية ، وتأمين تعبئة أي فراغ يحصل من جراء هذا الانسحاب.

وحرصًا على مصلحة وطن مهدَّد وشعب معرّض مددنا اليد الصادقة للجميع ، وقابلنا كل رفض بصبر ، وكل صدّ برحابة صدر ، حتى اذا ما عارضت قيادة من القيادات مسيرة الحكم ، لاعتبارات معينة ، وأخذت تصوّر المعارضة وكأنها خصام بين الحكم وطائفة من الطوائف.

أيها المواطنون ؛

مع خطوة بيروت الكبرى كانت الضاحية الجنوبية في فكري وفي خاطري ، على انها جزء مكمّل للعاصمة ، وامتداد طبيعي لها.

وحاولنا أن نجعل منها منطلقًا الى غيرها من المناطق ، من خلال الخدمات الانشائية والعمرانية والاجتماعية ، وجعلنا من عناصر الجيش فريقًا اشترك بورشة العمل لمساعدة المواطن على انماء منطقته ومحو آثار الدمار ودخان البارود.

وما كنا نخططه لإنمَاء الضاحية لحظناه للشوف وعاليه. وعندما تقرر ارسال الجيش للجبل قبل الانسحاب الاسرائيلي كانت مهمته الأساسية تنحصر في ضمان أمن المواطنين ، وتقديم العون لهم في شتى مجالات الخدمة العامة ، ليكون الجيش

الرابط الذي يجمع بين المتباعدين ويوحّد بين الصفوف ويؤلف بين النفوس ، ويغلّب المحبة في القلوب .

اني أمدّ يدي الى ابناء بيروت والضاحية والجبل والجنوب والبقاع والشمال على اختلاف طوائفهم ، مؤكّدًا ان قوات الشرعية والمؤسسات الشرعية لن تكون الا في خدمة المواطن وانماء المناطق وتعزيز الشأن العام .

وكل مواطن لبناني هو عندي في منزلة متساوية مع الآخر ، أيًّا كانت عقيدته ، وكان انتماؤه ومذهبه .

انما للوطن عليه حق الولاء .
وللدولة حق الانتمَاء .

وله عليها حق خدمته وتأمين سلامته وممارسته حريته ، وفق موجبات القانون .

هذا رهاني ولن أتراجع عنه . فلتتراجع إذن معطّلات الأمن ، ولتنكفئ مسيرة الفوضى والاضطراب والإرهاب ، لتنطلق مسيرة الإعمَار والإنمَاء .

من هنا التشديد الملحّ على ضبط الأمن ووقف النزف والانطلاق بالوفاق السياسي لإفساح المجال أمام عجلة الإصلاح بما يؤمّن العدالة للجميع والمساواة وتكافؤ الفرص في شتى المجالات دونمَا تفاوت بين أي منطقة ومنطقة ، وفئة وفئة .

ولا يمكن أي إصلاح أن يبلغ أهدافه تحت وطأة السلاح أو بقوة السلاح ، وانمَا من ضمن المؤسسات الدستورية التي تؤمّن وحدها ضمان الفرد والجماعة وحرية الفرد والجماعة ، وحقوق الطوائف والفئات . وبديهي أن النمو الذاتي لأي فئة أو طائفة لا يمكن أن يكتمل بالتقلص والانحسار على الذات ، بل بالتفاعل مع سائر الطوائف والفئات .

وبمقدار ما تتفاعل كل فئة مع سائر الفئات ، تؤمّن أكثر فأكثر مصالحها ، وتنمّي ذاتها من ضمن إطار التنمية الوطنية الشاملة والمطلقة .

أيها المواطنون ؛

طالما توخيت وأتوخى أن نلتقي مع القيادات دونمَا استثناء في خلوة مغلقة ، لا نفتح أبوابها ، مهمَا طال بها الوقت ، إلا لنبشّر المواطنين بقفل أبواب النفق المظلم الذي يضيّق عليهم الانفاس ومنافذ الأمل والحياة .

وكم تمنيت أن نجلس معًا لنعالج كلنا ، متحدين ، هموم لبنان ومشكلاته ومضاعفات الحرب وأثقالها الضاغطة ، ونتشاور معًا في تطلعات لبنان المستقبل ، وبناء مستقبل أفضل لجيل الحرب الذي عانى من المأساة ما كفاه .

وكنت أودّ أن أتقدم بطروحات اصلاحية خلال مؤتمر وطني تكون منطلقًا لوفاق وطني ، أو بعد الخطة الأمنية ، لأن

الأمن المضطرب لا ينتظر استكمال مراحل الدرس ، وان سلامة المواطن حاجة آنية ، تتقدم على التطلعات المستقبلية .

إلا أنه ، في غياب المؤتمر الوفاقي الموعود ، وبعد استمهال الخطة الأمنية أو تعطيلها ، لا بدّ من المبادرة إلى تقديم طروحات تكون أساسًا صالحًا للوفاق .

وعلى هذا الأساس ، وانطلاقًا من واقع لبنان السياسي والأمني ، أعلن ما يأتي :

أولاً : إني وضعت برنامجًا إصلاحيًّا للدرس والتشاور ، يتناول المعالجات الطائفية ، والاصلاحات على صعيد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والمجالين الإداري والأمني . وأظن أن الطروحات متوافقة مع وضع لبنان ، ومتلاقية مع أكثرية الإرادات الخيّرة ، ولا سيّمَا مع الوثيقة الدستورية .

وسأطرح هذا البرنامج كورقة عمل على مؤتمر الحوار عند انعقاده . وسأتشاور بشأنه مع الحكومة الجديدة عند تأليفها . وأقول هنا ، من موقع المسؤولية ، ان في المجال الاصلاحي ليس من مقدسات أو محرمات ، بل ان كل امر قابل للبحث ، وكل موضوع مطروح للدرس . وكل شأن خاضع في النتيجة لإرادة الشعب .

ثانيًا : أوجّه الدعوة الى المشتركين بالمؤتمر الوطني للاجتماع في دورة ثانية في جنيف يوم الاثنين في ٢٧ شباط ، ولا أشكك لحظة واحدة في أن التجاوب مع هذه الدعوة سيكون إجماعيًّا وفوريًّا ، ومن دون شروط مسبقة ، مؤكّدًا مرة أخرى أنني منفتح للبحث مع المعارضة في كل اصلاح ، والبحث في كل أمر . أمر واحد يظل في نظري مقدسًا ، لا مفاوضة حوله ولا مساومة ، وهو الحفاظ على وحدة الأرض والشعب والدولة وتحرير الوطن من أي وجود عسكري غير لبناني .

ثالثًا : انني قبلت استقالة الحكومة ، مكبرًا الدور اللبناني الأصيل الذي أدّاه الرئيس شفيق الوزّان ، مقدرًا مواقفه الوطنية الصادقة في مرحلة مصيرية يسجل فيها التاريخ مواقف الرجال ، شاكرًا بالتالي لأعضاء الحكومة تعاونهم وخدماتهم .

رابعًا : انني في صدد تكليف رئيس للحكومة والتشاور معه على تشكيل حكومة اتحاد وطني تضم الفعاليات اللبنانية ، وتمثل مختلف الفئات والمناطق والاتجاهات .

خامسًا : لقد صدرت الأوامر للجيش اللبناني ليكون جاهزًا للتوجّه إلى الجنوب ، تحسبًا لانسحاب اسرائيلي ، وتجاوبًا مع مطلب شعبنا هناك . وحتى لا يعيش اللبنانيون في الجنوب مأساة أخرى تهدد وحدتهم وسلامتهم .

وفي المقابل ، سيقوم الجيش بالانتشار حتى حدود محافظة الشمال ، وان الجيش

مصمم على القيام بواجبه الوطني صفًّا واحدًا وجسمًا واحدًا.

سادسًا: إنني أدعو باسمكم جميعًا، وباسم حقكم في الحياة والأمن الى وقف اطلاق نار كامل، وارحب بمختلف الدعوات إليه، على الا يكون مرتهنًا بشروط تعجيزية أو مصطنعة.

وتأمينًا لوقف اطلاق النار، طلبت من المختصين دعوة اللجنة الأمنية للالتئام فورًا، واتخاذ التدابير الميدانية المناسبة، كما طلبت تشكيل لجنة مراقبة من عسكريين متقاعدين لمواكبة وقف اطلاق النار، والابلاغ عن خرقه، ووضع التقارير بهذا الشأن.

سابعًا: ان المشاورات اللبنانية – السورية يجب تعزيزها وتكثيفها، بحيث نبحث في العمق بالعلاقات المصيرية التي تحتمها روابط الأخوة وضرورات الجوار، فنصل الى صيغة تضمن سلامة أمن البلدين ازاء أي خطر أو تهديد، وتمكن الدولة اللبنانية من أن تمارس، عبر انتشار الجيش اللبناني، موجبات الدفاع الوطني.

ثامنًا: إن واجب تحرير الأرض يتصدّر أي مسؤولية وواجب، ويتقدم على أي شأن آخر، لذلك قمنا بمفاوضة اسرائيل بمشاركة الولايات المتحدة الاميركية، وتوصلنا في حينه إلى اتفاق يؤكّد الانسحاب الاسرائيلي الكامل الى الحدود المعترف بها دوليًّا.

غير أن الاتفاق هذا لم يكن يومًا غاية في حدّ ذاته، بل كان الغرض منه وسيلة للانسحابات. أما ولم تتأمن هذه الانسحابات، الانسحابات الاسرائيلية وكذلك السورية، ودخلنا والاتفاق مع اسرائيل في المأزق الحرج الذي جعلني امتنع عن ابرامه، فانني أرى بموضوعية منفتحة الاستمرار بالسعي الجدي والحثيث الى صيغة تضمن الانسحابات الكاملة من كامل الأراضي اللبنانية، حفاظًا على سيادة لبنان واستقلاله.

أيها المواطنون؛

حين عاهدتكم على الانقاذ والتحرير، فانمّا على انقاذ كل الشعب، وتحرير كل الأرض، واستعادة السيادة كل السيادة، رافضًا باسمكم ومعكم لبنان المقسم، لبنان المجزأ، ولبنان الدويلات، وان كلّف ذلك الحياة، وانني على عهدي لكم ولوطني لبنان، فلنْ اتراجع عن وعد، ولن أساوم على الأرض، ولن أفرّط بسيادة الوطن، ولن اتنكر لإرادة الشعب، ولن أسلم بإرث الجدود، ولن نخيّب أمل الاجيال بالحرية والاستقلال. بل سنبقى أوفياء لدم الشهداء، وللبنان الكل المطلق المستقل الذي يحلو له الفداء.

عشتم وعاش لبنان!»

لبنان الغد: التمايز في الحرية والديمقراطية والمساواة

مؤتمر الحوار الوطني ـ
لوزان ١٢ آذار ١٩٨٤

«في مستهل هذا المؤتمر، أتوجّه بالشكر إلى دولة سويسرا، رئيسًا وحكومةً وشعبًا، على استضافتها لنا للمرة الثانية، مقدرًا الجهود التي تبذل لتأمين الاجواء الصالحة لاتمام هذا اللقاء. كذلك أشكر ممثلي حكومتي الجمهورية العربية السورية والمملكة العربية السعودية؛ نائب رئيس الجمهورية الاستاذ عبد الحليم خدّام، مهنّئًا إياه بمنصب النيابة الأولى لرئاسة الجمهورية العربية السورية، الذي استحقه بجدارته واخلاصه. وأشكر معالي وزير الدولة، الشيخ ابراهيم المسعود، وسائر اعضاء الوفدين الذين يشاركوننا كمراقبين ومساعدين في هذا المؤتمر.

أيها السادة؛

بين لقائنا في جنيف وملتقانا اليوم في لوزان مسافة قصيرة في حساب الزمن، لكنها طويلة مضنية خطيرة في حساب المعاناة والقرار. ولا أرى هذا اللقاء التاريخي يقتصر على المجتمعين هنا، بمن يمثّلون وما يمثلون، بل أتشخص اللبنانيين جميعًا بيننا ومعنا، وألمح الدموع في عيون الثكالى وأمهات المفقودين، وأرى الأيامى واليتامى والمعذبين والمهجّرين والمعوزين والخائفين على الحياة والمصير، يتطلعون إلينا على أمل أن نحمل بشائر الخلاص لشعب أنهكته المجازر ووطن أثقلته الجروح.

تسع سنوات من الحرب المجنونة المتواصلة والمعبأة بالقتل والخطف والقصف والتدمير والإرهاب والتهجير والانهيار المعنوي والنفسي والاقتصادي. هذه الحقبة الرهيبة، يرزح تحتها عالم بأكمله وينتهي، حين تلقاها اللبنانيون بصدورهم وصمودهم، دونما استسلام أو انهزام.

ولست أدري من كان منتصرًا في حرب بدأت علينا جميعًا، على لبنان الكل، كيانًا وانسانًا، وتحوّلت بتفجير التناقضات حربًا مع الذات؛ ومن حقق المكاسب فيها والمغانم، ما دام لبنان كله في شتّى مناطقه وفئاته وطوائفه عاش مرارة المأساة والمعاناة وسكب الشهادة والدم.

واذا كان في حرب السنين التسع قد سقط مئة ألف شهيد، فانني اعتبرهم جميعًا شهداء لبنان، سواء الذين حاربوا أو الذين حوربوا أو الذين سقطوا ابرياء وهم يسعون في طلب الرزق، أو الذين قطفتهم القذائف من سرير الطفولة.

هم شهداء للبنان الحرية، لأنهم كانوا امثولة للأحياء الذين أصرّوا على تكريس بقائهم الحر ووجودهم الكريم في وطن حر كريم.

وان كان بينهم من قضى في سبيل لبنان ما، فان فضل استشهادهم هو عبرة الاهتداء الى لبنان اللبنان.

ان التضحيات التي بذلها شعبنا العظيم لن تذهب من دون تحقيق أهدافه ومبادئه وطموحاته، بل سنكون مؤتمنين على تجسيد إرادته وجني التضحيات بتحرير الأرض وتثبيت السيادة وتمتين وحدة الشعب، بما يضمن انتصاره على أي امتحان عسير مستقبلي.

وفي سبيل وحدة أرضنا والشعب، وترسيخ مقومات وجودنا، وضمان استمرار الوطن قويًا حرًا منيع الأركان، نتخطّى أي اعتبار وأي وسيلة وأي توجّه أو خيار، اذ عندما كان التفاوض مع اسرائيل بمشاركة الولايات المتحدة الاميركية الخيار الحتمي الوحيد لاستعادة الأرض لم نتردد ازاء هذا الخيار.

وعندما أضحى إلغاء اتفاق السابع عشر من أيار بمثابة الخيار الحتمي الوحيد لتوحيد الشعب، لم نتردد عن هذا الالغاء.

وعندما نؤمن بأن لبنان ترخص في سبيله الدماء، فلن يغلو في سبيله اتفاق؛ وعندما يكون الخيار بين اتفاق ووطن، فلا بد من ان نختار الوطن. على أن الغاء الاتفاق هو أيضًا وسيلة لتوحيد الإرادة وجمع الصف ومدخل الى تحرير الأرض وتوحيدها، في اطار مجتمع متماسك يتخطّى التجمّعات الضيقة والمنكمشة على الذات، وما أفرزته المتغيرات الأخيرة من تفسخ وتشرذم وتجزئة.

وإلغاء الاتفاق بالتالي يستوجب درجة

عالية من اليقظة والتضامن وتجاوز المصالح الضيقة ، ويحتم حكمًا انهاء حال الفوضى والقلق والاضطراب ، وتهديد سلامة الشعب ومصلحة لبنان الأمنية ، وقطع دابر الممارسات في أي شكل من أشكالها الاجرامية والارهابية .

وانني وطيد الثقة بأن الرئيس الأسد ، وقد ساد لقاءنا الثنائي جو من التفهم والايجابية ومستوى عال من المسؤولية والصراحة والصدق ، سيضع كل ثقله لمساعدة لبنان على بلوغ مرحلة العافية والاستقرار ، ولا سيّمَا في الظروف الحرجة التي تشهدها المنطقة ، بما يؤمّن مصلحة البلدين وسائر المصالح العربية الأخرى .

وإذ أنوّه بالجهود الكريمة التي بذلها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ، وبمَا كان للشقيقة السعودية من دور فاعل وبنّاء ازاء لبنان في محنته ومعايشة احداثه وآلامه ، لا أنسى ان أخصّ المبادرات والمساعي الدولية بالشكر والتقدير ، ولا سيّمَا الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا ، لما أدّته الى جانب لبنان ولما شاركت فيه من تضحيات الى جانب شعبه .

ومن حق لبنان أن ينتظر من الأشقّاء والأصدقاء ، ودول العالم دونما استثناء ، دعمًا لمسيرة تحريره وانقاذه وتأمين اجواء الطمأنينة والهدوء لاعادة بناء ما هدمته الحرب ، وبناء هيكلية الدولة ومؤسساتها من جديد .

وقد ثبت جليًّا ان مناخ لبنان المستقر يرتد على مختلف المصالح العربية والدولية بالهدوء والاستقرار. مثلما ينعكس جوّه المضطرب على شتى المصالح اضطرابًا وسلبيات .

أيها السادة ، أيها الأحبّاء ؛

نتساءل جميعًا ، عن لبنان المستقبل ، وهل يعود هذا اللبنان بعد سنوات الحرب الى ما كان ، على صعيد السلطات الدستورية والممَارسات السياسية والمؤسسات العسكرية والاجتماعية والاقتصادية والادارية والثقافية ، على اختلافها ؟

هل يكون لبنان الرهان الأول في الاربعينات ؟ أم هناك رهان ثانٍ في الثمانينات ينطلق من اتفاق تاريخي آخر بين اللبنانيين ؟

أيًّا كانت رهاناتنا ، فالرهان هو على لبنان الواحد خيار نهائي . والرهان على لبنان وطنًا نهائيًّا ، لا يطرح بين الخيارات ؛ هذا ما أجمعت عليه الإرادات وما تلاقت حوله المؤتمرات السياسية والروحية وما أكّدته الثوابت والطروحات والوثائق والتطلعات . وكل ما عداه يخضع للنقاش ، ولأي اصلاح وتغيير وتطوير .

ومن الأولويات المسلّم بها ، والتي لا

تخضع لأي اجتهاد أو شرط ، ان نقرّ هنا الآن هذه المداخل الأربعة البديهية :

أولاً : انهاء جذري لحال الحرب ، مع التزام والزام بوقف النار ، في شكل فوري وثابت وشامل ونهائي .

ثانيًا : تأكيد الاتفاق والموقف والخطى على توحيد لبنان وتحريره .

ثالثًا : تسهيل التفاهم حول مشاريع الاصلاحات ، على مختلف الصعد والمسائل التي تقتضيها مصلحة لبنان ، من خلال تطوير الأنظمة .

رابعًا : تشكيل حكومة انقاذ واتحاد وطني ، تنهض بالأعباء والمسؤوليات التي تستدعيها خطورة المرحلة وأخطارها . انطلاقًا من هذه المداخل الأربعة ، التي تحكم مسيرتنا المستقبلية توصّلاً إلى لبنان الوطن الواحد والنهائي ، كيف أرى من موقعي صورة لبنان المستقبل ، المنبعث من الحرب والمنتفض من بين الركام والدخان ، وقد صقلته النار ولم يحرق طموحه اللهب ؟

اني أراه :

وطنًا منيع السيادة ، حر القرار ، مستقرًّا ، حصين الاستقلال وقد ناله استحقاقًا كريمًا بالشهادة والدم .

وأراه شعبًا قهر الموت وانتزع الحياة ، ومثلاً يحتذى لأي شعب يواجه القهر والظلم والمؤامرات بصلابة وعناد ، متشبثًا بأرضه وحقه ووجوده . وقد علّمته المحن أن يعتمد على نفسه وعلى طاقاته الذاتية وقدراته التي لا تحدّ .

أراه عربي الانتماء متفاعلاً مع محيطه ، يعتزّ بدوره الريادي وتعتز به بيئته .

أراه صاحب رسالة تتخطّى حدود لبنان الجغرافية وحدود الانسان اللبناني الى الانسانية الكونية ، تحقق ذات الانسان وانتماءه الحر ، على الصعيد الوطني والروحي والعقائدي والفكري .

أراد مجسّدًا لقيم ومعان سامية أصيلة فيه ، منبثقة من تراثه ، ورائدًا في المجال الفكري والثقافي ، مكمّلاً لدوره التاريخي من ضمن موقعه الجغرافي .

أراه فريدًا في خصائصه ، فذًّا في مميزات تبرز التنوّع الحضاري المتفاعل في إطار وحدة الوطن ، بما يضمن لكل مجموعة حقوقها واطمئنانها وحريتها في المعتقد والممَارسة .

أراه دولة ديمقراطية حرة ، ذات نظام سياسي برلماني ومؤسسات متطورة فعّالة ، تعكس إرادة الشعب وترعى شؤونه وتخدم مصالحه .

أراه مجتمعًا مبنيًّا على قواعد النظام الاقتصادي الحر المرن ، وعلى أسس العدل والكفاية والمساواة وتكافؤ الفرص ، في شتّى

المجالات وبين سائر المناطق والمجموعات والفئات والأفراد.

أراه بيئة حضارية راقية، يتحلى فيها اللبناني بالحسّ المدني الواعي والمواطنية الصالحة، على نحو يوازن بين ما له من حقوق وما عليه من واجبات ومسؤوليات، ازاء المجتمع والدولة والوطن والمواطن.

وأراه، أخيرًا، وطنًا سليم البنية والبناء، من حق جيلنا هذا – جيل الحرب – أن يتسلّمه أمانة كريمة معافاة، والأجيال الطالعة من بعده، وقد أدّينا واجبنا ازاءهم وازاء التاريخ.

أيها الأحبّاء،

اذكر عهدي لجميع اللبنانيين، فلن أتراجع عن عهد ويمين، إلا ان مسؤولية انقاذ لبنان والحفاظ على الأمانة سليمة كريمة، ازاءالأجيال والتاريخ، هي مسؤوليتنا جميعًا. فأرجو أن يكون هذا اللقاء خاتمة لمسيرة الدماء والدموع، وفاتحة عهد جديد للبنان جديد.

وكفاه لبنان قدره، ان يخوض صراعًا دائمًا مع المحن لينتصر. وان كان قدرنا فيه، أن نستشهد دائمًا من أجله ليبقى.

عاش لبنان!»

Summary

I. The Vision for Salvation

This study investigates the basic concepts that guide the outlook and behavior or the Lebanese President, Sheikh Amin Gemayel. These concepts constitute the minimum theoretical framework necessary for political practice. They are the product of a certain vision of Lebanon, the nation and the state as a historical, cultural and geographical entity which has been shaken by nine years of crises.

A believer in the future, and confident in the will of his people, President Gemayel is acutely aware that surpassing the crises is a positive step toward the embodiment of a better tomorrow. In this sense, "the enterprise of salvation" is an attempt at surpassing the present and entering the future. It is also an attempt at reactivating the creative capabilities of the Lebanese people, and at restoring Lebanon's peculiar role in the Middle East and the world as an example of multiethnic coexistence based on a unified national will that insists on freedom and dignity.

The Lebanon that President Gemayel intends to save is "the country or Man, reason, dignity and freedom." This Lebanon is the "haven of minorities." It is the country that is thousands of years old and in which a benevolent civilization prevails. Lebanon is this unique country, the laboratory where Christianity and Islam generate a new political civilization and culture.

The President aims at saving this country through the reunification or its occupied territories, and an unshakable adherence to the unity of the rate, rights, and free-choice of its people.

The President is confident of the will for a unified policy within a unique framework among the various Lebanese groups, as expressed through the concept of "Libanization." This concept is an experiment that may provide decisive answers to often raised questions of viability on the coexistence of civilizations and religions.

The nation is organized within the framework of a state that expresses the national Lebanese will, and works for the welfare and interests or all societal groups. This presupposes reconciliation between the state and the citizen, through the impartiality of the state in political disputes, and through public participation in national decisions, whereby the state is the servant, not the exploiter, of the people.

This conceptual change necessitates the foundation of a "strong-state" on two essential bases: societal pluralism, as a constant historic and geographic reality within a

unified political framework, and the "democracy of groups" based on the sovereignty of the people, which regulates relations among the individuals, the groups and the state. As such, the concepts of absolute sovereignty and the dynamism of political action and decision within the framework of legitimate constitutionnal institutions are the major principles underlying this “strong state”.

Given the present situation in Lebanon, the state emerges as the only point of contact among the Lebanese. The State finds itself obliged to undertake the necessary, though difficult job of societal reunification, a dangerous historic role in which the state relies heavily on the army as the only legitimate protector of the rights and privileges of all .citizens. By so doing, the army restores the respect it lost, and defines Lebanese unity by defending the land, people, independence, values, and institutions of the nation.

This strong pluralistic, democratic, institutional State participates in the advancement of humanity through openness to the world based on mutual respect, equality, and non-intervention in internal affairs and constitutional systems. The limits on such openness are absolute national sovereignty, the freedom of Lebanese decision, and the independence of Lebanese will and absolute commitment to Lebanese interests.

President Gemayel's political principles constitute a challenge to the present and a wager on the future. Winning the wager rests on the emergence of a Lebanese will, a belief in Lebanon, and action to save it.

II. **The Road to Salvation**

The second year of President Amin Gemayel's mandate was characterized by radical political changes which led to the restoration of a kind of unstable balance among the political confessional forces in Lebanon, and to a reactivation of the Syrian role in lebanese affairs. The bloody events of September 1983 raise an important methodological question concerning the relation between the political event as a fact and the political theory, as an intellectual framework for the ruler's behavior.

Settling the controversy over this relationship requires a reassessment of President Gemayel's political orientation, which was expressed during the first year of his tenure. This reassessment was based on a methodological distinction between constants and variables in political action. This distinction was tied to a differentiation between the ideological bases of the unity of thought and the goals which *a)* tie together the variety and multiplicity of daily events with the unity of perspective; *b)* the goals which link the dynamic political behavior with the given data of direct political action.

In this context, continuity, firmness and interdependence are the essential characteristics of President Gemayel's thought, based on the ideology which considers the human being the absolute value and Lebanon the nation of free men. These two bases are nourished by the historical and political facts in Lebanon and by the trends in the

international liberal thought.

This orientation is well expressed in President Gemayel's stubbornness in preserving the structure of the nation and in his attempts at reforming the institutions. The President recognizes the negative impact that the status quo has on the existence of Lebanon. This is the reason behind his continuous calls for a lebanese action to save and liberate the nation and the man. In this context, the President is betting on the restructuring of a unified national will which will be capable of putting an end to the prevalent situation. The President considers that reform is a process which results from the liberated free popular will and that reform should conform to the socio-political structure of the nation. As such, the reform process should be based on the dialectical and interaction ism methodologies, should respect the man and the groups, and should promote the state. This requires a total lebanese commitment to this process, a commitment which expresses lebanese joint action and responsibility.

Finally, the President asks himself and the Lebanese to challenge the future and development. Lebanon will survive as long as it remains the nation of the "man", or else it will lose the reason of its existence and its particular, distinguished, universal human role.

Résumé

I. La vision de sauvetage

Cette étude se propose d'entreprendre une élaboration théorique de l'ensemble des concepts qui dirigent la pensée et la conduite politiques du président Amine Gemayel, et qui constituent le minimum théorique indispensable dans l'action politique de tout homme d'Etat. Ces concepts reposent sur une certaine vision du Liban, nation et Etat, comme donnée historique mise en cause par une crise qui se prolonge depuis 1975.

La prise de conscience du président Gemayel du drame libanais est celle d'un homme d'Etat confiant en lui-même, dans le devenir de sa patrie et la ferme volonté de son peuple. Le dépassement du drame est un acte positif qui cherche à réaliser les «rêves». Dans ce sens, «l'aventure de sauvetage» est le pari du présent et de l'avenir pour restituer le Liban dans son entité, pour réactiver les forces créatrices du peuple libanais, afin que le Liban entreprenne de nouveau son rôle singulier, dans le Moyen-Orient et le monde, dans le cadre d'une volonté nationale unifiée.

La patrie à sauver est, selon le président Gemayel, le Liban «nation de l'homme, de la raison et de la liberté». Ce Liban est le «refuge des minorités», parce qu'il est le point de rencontre de différentes civilisations, cultures et religions; il est la patrie enracinée dans l'histoire, a travers une civilisation humaniste et universelle qui s'enrichit et enrichit a travers un intense échange culturel avec les autres. Ce Liban, le président veut le sauver en libérant son territoire de toute occupation, la volonté de son peuple de toute tutelle et la liberté de sa décision nationale de toute ingérence. Le concept de «libanisme» incarne cette volonté d'union entre Libanais, en même temps qu'il constitue un défi pour les chrétiens et les musulmans de réussir une osmose de civilisations dans une entité-type qui redonne à l'humanité l'espoir d'une réconciliation et d'un *«modus vivendi»* entre civilisations, cultures et religions.

Cette nation s'organise dans le cadre de «I'Etat du citoyen et du peuple», issue d'une volonté nationale libanaise et visant a réaliser les intérêts conjoints de tous les Libanais. Ce concept suppose une réconciliation nécessaire entre l'Etat et le citoyen, en neutralisant l'Etat dans le processus des luttes politiques, c'est-à-dire en le mettant au-dessus des luttes et en restituant sa fonction de représentation de la volonté nationale unifiée ; en organisant la participation populaire dans le processus de la décision nationale et en définissant une nouvelle finalité de l'Etat, «serviteur du peuple» et non son exploiteur.

Ce transfert conceptuel suppose l'avènement de «I'Etat fort», sur la base de deux piliers: un pluralisme sociétal comme donnée historique et démographique constante, dans le cadre d'une entité politique unique : la «démocratie des groupes», basée sur la

souveraineté nationale et qui se propose de réussir ce difficile dosage des relations entre le moi, les groupes et l'Etat. La souveraineté absolue et le dynamisme de la décision politique, dans le cadre des institutions constitutionnelles légitimes, constituent les principes d'action de cet Etat fort.

Dans le contexte actuel, l'Etat apparaît comme I'unique point de rencontre entre Libanais et se trouve confronté à un rôle singulier et difficile, celui de restituer l'entente nationale. Dans ce but, l'armée est l'élément de base en tant que force légitime dont la fonction s'intègre dans la fonction étatique de protection et de respect des droits et des libertés. Le rôle de l'Armée, en tant que facteur de sauvetage, de libération et d'unification, est significatif actuellement, car l'Armée incarne l'unité des Libanais dans le cadre de l'unité des forces, pour défendre et sauver les valeurs et le patrimoine communs qui font l'unanimité de tous.

Cet Etat pluraliste, fort, démocratique et institutionnel, participe à la marche de l'humanité par des relations de respect, d'égalité et de non-intervention avec les peuples et les Etats. Souveraineté nationale absolue, autonomie de la volonté, liberté de la décision et priorité de l'intérêt national constituent les dénominateurs communs et les limites à toute ouverture sur le monde.

Ces concepts politiques, qui constituent la toile de fond de la pensée politique du président Gemayel, sont pour les Libanais un défi du présent et un pari pour l'avenir. Lever le défi et gagner le pari dépendent de cette volonté nationale unique qui croit au Liban, nation et Etat, et dans le regroupement des forces, dans le but de son salut.

II. La voie de sauvetage

La deuxième année du mandat du président Amine Gemayel s'est caractérisée par des changements politiques radicaux, qui ont débouché sur un certain équilibre précaire, entre les forces politicocommunautaires à l'intérieur, et la réactivation du rôle syrien dans les affaires libanaises.

Les évènements cruciaux, qui datent de septembre 1983, mettent le chercheur devant une problématique qui se ramène à la relation entre le fait politique en tant qu'évènement, et l'idée politique en tant que soubassement intellectuel de l'action politique du gouverneur.

Cette problématique suppose une revalorisation de la pensée politique du président Gemayel, développée tout au long de la première année de son sexennat, Cette revalorisation a tenu compte d'une distinction méthodologique entre les constantes et les variables dans I'action, A cette distinction correspond une autre distinction, entre l'infrastructure idéologique qui forme l'unité de pensée, les objectifs qui lient la diversité du quotidien à l'unité de la vision future, et la conduite politique qui est la variable versée dans l'action immédiate.

Dans cette optique, la pensée du président Gemayel parait être constante et continue, fondée sur l'idéologie de I'homme, valeur suprême en lui-même, et du Liban patrie de l'homme libre, qu'il puise de la réalité socio-historique du Liban et du courant libéral universel, C'est pourquoi toute son action tend a la sauvegarde de la dignité de I'homme et l'indépendance de la nation.

Dans la pratique, cette action se propose un double objectif: sauvegarder l'Etat d'une part, et reformer les institutions d'autre part.

Conscient des répercussions lointaines et néfastes de la situation actuelle sur l'existence du Liban, le président invite les Libanais a une action salvatrice, pour libérer le territoire et le citoyen avant qu'il ne soit trop tard, le pari du président suppose l'émanation d'une volonté collective unifiée, qui pourrait mettre fin a cette anomalie désastreuse. En attendant, le président s'attache, par conviction et par fidélité a I'esprit de la volonté générale, a la sauvegarde de l'Etat, institutions et rôle,

Quant à la réforme, elle devra émaner de la volonté populaire consciente et libérée de toute contrainte, et prendre en considération la structure socio-politique de la nation, C'est pourquoi el le devra s'édifier sur la dynamique de la dialectique et des interactions, respecter I'homme et les communautés, acheminer l'Etat sur la voie du progrès. Pratiquement, l'action réformatrice sera une oeuvre collective de tous les libanais, placée sous leur responsabilité commune.

En conclusion, le défi que se pose le président a lui-même et aux libanais, c'est le défi du futur et du progrès. Le Liban ne subsistera que comme patrie de I'homme dans l'absolu, sinon il perdra sa raison d'être et son rôle singulier au sein de l'humanité.